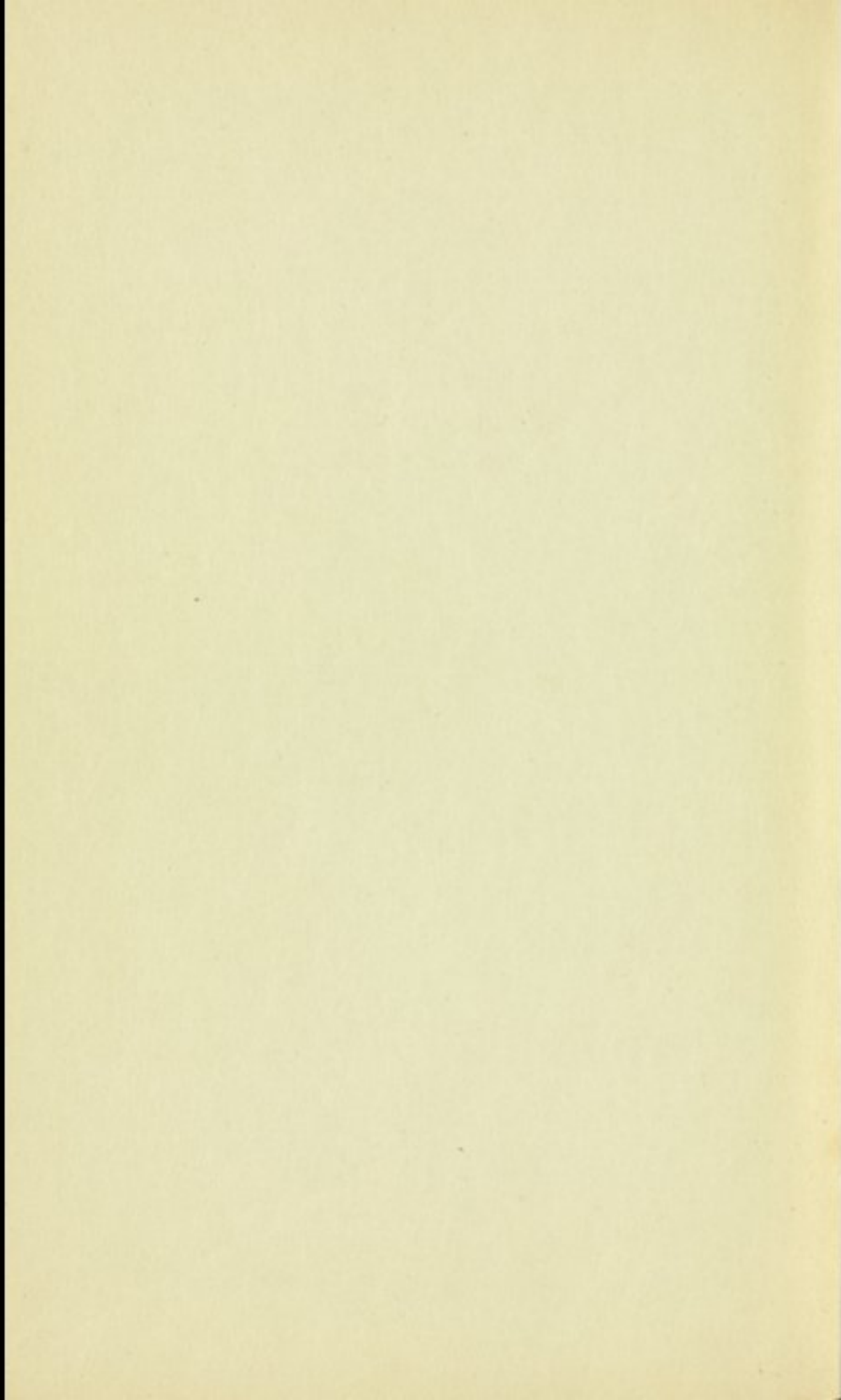
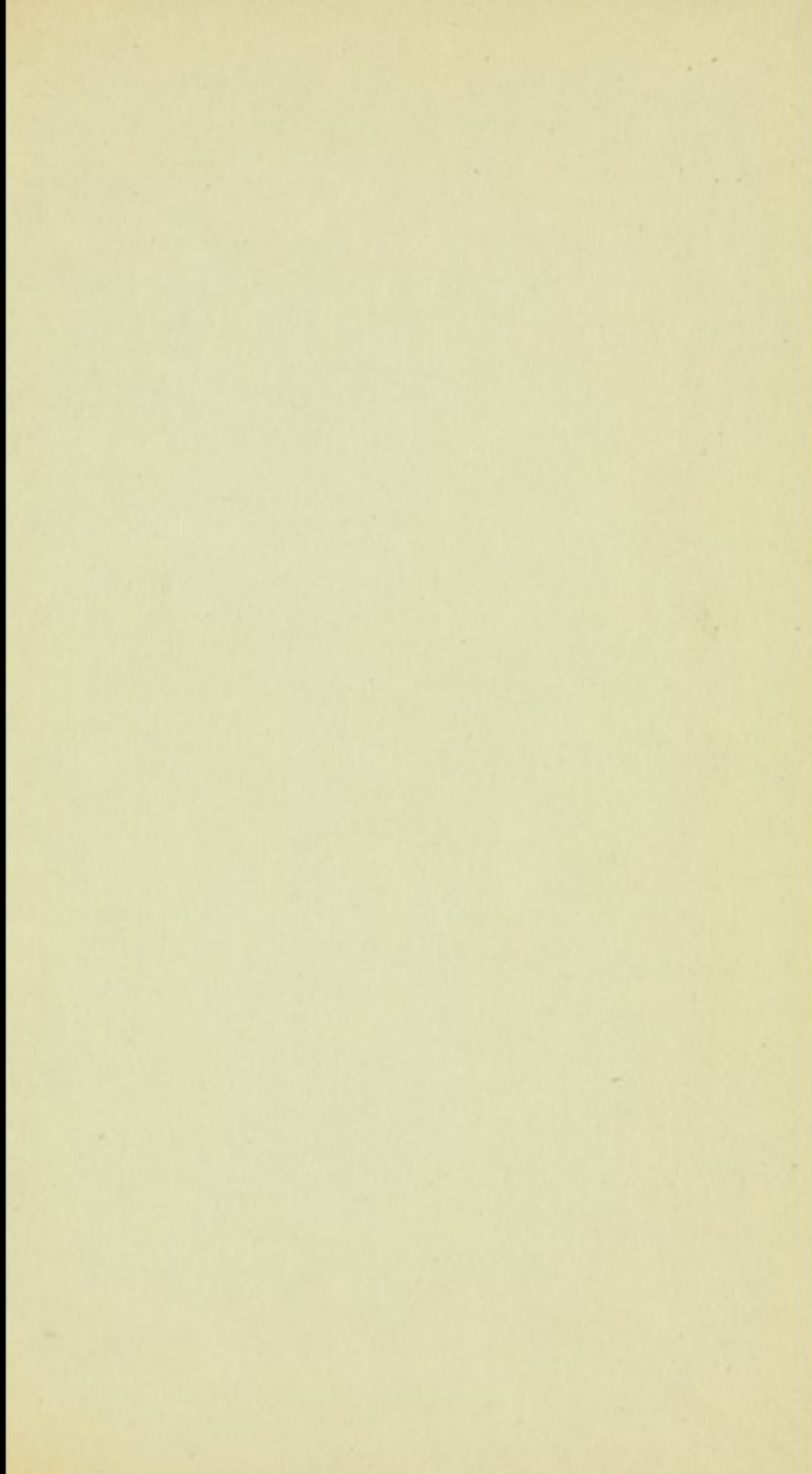


Columbia University  
in the City of New York

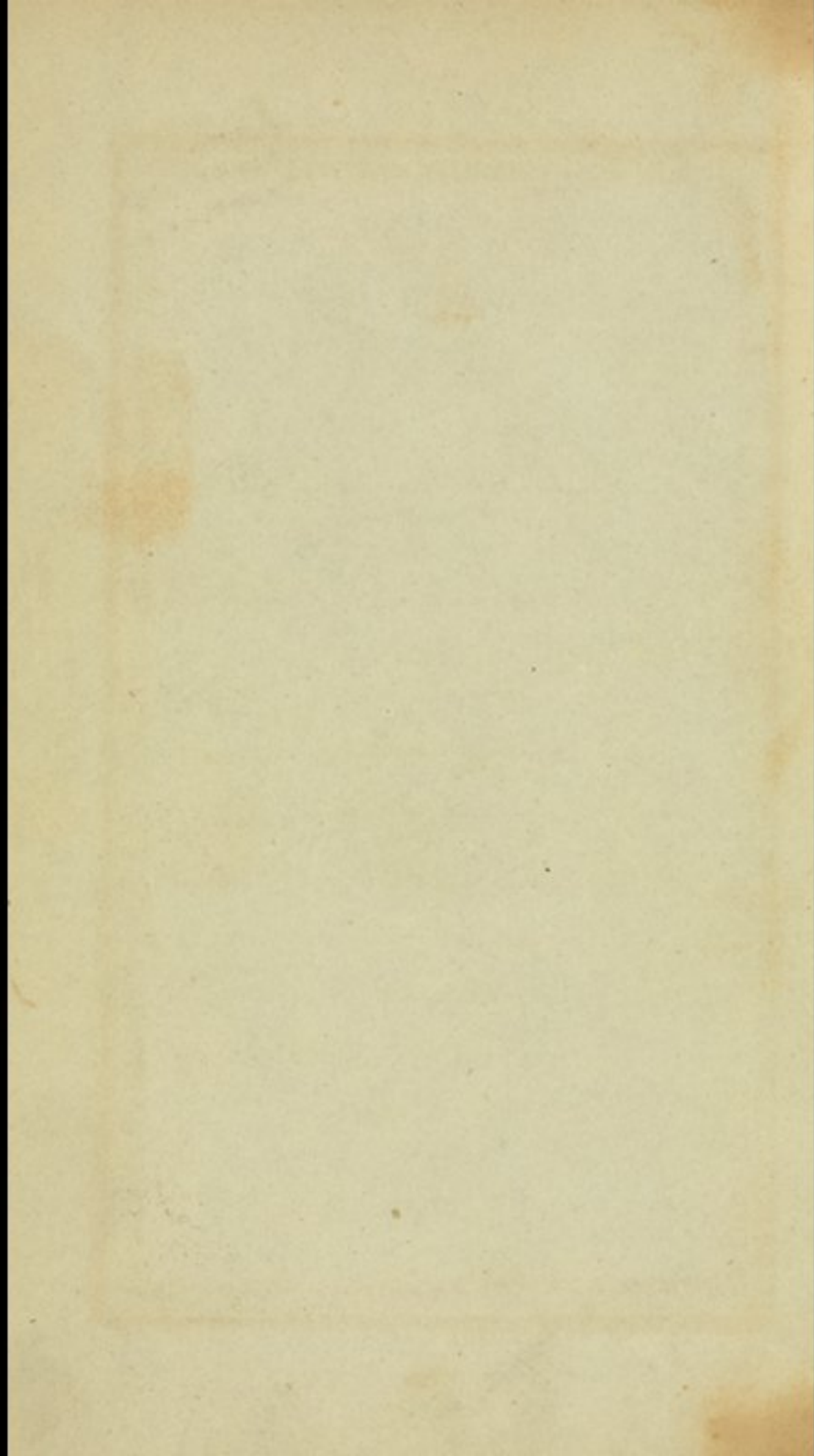
THE LIBRARIES











893.7Ae2

P5

Dalil al-sawāb ila ṣadq al-kitāb

Rev. Archibald Alexander

1825

*Faint handwritten text in Arabic script, likely bleed-through from the reverse side of the page.*

دليل الصواب  
الى صدق الكتاب

Alex<sup>r</sup> J. Cothrel

1825



## الفاتحة

الحمد لله رب العالمين الذي اوحى الى عباده الصالحين  
بنصوص كتابه المبين وجعله عصمة للمؤمنين وحجة على  
الكافرين . اما بعد فيقول العبد الفقير بوحنا ورتبات  
انه لما كانت الديانة المسيحية عرضة لاهام المبطلين الذين  
يرمون بسهم الشك في كيد البقير وكان الكتاب الذي وضعه  
العلامة اسكندر الامبركاني في هذا الشأن كافلاً دفع هذه  
الاهام بصحة القياس والبرهان سألني بعض رسل الامبركانيين  
المبشرين بالانجيل في الديار الشامية ان استخراج هذا الكتاب  
من اللغة الانكليزية الى اللغة العربية فاستخرت الله في استخراج  
بالتي هي احسن وتطبيقه على الاصل بقدر ما امكن وسميته  
دليل الصواب الى صدق الكتاب . والله المسأل  
بكرمه وفضله ان ينفع به كانفع باصله .

والحمد لله اولاً

وآخرآ

فهرس

وجه

- الفصل الاول. في استعمال العقل في الامور الدينية ١
- الفصل الثاني. في ان نفي كل ديانة من العالم غير ممكن  
ولو امكن لكان من اعظم المصائب للناس ١٢
- الفصل الثالث. في انه لو رُفِضَت الديانة المسيحية لما  
وُجِدَت ديانة اخرى تقوم مقامها وتصلح للغاية  
التي لاجلها نحتاج الى ديانة ٢١
- الفصل الرابع. في لزوم الوحي لتعليمنا كيف نعبد الله  
عبادة مقبولة وما هو العالم الآتي وحقيقة وجوده  
وعلى الخصوص كيف السبيل لخلاص الخطاة ٢١
- الفصل الخامس. في ان اعلان الوحي من الله ليس  
امراً وقوعه غير محتمل ولا غير موافق للعقل.  
ولذلك لا يكون ظهور فعل الهى بالمعجزات  
لاثبات الوحي امراً وقوعه غير محتمل ولا غير  
موافق للعقل ٦٢
- الفصل السادس. في امكان اثبات وقوع المعجزات  
بواسطة الشهادة ٦٩



وجه

الفصل السابع. في صدق المعجزات المذكورة في الانجيل ٨١

الفصل الثامن. في ان نجاح الانجيل وانساعه اولا  
بوسايط قليلة وضعيفة برهان على ان ذلك كان

١١٥ من العناية الالهية

الفصل التاسع. في ما تم من النبوات على شعب اليهود

١٢١ بنوع عجيب

الفصل العاشر. في نبوات تتعلق ببنينوى وبابل وصور

١٤١ وغيرها

الفصل الحادي عشر. في النبوات عن المسيح ونبوات

١٦٦ المسيح عن خراب اورشليم

الفصل الثاني عشر. في انه لا يوجد ديانة حاصلة على ما

١٧٤ حصلت عليه الديانة المسيحية من بينات المعجزات

الفصل الثالث عشر. في ان الكتاب المقدس يتضمن

١٨٩ بينات داخلية تدل على انه من الله

الفصل الرابع عشر. في ان الكتب المقدسة وعلى

الخصوص العهد العتيق قد كان للذين كتبوها

٢٢١ الهام من الله بصونهم من الغلط

الفصل الخامس عشر. في الالهام بكتب العهد الجديد ٢٤٧



## الفصل الاول

### في استعمال العقل في الامور الدينية

ان لجميع الناس حقاً في استعمال عقولهم في الامور الدينية  
ووجوب ذلك امرٌ ظاهرٌ لا يرتاب فيه. فانه بدون استعمال  
العقل لا يمكن ان تقوم الديانة. لان ذلك ضروري في كل  
درجة من البحث في ادلة الوحي ونفسه ومعانيه وقبول تعاليمه.  
وذلك على انه متى تقدمت للناس دلائل الديانة المسيحية  
ترفع دعوى حقيقتها الى عقولهم. فتكون الدلائل والبراهين  
باطلة ان لم يُسمع للعقل بالحكم على صحتها. ولا ريب ان هذه  
الموهبة الشريفة قد أُعطيت للانسان دليلاً في الدين كما هي  
دليل له في سائر الامور. اذ ليس له واسطة اخرى يستطيع بها  
ان يحكم على قضية ما او يقبل حقيقة من الحقائق. وكون النظر  
بلا اعين ليس باقرب الى المحال من معرفة الحقائق بدون  
استعمال العقل. واذا كان ذلك فقد فسد زعم من يزعم  
ان الديانة ترفض استعمال العقل في حقايقها. بل هي بعكس  
ذلك تامر باستعماله كاللتزام من اعظم الالتزامات الادبية

وتوجب انما على الذين لا يحكمون لانفسهم بين الحق والباطل  
 هذا وان بعض المومنين بالكتب الموحى بها وان سلوا بان  
 للعقل حقا في فحص ادلتها والحكم على معنى عباراتها قد انكروا  
 حقه في الفضاة على ذات تعاليمها . ولكننا لانظن هذا الراهب  
 صحيحا . لانه من الواضح اننا لانستطيع ان نتصور شيئا من الحقائق  
 بدون استعمال العقل . واذا قبلنا قضية ما بناء على انها حقيقية  
 فمهما كانت ادلة صحتها لا بد ان نحسب قبولها موافقا للعقل . ان  
 بين الحق والعقل اتصلا لا شديدا حتى لا يمكن انفصالها الا عنقا .  
 فالحق هو الموضوع والعقل هو القوة التي بها يدرك الموضوع  
 كيفما كان نوعه او نوع الدليل الذي يقوم به . والتعليم الذي  
 لا يكون قبوله اكثر موافقة للعقل من رفضه لا يمكن ان يكون  
 موضوعا جذريا بايماننا . فان ادعي بان كتابا قد اوحى به ثم  
 وجد فيه تعاليم لاتوافق العقل السليم بوجه من الالوجه فذلك  
 دليل ثابت على ان هذه الدعوى ليس لها ركن وطيد ومن  
 الواجب رفضها

ولكن اشتمال الوحي على تعاليم سرية فايفة الادراك  
 ومخالفة لكل تصوراتنا السابقة وبعيدة في ذاتها عن اوها منا  
 ليس بمضاد للعقل . بل انما بعكس ذلك ان العقل السليم  
 ينتظر وجود مثل هذه الاشياء في وحي من الله . لان كل ما  
 يتعلق بهنا الاله الغير المحدود لا بد من كونه فايقا ادراكنا على



نوع ما وكل حقيقة مستحدثة لا بد ان تكون مختلفة عما كان  
 معروفاً من قبل . وجميع طرق الله واعماله بعيدة جداً ومرتفعة  
 كثيراً عن ادراك عقولنا . فاننا نرى في الديانة الطبيعية  
 غوامض ليست اقل عظمة من غوامض الوحي ولا يوجد بين  
 حقائق الوحي والعقل الانساني مخالفة اعظم مما نرى بين حالة  
 الكون الحاضرة وما كان يخترعه الانسان له . فكما ان تصديق  
 حواسنا مطابق للعقل كذلك يطابق العقل ايضاً ان نؤمن بما  
 اعلن الله حقيقته لنا

فاذن في قبول اعظم غوامض الوحي تنهي الدعوى الى  
 حكم العقل . لاجل الحكم على امكان كشف تلك الحقائق بذاته  
 ولا على كونها قريبة او بعيدة باعتبارها في نفسها . بل لاجل  
 الحكم على اي الامرين هو اكثر مطابقة للعقل فهو تصديق قوله  
 تعالى ام الاعتماد على ادراكنا القاصر . ومثل ذلك مثل رجل  
 غيب اذا سمع رجلاً عالماً يقول ان دوران الشمس اليومي انما  
 هو بحسب الظاهر فقط لاني الحقيقة او ان الشمس في الشتاء  
 تكون اقرب الى الارض مما تكون في الصيف . فانه ولو لاح  
 له ان ذلك مصاد للحواس لكنه يوافق العقل ان يسلم لمن له  
 معرفة بهذا الموضوع ومن يمكن الاعتماد على صدقه . واذا قبلنا  
 شهادة البشر في الامور التي تفوق اطوار عقولنا فبالاحرى ان  
 نقبل شهادة الله العليم بكل شي الذي لا يمكن ان يغش خلقته

## باقوال كاذبة

انه لا يوجد سبب كافٍ للخوف من الضلال في استقامة استعمال العقل في اي موضوع يعرض علينا . بل الخطر الذي علينا انما هو من جرى استعمال العقل على غير الاستقامة . وما اشد ميل طبيعتنا الى السقوط في هذا الخطر . فاننا نرى اكثر الناس يدعون بان العقل هو دليلهم في عقد آرائهم ولكن هذا الدليل عندهم اعنى منحرف . لانه لو كان صحيحاً مستقيماً لما امتلأ العالم ضلالةً ولا اشتهرت كثرة الآراء الكاذبة المخطرة ولا حومي عنها بكل عناد كما هو الواقع

ان بعض الناس من نظير قليل الى امور الديانة من ظاهرها يبادرون الى نتيجة لا بد ان تضرهم ضرراً بليغاً . وذلك انهم يرون في العصر القديمة والحديثة كثيراً من المخرافات والغشوش واختلاف الآراء وتنوع المذاهب والدعاوي الباطلة بالوحي من الله والاختبار عن عجائب كاذبة واقوال نبوية لا صحة لها . ثم بدون ان يفحصوا عن الحق باجتهاد بين مخصصات هذه الدعاوي المختلفة يستنتجون نتيجة عامة ان جميع الادبان هي على حدٍ سوى وان الامر باجمعه زور قد اخترعه اناس خبثاء وغرّوا به الجمهور العديم التأمل وان الدعوى بالوحي الالهي باطله على الاطلاق لا تستحق البحث عنها . فهل يهدينا العقل السليم الى نتيجة مثل هذه . انه لو سلكتنا هذا الطريق في بقية



الامور لانقلبت امور العالم باسره في حالة برئى لها . وعلى هذا  
 المنوال يُطرح الحق والصدق والشرف كاسماء بلا مسميات .  
 لان هذه جميعها قد نقلت كذبا مرارا لا تحصى ولا نهاية  
 لاختلاف الآراء فيها

ومن الناس ايضا من يعتنون بامر الدين اكثر من الدين  
 سبقت الاشارة اليهم وهم يدعون بانهم يخضعون للعقل ولكن  
 عقولهم قضاة ظلم . لانهم يميلون اذ انهم بكل اصغاه الى ما يقال  
 ضد الوحي ويقرأون بكل رغبة ما كُتِبَ ضد الديانة المسيحية  
 ويحفظون بحرص على كل ما يُعترض به عليها بدون التفات  
 الى الذين يحامون عنها ولا يسألون اصلا عن هذه البراهين  
 والاعتراضات التي نترآى لم انها وطيدة هل لا يوجد من الرد  
 عليها ما ينفضها . ولذلك يثبتون على كفرهم اشد الثبات مع  
 امكان الحصول على ما كانوا يقتنعون به لو شاءوا . وما داموا  
 على هذا الفحص المنحرف فلا بد ان يفتوا في ظلامهم

ومن الناس ايضا نوع ثالث وهم الذين يدعون بانهم  
 تابعون لهداية العقل وهم تحت سلطة الاخلاق الرديئة كطلب  
 المجد والبخل والشهوة والانتقام . والذين هم على هذه الصفات  
 مهما كانت عقولهم ثاقبة ومعرفتهم واسعة لا يمكن ان يحكموا  
 بالانصاف في ما يصددهم عن التمتع بشهواتهم الغالبة . وبما ان  
 الدين ينهي عن جميع الشهوات الرديئة والتمتعات الرذيلة تحت

التهديد بالعقوبات الصارمة بطاردونه ببغضة خبيثة . وهم كما  
قال بعض الفضلاء يقاومون الدين لان الدين يقاومهم . فان  
مثل هؤلاء ليس من شأنهم ان ينظروا الى الديانة نظراً هادياً  
ولا يمكنهم الانتفاع ببراهين من بحامي عنها . فلا يفتكرون في  
الدين الا بروح العداوة ولا يتكلمون فيه الا بالهزء والشتيمة .  
وليس شيء احب اليهم من ان يستأصلوا جميع احكام الديانة  
من عقول الناس ويعدموها من العالم حتى لا يبقى لها اثر  
يعذب ضمائرهم . وقد استحق فولتير الشهير ان يدعى رئيساً هذه  
الطائفة . وما اكثر الذين اقتدوا به في بلاد المسيحيين

ثم انه يوجد نوع آخر من الناس الذين اشتهروا بالعقل  
اكثر من الذين ذكرناهم وهم المرتابون في جميع الحقايق الذين  
ارآهم مُعشاة بغمامة كثيفة من غوامض المعقولات وهم يلقون  
شكاً على اوليات الامور ويشوشون عقول السامعين لهم  
بابتداع رسوم مخالفة للشهورات . وربما يصدر منهم ضرر اكثر  
من اولئك وان كانوا قليلين في العدد . لان غيرهم من اعداء الحق  
لا يرى فيهم العقل الثاقب الا نادراً واما هؤلاء الفلاسفة فهم  
ارباب خبرة في جميع فنون الكلام حتى يرى بين ايديهم الفاسد  
صحيحاً والغلط صواباً ولو سلمنا لوساوسهم لشككونا ليس بالوحي  
فقط بل بشهادة حواسنا وبنفس وجودنا ايضاً . وهذا الرب  
يلقونه على كل شيء بانخاذهم مقدمات لاقيستهم من مبادئ



فاسد وبحكم سفسطي على مبادئي صحيحة وباستعمال عبارات  
 مبهمه عن حقائق كلية وتجاوز حدود المعرفة الانسانية في  
 البحث. واما مقصودهم بذلك فلا يسهل الحكم عليه ولكن  
 الأرجح انه المجد الباطل. ولاجل ذلك يرغبون ان يُظهروا انهم  
 اعلم واحذق من غيرهم. ومن المعلوم ان تحصيل الشهرة في  
 سلوك طريق غير مطروق اهن من تحصيلها في سلوك الطريق  
 الاعتيادي. ولا يمكن ان تكون علة علم اعني الحق لان الحق  
 والعقل بحسب مبادئهم على حدٍ سوى في عدم المنفعة. فليس  
 للحق عدو اعظم من هذه الطائفة. وانه لامرٌ برئي له ان بعض  
 الاحداث الحاذقين قد يستطون في فخاخ هؤلاء الفلاسفة وهم  
 يتورطون اكثر فاكثر في حماة ضلالهم حتى لا يكادوا يخرجون  
 منها فينقطع الى الابد الرجاء بانهم يصيرون انبياء وينيدون  
 الاخرين

وقبل انهاء الكلام في الذين يدعون بان العقل دليلهم  
 مع عدم استقامتهم في استعماله يجب ذكر نوع اخر وهم من  
 المشهورين بالعلم والحذقة الذين يدعون بقبول الوحي المسيحي  
 ويفتخرون بتسمية انفسهم مسيحيين عقلاء. ولهم مبدأ حميد صحيح ان  
 أخذ على استقامته وهو انه لا يجب قبول شي على انه حق الا  
 ما تستحسنه عقولهم. ولكن مع حسن خضوعهم الظاهر لما يطابق  
 العقل بحكم عليهم بخالفته لا يتصور اعظم منها بمناقضتهم

لمباديهم أكثر ممن تقدم ذكرهم . لانهم مع تسليمهم بان الناس قد  
 اتاهم اعلان من ربهم لا يرضون الا بعرض الحقائق الموحى بها  
 على العقل البشري ورفضها ان لم توافق هذا القياس . ولا يعتبرون  
 ان كون الامر موحى به من الله هو السبب الاعظم لقبوله  
 والايان به . فلا ريب ان اقامة آرائنا ضد تعاليم من الله معلنة  
 اعلانا واضحا يعدّ جسارة ليس اعظم منها . ولكن ربما لم يكن  
 الامر في الحقيقة كما ذكرناه ولا يوجد من بينهم حقا مخالفة مباديه  
 هكذا حتى يسلم باشتغال الوحي على قضية بدون ريب ثم  
 برفضها . فحقيقة رايهم تكون ان الكتب المقدسة مخلوقة على وحي  
 من الله ولكن يوجد فيها اشياء كثيرة اذا أخذت على اظهر  
 معانيها تكون مناقضة للعقل ومن حيث ان ما كان مخالفا  
 للعقل لا يمكن ان يكون من الله يلزم ان ذلك المعنى لا يمكن  
 ان يكون معنى الكتب المقدسة الحقيقي . وبناء على ذلك تشتغل  
 فطنتهم ويغتصب علمهم لاختراع معنى اخر وللحمامة عنه . فعلى  
 هذه المبادي يؤمن الانسان بما يشاء من الكتاب المقدس  
 ويرفض ما يشاء اذ لم توجد آية تقوى على جميع طرائق المعالجة  
 التي اخترعت لتحرينها . واما هذا العمل جميعه فهو مضاد للعقل  
 السليم . والطريق الصريحة التي يرشدنا العقل اليها هي اننا بعد  
 فحص ادلة الوحي والافتناع بصحتها نتقدم الى تفسير الكتب  
 المقدسة بعقل خالٍ من الاغراض ونستخرج معنى عباراتها



المتنوعة باستعمال حكم سليم وبمساعدة الوسائط والضوابط  
التي يرشدنا اليها العقل والاخبار. وذلك المعنى ولو كان  
مضاداً لآرائنا السابقة او مناقضاً لاهوائنا فيجب علينا قبوله بكل  
خضوع. ولا يجوز اننا بواسطة حذقة ثاقبة وعمل مدقق نستخرج  
معنى يوافق او هامنا. لاننا بذلك لانجعل آرائنا بحسب كلام الله  
ولكن نقصر تعاليم الوحي السامية السريعة على قياس افكارنا  
الضيقة. ومن جرى ذلك نرى في قاعة ايمان كثيرين من هولاء  
المسيحيين العقلاء ان بهاء الحفايق السموية قد سلب ولم يبق  
ما يفوق الا قليلاً على قواعد الديانة الطبيعية. وهذا العمل  
ليس فيه مطابقة للعقل اصلاً

وان قيل كيف السبيل ان وجد معنى الكتب المقدسة  
الصرح مضاداً على الاطلاق للبادية العقلية فنجيب انه اذا  
تبرهن ذلك تكون النتيجة بالاحرى افساد الكتب المقدسة  
لا جواز استخراج الراي منها على الاسلوب المذكور. ولكن  
لا يمكن ان يبرهن شيء من ذلك. والدلائل التي تقدمت لبيان  
مضادة التعاليم التوفيقية للعقل انما هي فاسدة. ونظيرها لو قيل  
في الديانة الطبيعية لاوصلنا الى انكار وجوده تعالى

ان الذين ينكرون وجود وحي من الله كثيراً ما يفرضون  
في كتبهم عدم امكان موافقة الايمان والعقل. وقد اشعروا بل  
جزموا بانه لا يمكن قبول الوحي بدون ترك العقل واظهروا

حزنا على امتحانه بفحص عقلي لا يحتمل . وقد قال واحد منهم اسمه هومر في خاتمة رسالته الشهيرة في المعجزات ان ديانتنا الكليية الطهارة مؤسسة على الايمان لا على العقل وانها تُلقَى في خطرٍ من هنك الفاضح اذا جعلناها موضوعاً لفحص لا يمكنها ان تحتمل . ثم قال ايضاً ان مجرد العقل لا يكفي لا قناعنا بحقيقتها والذي بحركة الايمان لقبولها يشعر في شخصه بمعجزة دائمة تناقض جميع اصول فهمه

ان هذه الطعنة المكننة انما هي كعادة جميع الكافرين في كلامهم عن الوحي حتى تظاهروا بجسارة منذ برهية وجيزة . فانهم من وراء ستر المحبة بالفاظ الوقار على شفاهم قد قصدوا طعن الديانة المسيحية في قلبها طعناً قاتلاً . واما من جهة القضية المتضمنة في ما اوردناه من كلام هومر فالمؤمنون بالوحي يرفضونها رفضاً كاملاً ويحسبونها كذباً فاضحاً ولا اساس لها عندهم . ولا داعي لهذا القول من جرّس حالة المباحثة بين المسيحيين والكافرين بالوحي . لان المخامين عن الحق مستعدون دائماً لملاقاة اخصامهم في ساحة العقل الخالي من الاهواء . بل انهم قد برزوا لهم في كل ناحية يقبلون منها . ونقول بكل طمانينة انه لم يبق للكافرين قول غير مردود ولا حجة غير مكشوفة ولا مدحوضة . وقد رُدَّ على رسالته هومر ذاتها ببيان جلي كافٍ لا قناع كل احدٍ عدا السفسطي والمرتاب في الاشياء كلها كما



سياتي الكلام عليه في مكانه

وبما اننا نرى كثيرين من الذين شربوا من هذه السموم  
ليس لهم سبيل الى الترياق راينا ان نضع هذا المختصر في ادلة  
الديانة المسيحية راجين ان تفيد هؤلاء الفايذة الكبرى ولا نصد  
الذين عندهم المطولات عن مطالعتها. وعسى ان تكون دواء  
لما يعد من اعظم الامراض المستحوذة على البشر



## الفصل الثاني

في ان نفي كل ديانة من العالم غير ممكن ولو امكن  
لكان من اعظم المصائب للجنس البشري

ان المقصود هنا ليس هو النظر الى الديانة من حيث  
وجوبها او كونها واسطة لنوال السعادة في العالم الآتي لان  
الذين يقصدون نفي الديانة لا يعتبرون كلا هذين الامرين .  
ولكن المقصود انما هو اثبات هذه القضية وهي ان التمسك  
بديانة ما هو طبيعة غريزية في الانسان فلا بد منه . ويتضح  
ذلك من الوقوف على اصول الطبيعة البشرية وعلى تاريخ  
العالم . فان للانسان بالطبع حاسية بالتزام ادبي ومعرفة للتمييز  
بين الحرام والحلال واشعار بجزي او سرور عند نظره الى  
سيرته وخوفا من جزاء عنيد عند ارتكابه معصية وميلا الى  
تقديم عبادة الى معبود منظور او غير منظور . وتسمى هذه  
الحركات بالحاسيات الدينية ولذلك يقال للانسان حيوان  
ديني . ولا ريب انه لاشي يميز الانسان من الحيوانات البكم  
اكثر من هذه القابلية للديانة . لاننا مهما راينا في البهائم من



دلائل المعرفة في بنية الاشياء لانستطيع ان نعلمها شيئاً من  
 الامور الادبية ولا نجعل فيها تأثيراً دينياً. ومن الواضح ان هذه  
 الحاسيات غريزية لا عرضية لانها توجد في البشر مهما كان عمرهم  
 في جميع الازمنة وجميع البلدان وفي جميع احوالهم المختلفة من  
 التوحش والتمدن. ولذلك ليس يوجد شعب قديماً كان او  
 حديثاً بدون نوع من الديانة. حتى ان وجود قوم بدون نطق  
 ليس بابعد من وجود قوم بدون شيء من الديانة. نعم ان  
 بعض السباح قد اخبر بعد ملاحظة قليلة عن بعض قبائل  
 بربرية انهم عادمون الافكار الدينية وليس عندهم عبادة ولا  
 معبود. ولكن بعد الفحص تحقق ان ذلك كان غلطاً منه.  
 وبحسب معرفتنا الحاضرة بطوائف الارض نقدر ان نحكم حكماً  
 قاطعاً صحيحاً انه لا يوجد شعب واحد خال من المحس بامور  
 دينية ومن طريقة للعبادة. وهنا الامر كان معروفاً جيداً عند  
 حكماء الازمنة القديمة وقد بنى عليه افلاطون وشبثرون عدة  
 نتايج جوهرية. وهذه الاصول الطبيعية مغروسة فينا غرساً  
 متمكناً حتى لا يمكن اقتلاعها. نعم انه قد يمكن ان الناس يتركوا  
 ديانتهم القديمة ويتمسكون بغيرها ولكن لا يمكن ان يبقوا زماناً  
 طويلاً معتوقين من كل ديانة. فاذا نزع منهم معبود يتصفون  
 بغيره واذا فقدوا سوء حالهم معرفة الاله الحقيقي يتخذون الهة  
 قد اخترعوها لانفسهم او اتخذوها من غيرهم. وبشهد بذلك

تاريخ جميع الشعوب شهادة لا يمكن انكارها. فعموم الديانة هكنا  
 يبين باجلى بيان ان هذا المبدأ غريزي بل هو امرٌ جوهرى في  
 طبع الانسان كما ان عموم الفة الناس بعضهم ببعض يبرهن ان  
 الالفة هي خاصية طبيعية فيهم

ان الكافرين بالله قد اجتهدوا بان ينسبوا جميع المحاسبات  
 الدينية وطقوس العبادة الى حيل الكهنة وتدبير الحكام. لكن  
 هذا الراي غير مثبت بشهادات تاريخية بل هو في نفسه مغايرٌ  
 للعقل بالكلية. لانه لو لم يوجد في عقول البشر ميل سابق الى  
 الديانة لما تصور مثل هذا القصد في افكار الكهنة والحكام. ولو  
 تصور لخابت آمالم من دخول اوهام مثل هذه في عقول  
 الناس خارجة عن طبيعتهم. وعلى كل حال لم يكن ممكنا ان  
 يدوم مثل هذا الخداع الى هذه المدة الطويلة ولا ان يعم جميع  
 شعوب العالم وقبايله. لانه لو لم يوجد في عقول البشر حاسية  
 دينية لما كانت للكهنة وارباب السياسة يد يتمسكون بها ولا  
 اساس يبنون عليه. حتى ان نفس وجود الكهنة يستلزم وجود  
 ديانة قبله

ثم انه قد قيل ان الخوف هو علة وجود الآلهة. وذلك ايضا  
 وان سلمنا به يثبت قضيتنا انه يوجد في طبيعة الانسان ما يقتاده  
 الى الديانة بل انه اقرار بصحتها. فالسبب المحرك لايجاد الاديان  
 في الزمان الماضي لا بد ان يكون سببا لايجادها ايضا ما دام



العالم موجوداً. فاذن يكون نفي الديانة من العالم غير ممكن  
 اننا لانعلم الى اية درجة بلغ الكافرون بالله في محو جميع  
 اثار الديانة من قلوبهم. انما لاشك ان بعضهم قد بالغوا في  
 مقاومة الميل الطبيعي وحمود الحاسيات الغريزية. ولكن لنا  
 دلائل كافية على ان ادعاءهم باعدام هذه الحركات فيهم لا صحة  
 له. اذ قد علم ان بعضهم استعبدتهم المخاوف والوساوس اكثر  
 من سائر الناس وان اخرين عند وقوعهم في خطر شديد كتهيجان  
 العواصف البحرية رفضوا كفرهم للوقت وطلبوا الرحمة من الله  
 بحرارة عظيمة كانتهم من اخص المؤمنين. فاذا كان هؤلاء  
 الفلاسفة بكل فلسفتهم لم يقدرُوا ان يحووا الاثار الدينية من  
 عقولهم فلا بد ان يكون نفي الديانة من العالم كله امراً مستحيلاً  
 ولكن لو فرض حصول هذه الغاية الخطيرة ولم يبق للديانة  
 اثر في العالم فاذا تكون النتيجة من ذلك. هل كان الناس  
 يبقون بلا معبود ولا يعود يستخوذ عليهم خوف قووات غير  
 منظورة ولا يحثهم ايضاً توبخ الضمير على استعمال شيء يقدمون  
 به الوفاء عن خطاياهم ولا يقوم ايضاً خداعون وانبياء كذبة  
 يكرون بالعالم ثانية باحلامهم وتخيلاتهم ويدعون بوحى  
 والهلام. ان الذين يتوهمون عدم وقوع شيء نظير ذلك لم يبلغوا  
 كثيراً من معرفة الطبيعة البشرية  
 فاذن الذين يقاومون الديانة المسيحية راجين بملاشائها

الخلاص من الديانة بالكليّة يغشون ذواتهم غشاً عظيماً. ولو  
 تموا هذا العمل للزم تكراره وإعادة نعيمهم مراراً لا نهاية لها. وعوض  
 ديانة المسيح الطاهرة اللطيفة المترفة يجدون انفسهم محاطين  
 بخرافاتٍ دنسة كاذبة هائلة مستحيلة لم يثبت اثراً منها في اخصب  
 اراضي العبادة الوثنية. كما نرى في ما بين الشعوب الاممية  
 حيث الادناس والشفافات متسلسلة بلا انقطاع من الخرافات  
 القديمة في احسن اقاليم الدنيا واكثرها سكاناً. وفي افريقية  
 واميركا حيث القبائل المتوحشة موثوقة في اشدّ العبودية  
 بالخرافات المنكرة. ولولا حسن تاثير ديانة المسيح لثبتت حالاً  
 في بلاد المسيحيين شرورٌ مثلها او اعظم منها. وقد كان آباؤنا  
 قبل تمسكهم بديانة المسيح واقعين في هذه الحالة الشقية نفسها.  
 وانه لامرٌ يستحق ان يُنادى به في الشوارع ان الكتاب المقدس  
 هو الذي اعتنقهم من عبودية الخرافات الخبيثة وانه وحده هو  
 الذي يستطيع ان يمنع تسلطها ثانية علينا. ان الفلسفة لم يكن لها  
 يدٌ في خلاصهم هذا لانها مع كل مدارسها المشهورة وعلمائها  
 البارعين لم تردّ احداً عن العبادة الباطلة. وكذلك ليس لها  
 قوةٌ على منع رجوع الخرافات لو ارتفعت الموانع الاخرى  
 والان فلتتقدم الى الجزء الثاني مما نحن في صددده. وهو  
 انه لو كان نفي الديانة من العالم ممكناً لكان ذلك اشدّ المصائب  
 التي يمكن ان تعترى الجنس البشري



ان العلماء قد اختلفوا قد يما في ايما هو اضر للجمهور الخرافات  
ام الكفر. وقد تداول هذه القضية كثيرون منهم بحكمة بليغة  
وانتهوا الى نتائج مختلفة. غير ان هذه المسألة مهما وقع فيها من  
الريب في الازمنة الماضية لم يبق فيها محل له الان. اذ قد راينا  
من زمن قريب شعبا عظيما قد طرحوا ديانتهم باحتقار  
مبين وغاصوا دفعة واحدة في لجة الكفر. وقد راينا من ذلك  
امتحان الامر هل يمكن قيام شعب كثير العدد بدون ضبط  
من الديانة. وكانت جميع الظروف موافقة بقدر المرغوب  
لنجاحهم في هذا العمل. وذلك من جهة الارتقاء الى اعلى درجة  
من العلم والتقدم في الفلسفة الى نحو الغاية القصوى والاعتناء  
بالتمدن ولطافة الاخلاق اكثر من كل من تقدمهم من  
الشعوب. ومع هذا كله فاي النتيجة. انها مكتوبة باحرف دموية  
عبرة لمن يعتبر. كان براكية عظيمة هاجت من احشاء الارض  
وهي نذف طوفانا ناريا على جميع اوربا. ان العالم لم يشاهد قبلا  
وليته لا يشاهد ايضا مثل ذلك المنظر من الفسادة والحقد القبيح  
والنجاسة الوحشية والكفر الشنيع والظلم الهائل. وربما لم يلحق  
ذلك الليل الحالك الظلام صبح لو لم يكن في ذلك الامر  
الذميم ما يودى الى فساد وسقوط عاجلا. وذلك من حيث  
انه ليس للكفر رباط لاتحاد اصحابه ولا اساس للالفة بينهم. لكنه  
يلقي على كل شخص نهمة ومن ثم يسبب في كل قلب بغضة.

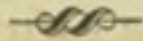
وليس فيه علة لعل سوء مجرد محبة الذات التي لا تعتبر  
رباطات الطبيعة ولا تلتفت الى ما يوجب الشكر والمحبة. واما  
الحاسية الغالبة في قلب الكافر فهي الخوف. لانه عند شعوره  
بخلو نفسه من الفضيلة والشرف والرحمة يرى الاخرين على هذه  
الحالة ايضاً فيخاف منهم ويكون مستعداً لرفعهم من طريقه باية  
واسطة كانت عند ما يظن انهم يصدونه عن اتمام مقاصد.  
ولاجل ذلك قد ادار اوليك الكفرة سلاحهم بعضاً على بعض  
بعد ان سفكوا دماء المسيحيين الابرياء والكهنة الذين لا ذنب  
لهم. ومن ثم غير مكثفين بقتل الذين خافوا منهم او حسدوهم  
نزهوا ابصارهم يومياً بمشاهدة سيول الدماء الجارية بلا انقطاع  
من تحت سيوف الجالدين. فان عدل الله لم يظهر قط على  
النساء الاردياء على نوع اجلى مما ظهر في جعله هولاء الاشرار  
آلة للانتقام بعضهم من بعض. وقد كانت الاداب العمومية  
في تلك البلاد في مدة نفي الديانة المسيحية على حالة من الفساد  
تفوق التصديق. وقد اخبر من شاهد هذه الامور عياناً وكان  
له عمل فيها انه كان بكثرة عدد الذين يقتلون انفسهم وكانت  
السيجون ممتلئة من اناس غير مذنبين وكانت رؤس المحكوم  
عليهم تقطع بلا انقطاع وشاع الخنك والغدر من كل نوع  
والازدراء بسلطان الوالدين وابطاح الفواحش باخذ اللواتي  
سموهن أمهات غير متزوجات. وكثر الطلاق حتى ان نحو



سنة الافِ طَلَّفُوا نِسَاءَهُمْ فِي مَدِينَةِ بَارِيسِ وَحَدَّاهَا فِي نَحْوِ  
 سَنَتَيْنِ بَعْدَ اجَازَةِ الطَّلَاقِ شَرْعًا. وَبِالِاخْتِصَارِ كَانَ هُنَاكَ كُلُّ  
 مَا يُعَدُّ الْفَحْشَ بَيْنَ الرِّذَالِ وَاقْطَعُ بَيْنَ الْمَظَالِمِ. فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ  
 اِثْمَارُ الْكُفْرِ الْحَقِيقِيَّةِ فَالْأُولَى بِنَا انْ نَخْتَارُ عَلَيْهَا الْخَرَافَاتِ  
 بِاشْتِعَاصِ صُورَتِهَا. لِأَنَّ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْخَرَافَاتِ هَذَا الْفَرْقُ الْعَظِيمُ  
 وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ رُبَّمَا تَحُلُّ بَعْضَ الذُّنُوبِ وَأَمَّا ذَلِكَ فَيُفْتَحُ الْإِبْوَابَ  
 لِجَمِيعِهَا. هَذِهِ تَحْجُزُ وَلَوْ قَلِيلًا عَنِ الشَّرِّ وَأَمَّا ذَلِكَ فَيُرْفَعُ كُلُّ مَانِعٍ  
 لَهُ. لِأَنَّ كُلَّ نَوْعٍ مِنَ الدِّيَانَةِ لَا يَدُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ بَعْضُ مَخَافٍ  
 لِمَنْ يَرْتَكِبُ الذُّنُوبَ أَمَّا الْكُفْرُ فَيَعِدُّ بِرَأْفَةٍ كَامِلَةٍ مِنْ كُلِّ  
 قِصَاصٍ وَيَسِمُ الْفَضِيلَةَ نَفْسَهَا بِسِمَةِ الْجَهْلِ

وَلَكِنْ لَا نَنْظُرُ أَنْ جَمِيعَ الشَّعْبِ فِي فِرْنَسَا كَفَرُوا فِي تِلْكَ الْمَلَكَةِ.  
 حَاشَاؤُ مِنْ ذَلِكَ. فَانْ أَكْثَرُهُمْ نَظَرُوا إِلَى ذَلِكَ الْمَنْظَرِ بِمَقْتِ  
 وَكَرَاهَةٍ. وَلَكِنْ كَانَ السُّلْطَانُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِ الْفَلَسْفَةِ الْكَافِرِينَ وَمَعَ  
 أَنَّهُمْ كَانُوا جَانِبًا صَغِيرًا مِنَ الشَّعْبِ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَعْمَلُوا ضَرَرًا  
 هَذَا مَقْدَارُهُ. غَيْرَ أَنَّنَا مِنْ هَذَا الْمِثَالِ نَقْدِرُ أَنْ نَحْكُمَ كَيْفَ يَكُونُ  
 الْحَالُ لَوْ كَفَرَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَتَحَرَّرَ مِنْ نَصَائِحِ الضَّمِيرِ وَرَبَابَاتِ  
 الدِّيَانَةِ عَلَى أَنْ هَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَلَوْ كَانَ لِاعْتِرَافِ الْجَمِيعِ  
 بِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مَصِيبَةٌ أَشَدُّ مِنْهَا عَلَى الْأَرْضِ وَكَانَتْ  
 صُورَةُ جَهَنَّمَ بَعَيْنِهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا. لِأَنَّهُ لَا يَوْجَدُ فِي جَهَنَّمَ شَيْءٌ  
 أَرْعَبُ مِنْ عَدَمِ وَجُودِ كُلِّ رَجَاءٍ وَرَفْعِ كُلِّ مَانِعٍ عَنِ ارْتِكَابِ

الشرور وابتاحه جميع الشهوات الرديئة. غير ان بين المحالين  
 اخلاقاً ظاهراً في امر واحد وهو ان الكافرين ينكرون الاله  
 الذي خلقهم واهل جهنم يؤمنون به ويرتعدون منه





## الفصل الثالث

في انه لو رُفِضَت الديانة المسيحية لما وجدت ديانةً اخرى  
تقوم مقامها وتصلح للعناية التي لاجلها نحتاج الى ديانة

قد ثبت في الفصل السابق ان التمسك بديانة امر  
ضروري. والان لنا الديانة المسيحية التي هي بحسب اقرار الكفرة  
انفسهم تصلح لغايات كثيرة حسنة. فان اردنا ابدالها باخرى  
يجب ان نعمن النظر جيداً في الافادة المنتظرة من هذه المبادلة.  
فاننا ان ارانا احد ديانة افضل منها ومبنية على براهين اثبت  
من براهينها يجب ان نتركها بكل رضى. والا فلا يوافق العقل  
ان نترك خيراً حاصلًا بدون ان نحصل على ما يعادله. لان  
ذلك يكون كأن ركاب سفينة نتقدم بامن الى الميناء المقصود  
يعزمون على تركها من غير ان يعرفوا سفينة اخرى يركبونها  
وذلك مجرد زعم بعضهم انها سوف تغرق. فليظهر اعداء الديانة  
المسيحية مقصودهم ويخبرونا ما هو الذي يريدون ان يضعوه  
عوض الكتاب المقدس ان امكنهم. والا فلا يلزمونا برفض اعز  
آمالنا بدون معرفة ما يعوض به علينا عن خسارتنا  
ان هذا امر كلي الاعتياد ومنحق العناية الجسيمة. لانه ان

قُصِدَ بالحقيقة وضع ديانته اخرى عوض الديانة المسيحية فمن  
 المعلوم انه يجب قبل المبادلة ان تكون لنا فرصة لفحص بيناتها  
 واصولها لنعرف هل تصلح للغاية التي لاجلها نحتاج الى ديانته .  
 ولاجل تسهيل المباحثة في هذا الموضوع يجب ان ننظر الى العالم  
 اجمع ونسال ما هي الاشياء التي امامنا للاختيار فيها . فالتى  
 يسعنا ان نتكلم فيها اثنتان الاولى عبادة الاوثان من الطرق  
 الموجودة في ايامنا او في الاجيال الماضية . والثانية الديانة  
 الطبيعية اى اتباع ارشاد الطبيعة في الديانة من دون وحي  
 اما الديانة الوثنية فنبيّن نقايصها في محلها ونكتفي هنا بذكر  
 البعض من الذين تجاسروا على طلب اعادتها . فنقول انهم وان  
 كانوا قليلين لكن يوجد اناس مثل هولاء منهم المعلم كيون . على  
 انه لم يصرح بهنا الاعتراف جلياً بل يُستنتج من اقواله في تاريخ  
 انحطاط الملكة الرومانية وانقلابها انه قد حزن جداً على  
 انقراض الديانة الوثنية القديمة ولم يسره تقدم الديانة المسيحية  
 اصلاً . فانه برينا انه لو رجع الامر الى ارادته لما سمح بابطال  
 الطرق القديمة ولا وجدت الديانة المسيحية مقراً . ولكن لا يصرح  
 بفكره هل يريد بناء الهياكل ثانية وترجيع الطقوس الوثنية .  
 وتعمير معرفة قصدي في مقاومة الديانة المسيحية ولا نعلم هل كان  
 له قصد اخر سوى اظهار بغضه للانجيل وصاحبه  
 ثم ان المعلم تيلور قد اقر علانية باستحسانه ديانة افلاطون



وارادته احبائها ايضاً واستخفر الديانة المسيحية بالنسبة اليها.  
ولكن لا نرى كيف حسب تلك الديانة موافقة لجمهور البشر  
الذين لم يكن لها تاثيرٌ فيهم البتة ما دام الفيلسوف ذاته حياً. ولا  
تصلح هذه الديانة ان تكون عوضاً عن الديانة المسيحية التي من  
الطف محاسنها ان المساكين يبشرون بالانجيل. ثم اننا اذا  
كُشِفَ الحقي فلا ريب ان نرى ذلك العقل السامي اي عقل  
افلاطون قد استمدَّ بعضاً من افضل مبادئه من الكتب  
المقدسة اما بواسطة او بغير واسطة. وانه لو عاش في نور  
الانجيل لما نظر الى الديانة المسيحية نظراً هذا المعلم الكافر  
ثم انه في زمان الانقلاب في فرانساً بعد امتحان احوال  
الاشياء مع نفي كل ديانتها اشار احدهم باقامة ديانتها جديدة مثل  
ديانة الفرس القدماء. وهي ان يشار الى الجوهر الالهي بنارٍ دائمة  
وان يقرب له قرابين من الاثمار والزيت والملح ويسكب سكايب  
من الخمر الى العناصر الاربعة. ورسم ان تمارس العبادة يومياً  
في الهيكل وان كل يومٍ تاسع يكون سبباً للراحة وان يشترك  
الجميع بالرقص والملاهي في اعياد معلومة. وقد اتبع هذه الديانة  
الحديثة بعض انفار في باريس وغيرها. ولكن لم يلتفت اليهم وبعد  
برهة يسيرة انطلقا خبرهم وانقرضوا  
واما اختيار الديانة الطبيعية اذا رفضت الديانة المسيحية  
فنقول فيه ان البعض من تابعي هذه الديانة قد تجاوزوا الحدود

في مدحها وتعظيمها على انها حاوية جميع ما يلزم الانسان  
 معرفته وانها بسيطة ومفهومة عند الخاص والعام. ولكن  
 يا للعجب لان من اثنين منهم يتفقان في ما هي الامور الجوهرية  
 للديانة التي لا بد من تعيينها قبل امكان ترتيب عبادة دينية.  
 فيختلفون على مسائل مثل هذه. وهي هل يوجد فرق في الحقيقة  
 بين الحلال والمحرام. هل يلتفت الله الى الامور البشرية.  
 هل النفس خالدة. هل الصلوة واجبة ونافعة. هل الطقوس  
 الخارجية لازمة في العبادة

وايضاً لو كانت الديانة الطبيعية هي الديانة الحقيقية فلماذا  
 لم تنمُ التقوى بين تابعيها. ولماذا لم يغاروا على عبادته تعالى.  
 أفلا تزداد التقوى بواسطة الحق وألا يكون المتمسكون بالحق  
 يحبون الله اعظم محبة ويعبدونه احق عبادة. ولكن ما هي  
 حالة هؤلاء الأشخاص. هل اشتهروا بحسن العبادة. وهل كثير  
 فيهم امثلة صالحة في السيرة التقوية. كالأبل الامر بالعكس حتى  
 ان مثل هذا السؤال عليه هيئة الهزء عند من يعرفهم. واذا قيل  
 كافرٌ نقيٌّ فكما يقال لصٌ امينٌ او سكرانٌ صاِحٌّ

وليس قولنا هذا على سبيل التهمة. لان الكافرين لا يدعون  
 بالتقوى ولا يحبون العبادة وهي نفس الشيء الذي يريدون  
 ان يتخلصوا منه. ولو كانوا يظنون ان الكفر بوجوب زيادة التقوى  
 والعبادة لما كانوا يغارون عليه كما نراهم. فان الخصام ليس بين



ديانته واخرى ولكن بين الديانة وعدمها . لانه لا يمكن لصاحب  
التقوى الحقيقية ان يرفض الكتاب المقدس ولو لم يطلع على  
الادلة التاريخية لصحة بل كان يحكم مناسباً لذوقه ومفيداً لنفسه  
حتى يتيقن ان مصدره من السماء . ولكن مثل هذا الروح لا نجد  
في تصانيف الكافرين لاولاً شيئاً من حفظ التقوى بل نجد  
كثيراً من الهزؤ والسماجة . واذا التفتنا من الكتاب المقدس  
اليهم نكون كمن ينتقل من مكان معتدل الهوائ الى زمهرير  
المنطقة المتجمدة . فاذا اراد الكافرون ان ينظر الناس الى ديانتهم  
بالرضى والقبول يجب ان يُظهروا التقوى الحقيقية مهتمين في  
خدمة الله بخلوص القلب . فذلك يؤثر اكثر من كل براهمتهم .  
ولكن حينئذ لانعود نجدهم مصادين للكتاب المقدس بل  
معتبرين اياه كاشرف الكتب ومقبلين اليه ليوطدوا به اركان  
التقوى النقية . فقد صدق امير من سودان افريقية حضر الى  
بلاد الانكليز وسئل ما ظنك في الكتاب المقدس اذ قال  
اظنه من الله لاني ارى كل الصالحين معه وكل الاشرار عليه  
ثم ان الكافرين لم يستطيعوا قط ان ينشوا لذواتهم طريقة  
للعبادة ولا ان يثبتوا عليها اذا انشوها . مع انهم قد اجتهدوا في  
هذا الامر مراراً في اماكن كثيرة وفي اوقات مختلفة . والعلة  
الكبرى انما هي خلو نفوسهم من روح التقوى وحسن العبادة  
ولنا امثلة كثيرة لصحة هذه القضية منها قسيس في ليفربول

قد رفض الكتب المقدسة وتمسك بالديانة الطبيعية . فانه  
 ذهب الى مدينة لندن وهناك ففتح بيتاً لاجل العبادة على مذهبه  
 بموازرة البعض من ذوي الاقتدار واخترع طقساً اكثره تقديم  
 تسابيح وشكر للخالق فوعظ هناك مدة يسيرة وتبعه اناس قلائل .  
 لكنه راي اكثر جماعته لم يبقوا عند مذهبه بل تقدموا الى الكفر  
 بالله ايضاً . وبعد اربع سنين لم يبق له نفقة ولا جماعة فانتهى  
 الامر على ذلك

ثم ان فردريك الثاني الشهير ملك بروسيا التمسك  
 بالاقرار المذكور قصد بناء هيكل في برلين لاجل اتباع جميع  
 المذاهب والاديان . وكانت الغاية العظمى في ذلك انما هي  
 استيصال الديانة المسيحية الا انه لم يتم له العمل

ثم انه في ايام الانقلاب في فرنسا بعدما وجدوا انه لا بد  
 من نوع من العبادة قام جماعة من الاكابر والعلماء وانشأوا  
 طريقة لعبادة الله حسب اصول الديانة الطبيعية واستعملوا  
 الكنائس اماكن لعبادتهم . وكان دستور ايمانهم بسيطاً حاوياً  
 قضيتين كبيرتين وهما وجود الله وخلود النفس . وكانت  
 شريعتهم الادبية حاوية مبدئين كبيرين وهما محبة الله ومحبة  
 الناس . وكانت عبادتهم تحوي على صلوات وتسابيح مكتوبة  
 في كتاب لارشاد العابدين في العبادة . وفي اجتماعاتهم كان  
 يخطب بعض الاعضاء ولكن لم يُسمح ان يقدم خطاب للجمهور



الأبعد فخصه من المناظرين. وقد اضيف الى هذه بعض طقوس  
بسيطة كوضع طبق اثمار وزهور على المذبح. وكانوا يستعملون  
الموسيقى بالاصوات والآلات في اجتماعاتهم. وجدوا كل الجهد  
في ادخال هذه العبادة الى كل مدن فرنسا المشهورة. وانتشرت  
مقاصد جمعيتهم الى بلاد اخرى. وتوجه كتابهم الى جميع اقطار  
بلاد فرنسا بامر وزير الامور الداخلية

فانه لم تكن قط لجمعية اخرى في بدايتها وسابغ اعظم  
وانسب مما كان هذه الجمعية. لان الديانة المسيحية كانت قد  
رُفِضت باحتقار. وقد اتُخِن الكفر بالله مدَّة يسيرة فوجد غير  
محتمل. والحكم كان موافقا لهذا المقصد وسعى به اناس ارباب  
سطوة وعلم. وكانت لهذا المذهب الجديد كنائس مبنية معدة.  
وطريقة الديانة الطبيعية التي اخترعوها كانت افضل ما يتصور.  
ولم يخلُ تركيب صلواتهم وطقوسهم من حكمة وفطنة. ولكن  
مع موافقة جميع هذه الظروف لم تقدر الجمعية ان تقوم. بل من  
البداية كان اكثر الذين يجتمعون في اجتماعاتهم ناظرين فقط  
يحضرون على سبيل التفرج لا من اهل هذه الطريقة. وبعد برهة  
يسيرة لم يبق لهم من يسمع خطاباتهم. ورويدا رويدا نلاشوا ولم يبق  
لهم الا ان اثر

فتكون معرفة الاسباب المانعة نجاح جمعية متمنعة بمثل  
هذه الوسائط مفيدة لكل طالب. ولا ريب ان اعظمها ما كان

الأعدم وجود روح النفوس الحقيقية فيها. وقد ظهر ذلك في  
 بداية اجتماعاتهم لأنه لم يوجد فيها شيء يحرك عواطف القلوب .  
 وذلك بما ان خطباءهم مع كونهم من اهل العلم وخطباتهم تعلم  
 اصول الآداب لم يكونوا من ذوي النفوس ولا كانت سيرتهم  
 دائماً طاهرة. وكذلك تسابيحهم ربما كانت حسنة الانشاء وشجيرة  
 الالحان ولكن اصحاب هذه الالحان كانوا من الذين يغنون في  
 المراسم ولم يكن شيء من حسن العبادة في قلوبهم. واهل هذه  
 الطريقة كانوا ايضا يخلون جداً في تقديم ما يلزم الجمعية من المال  
 حتى انهم لم يقدروا ان يجمعوا في بعض جمعياتهم ما تجتمع افقر  
 جماعات المسيحيين في يوم واحد. فبعد هذا لا يُظن ان الذين  
 يفترون بالديانة الطبيعية او غيرهم من الكفرة يخترعون لذواتهم  
 طريقة مخصوصة للعبادة

ولكن عند البعض من الفلاسفة الذين يعتقدون ان  
 الطبيعة البشرية يمكن ان تصل الى درجة الكمال بواسطة تأثير  
 العلم والحكم الحسن يوجد نظراً وهي بقيام ديانة عقلية فلسفية  
 لا تحتاج الى طفوس خارجية. وعقائدهم الاصلية هي ان الديانة  
 امر بين الله وضمير الانسان فقط. وان جميع ما يطلبه الخالق  
 من الناس ليس هو الا عبادة القلب. واننا ان اشعرنا بالاحترام  
 والشكر والخضوع نحوه تعالى وقمنا بما يجب علينا نحو الجمهور  
 فقد تمنا الواجب علينا. وانه لا يمكننا ان نعرف ماذا يصيبنا



بعد الموت . ولا ينبغي ان نشوش ضمائرنا في ذلك . فاننا لانعلم  
هل يقصدون جعل هذه الديانة للفلاسفة فقط امر للبسطاء  
وذوي الاشغال ايضاً . ولكننا نعلم ان جمهور البسطاء والجهلاء  
يصيرون بهذا كأن لا ديانة لهم . لان اكثر الناس يحتاجون الى  
شي محسوس منظور في الديانة فيطلبون ممارسة الطقوس والالفة  
للحافل لاجل حصر الافكار وابتعاد الرغبة وتحريك الحواس  
في العبادة . وكذلك اذا اثرت حركات التقوى في القلب تطلب  
الطبيعة اظهارها في الخارج حتى انه حينما اشعرت اشخاص  
بحاسيات متشابهة في الديانة فلاسفة كانوا ام سادجين فهناك  
يوجد ميل شديد الى ان يشتركوا في اظهارها . فاصحاب الافكار  
التقية يسرون بان يشهروها بالاتفاق في حمد وعبادة الاله  
الذي يحبونه ويتقونه . ولا يوجد سبب لاختلاف هذه الحركات  
ومنع النطق بها ولا يمكن ان يقع ذلك عموماً مع كون التقوى  
نقوم خاصة بحركات القلب . لان من فضل القلب يتكلم الفم .  
فهذه الديانة العقلية الموهومة تكون صحتها مشتبهة وسطوتها  
ضعيفة وتأثيرها في سيرة من يعتقد بها قليلاً ولا يمكن ان تكون  
مفيدة للاخرين على سبيل الاقتداء

وفي سنة ١٨٠٢ اعيدت الديانة المسيحية الى فرنسا بامر  
الحكم وحينئذ قال احد اكابرهم في خطابه امام ارباب الديوان  
والحكم ان الدين يفوزون بمعرفة العالم لا يكونون الا قلابل .

واما الديانة فيتعلم الانسان بها بدون ان يكون عالماً. فيما ان  
 الديانة الطبيعية التي يصل اليها شخصٌ بواسطة العقل المهدب  
 عقلية نظرية فلا تناسب شعباً من الشعوب. واما الديانة الموحى  
 بها فهي التي تشير الى جميع الحقايق المفيدة للذين ليس لهم فرصة  
 ولا وسائط للفحص المدقق. فمن الذي يريد ان يجتف ذلك  
 النبيوع المقدس الذي ينبع علماً ويفيض رسوماً صالحة ويقدمها  
 لنظر كل انسان ويعطيها ذلك السلطان وتلك الهبة المقبولة  
 التي بدونها تكون تلك الرسوم مجهولة عند الجمهور وربما عند  
 جميع الناس ايضاً. فانه لعدم التربية الدينية في العشر سنين  
 الماضية قد صارت اولادنا كأنها عادمة المعرفة بصفات الباري  
 تعالى والتمييز بين الحرام والحلال. فمن ذلك نتج العوايد  
 البربرية وبصير الشعب متوحشاً حتى انه لا بد من الحزن  
 الشديد على ما سوف يصيب هذا الجيل وما بعده. فوا اسفاه ما  
 الذي رجناه بانحرافنا عن السبيل الذي ارشدنا اليه اسلافنا  
 وما الذي استندناه باخذنا تعاليم باطلة عوض التعاليم التي  
 كانت تحرك قلوب اوليك الفاضلين تورين وفنلون  
 وباسكال. انتهى

وما ذكرناه عسى ان يكفي لاثبات قضيتنا الثانية التي هي  
 لورفضت الديانة المسيحية لما وجدت اخرى تقوم مقامها. او  
 بالاقل لم توجد ديانة تصلح للغاية التي لاجلها نحتاج الى ديانة



## الفصل الرابع

في لزوم الوحي لتعلمنا كيف نعبد الله عبادة مقبولة وما  
هو العالم الآتي وحقيقته وجوده وعلى الخصوص كيف  
السييل لخلاص الخطاة

لا حاجة الى تكرار ما ذكرناه في الفصل السابق من احتياج  
الانسان الى الوحي عند خروجه من يد خالقه بل ننظر الان الى  
الانسان في الحالة التي هو عليها في الوقت الحاضر والتي حسب  
التواريخ كان عليها منذ القديم ونسال ألا يحتاج جنّا الى نور  
أكثر من المألّه وألا توجد بعض قضايا ضرورية يجهلها لا محالة ما لم  
تُعلن له معرفة الحق بوحي من ربه. ومن ثم نرى لزوم مثل ذلك  
الوحي. ولكننا بقولنا لزوم الوحي ليس مرادنا لزوماً طبيعياً ولا  
ان الله ملتزم باعطائه وحي ولكن المراد انما هو اللزوم الذي  
يتعلق باحتياجات الانسان. فكاننا قلنا ان الانسان في كل  
زمان وعلى جميع الاحوال قد وُجد محتاجاً الى معرفة لا يمكنه  
الوصول اليها بمجرد استعمال عقله بل يفتقر الى وحي من ربه  
لتحصيلها على نوع كافٍ  
وانه لو استطاع بعض الفلاسفة ذوو العقول الثاقبة ان

يكشفوا ببحثٍ طويلٍ عميقٍ عن جميع الحقائق اللازمة معرفتها  
 بالضرورة لبقى اعلان هذه الاشياء بوحىٍ من الله لازماً جداً للجمهور  
 اذ لا يوجد لاكثر الناس فرصة أو طاقة على فحصٍ طويلٍ عسير  
 مثل هذا. ولكن حقيقة الامر حسبنا نعلم من التاريخ هي ان حكماء  
 هذا العالم وجهلاءه قد كانوا في الجهالة على حدٍ سوى من  
 جهة تلك القضايا التي يحتاج الانسان الى معرفتها اشد  
 احتياج. فانهم بعد ان احتجوا كثيراً وتوهموا ونظروا الى حد  
 امتداد العقل البشري قد عجزوا عن تحصيل الحق بدون شبهة  
 واكتفوا اخيراً بمجرد الظن او زاغوا الى ضلالٍ مبين  
 وايضاً لو كان نور الطبيعة كافياً للدلالة على شي من  
 الحقائق المعتبرة اللازمة معرفتها للانسان فانه لا يبطل بذلك  
 احتياجه الى اعلانٍ واضحٍ من السماء مثبتٍ بالبيئات الصريحة  
 يزيل بحكمه القاطع الشك من امورٍ فيها نتائج العقل ضعيفة  
 مهمة. لانه من اشد الضرورة في الحقائق الدينية لكي تؤثر في  
 الضمير وتحرك القلب ان تكون معلومة لا يشوبها ريب وان  
 يشعر الناس بكونها مثبتة بسلطان الهى. فانه قد وجد بالاختبار  
 ان ما يكشفه الانسان بالاستنتاج العقلي شيئاً فشيئاً فعلة في  
 الضمير ضعيف بالنسبة الى اليقين بان الله هو المخاطب لنا  
 بواسطة وحى من عنده. ثم ان الناس يختلفون كثيراً في اعظم  
 الحقائق وذلك مما يلقي الشك والريب على جميع آرائهم. وعند ما



نقرأ خطب احكم الحكماء الوثنيين ونلاحظ ما غشبههم من الظلام  
 نحزن على ضعف العقل البشري حتى ان الافضل فيهم قد اشعروا  
 وتحفتوا بعدم كفاية العقل لادراكهم الحقائق وقد لاح لهم احياناً  
 رجاء ضعيف بانة في زمان ما سيعلن بطريقة غير معروفة تعليم  
 الهى لبني البشر الضالين

وبين ايضاً ان اوضح افكار الفلاسفة واعظها في الديانة لم  
 تكشفها عقولهم ولم تكن نوراً او قدته الطبيعة ولكنها كانت اشعة  
 حتى قد اخذت بعيداً او قريباً من وحي الهى كما سبقت الاشارة  
 اليه. ونعلم ان الحكماء الوثنيين قد نسبوا كل معرفتهم الى  
 تقاليد وصلت اليهم خلفاً عن سلف

وانها قضية لا يمكن انكارها ان العقل مع مساعدة التقليد  
 ترك الناس يمشون في الظلام ولم يمنعمهم من السقوط في اقعج انواع  
 العبادة الوثنية. نعم ان العقل يعلم بوجود الله ووجوب عبادته  
 الا انه لا يعلم البتة من ابي نوع يجب ان تكون العبادة لكي تكون  
 مقبولة وليس ذلك في مكنته. فان جميع ما استنبطه الانسان  
 من طقوس العبادة لا يلقى بالله اصلاً ومن المحال ان يخترع  
 الانسان طريقة عبادة مقبولة اذ لا يرضى الله بخدمته من هذا  
 القبيل لم يفرضها هو بنفسه. فلذلك ان فقد الانسان فرايض  
 الديانة الاصلية او صارت فاسدة باجمعها فقبل ما يستطيع ان  
 يودى خدمة مقبولة لخالفه لا بد له من وحي جديد. ولنا براهين

كافية لاقتناعنا بان كثيراً من طقوس العبادة عند الوثنيين انما هو رسومٌ اهلية فاسدة قد اعطيت للناس بوحىٍ سابقٍ ولا سيما في ما يلاحظ الذبايح التي كانت جزاً جوهرياً من عبادة جميع الشعوب القديمة. ومن تلك العبادة قد وصل بعض اثارها الى القبائل البربرية في هذه الايام بواسطة التقليد. فلا ريب ان العقل لم يعلم الناس اصلاً بان سفك الدم في قتل حيوان يكون ذبيحةً مقبولة عند الله او ان تقدمه ذلك على مذبحٍ واحراق جميعه او جزه منه يكون كفارة عن الخطية. ومع ذلك قد عمّت هذه الطقوس العالم الاقليلاً كهموم قوة النطق. ثم انه قد مُحِطَّت مشابهة كلية بين ذبايح شعوب بعيدة جداً عن بعضها في ظروف الذبايح كبناء المذابح وسفك الدم وتسخين الحيوان وتقديم ملح وخمر وخبز وبخور مع الذبايح واعتبار دم الذبيح وموتها كفارة عن الخطية ووجود رتبة كهنوت لخدمة هذه الطقوس المقدسة ممن تكرر سوا للخدمة بكل وقارٍ وحُسبوا اطهر من غيرهم واكلمهم ما يبقى من الذبيح داخل الهيكل او الحدود المقدسة اذا كان لم يحرق جميعه. ونرى هذه المشابهة ايضاً في ذات تسمية الذبايح المشابهة باسم واحدٍ عند شعوبٍ مختلفة. فهذه المشابهات القريبة ونظايرها من طقوس الشعوب القديمة تبرهن انها من اصل واحد لا محالة. وكون ذلك الاصل وحياً سابقاً اصدق مما يُعَلَّل به عن عادة الذبايح ومن ثم نرى صدق التاريخ



الموسوي في اصل العبادة الدينية  
 واذا فرضنا ان طائفة وثنية قد اقتنعت ببطلان عبادة  
 الوثن وشعرت بانها ملتزمة ان تودي عبادة خارجية الى  
 الخالق جل شانہ فبآية واسطة تتوصل الى معرفة النوع المقبول  
 من العبادة. فان العقل لا يستطيع ان يعلمها ما هي الطقوس  
 الواجب استعمالها وبدون وحي من الله لا بد ان تنفي الى الابد  
 بغير طريقة للعبادة او تخترع بعض طقوس يعلم كل اخبار  
 سابق بانها لا تسلم من اثر الضعف البشري. واذا كان ذلك  
 كذلك يظهر ان الانسان يحتاج الى وحي يعلمه كيف يقدم  
 العبادة المقبولة لخالقه ولو فرضنا انه ليس بخطئ  
 قد ادعى بعض مولفي الكافرين ان كيفية عبادة الله امر  
 لا طائل له لان الله يرضى بعبادة جميع الشعوب على حد سوي  
 مهما اختلفت كيفية عبادتهم. ولكن هذا الاعتقاد مصاد للعدل  
 السليم كل المضادة. فانه بحسب هذا المبدأ يتبرر تقديم الذبايح  
 الانسانية الذي قد كثر جدا في العالم وتكون ادنى العواید  
 وارداها مقبولة عند الله. ان عبادة الشعوب الوثنيين باسرها  
 في الازمنة القديمة والحديثة مكروهة جدا وكل من له نظر لا يثق  
 في صفات الله لا يمكن ان يقنع نفسه بانه تعالى يرتضي عبادات  
 متصفة بالفساوة والنجاسة والجهالة مثل هذه. ولا تنج عبادتهم  
 نحو الاله الحقيقي بل نحو الهة كاذبة هم قد استنبطوها فلا

يدبحون لله بل للشياطين. وقد وضعوا مكان الاله العظيم مخلوقات من كل جنس ونوع. لا يتدر عاقل ان ينظر الى هيكل وثني الا ان يشعرو ويندهل من طفوس تلك العبادة المكروهة الدنسة. وكما ازددنا تاملًا في هذا الموضوع زاد نظرنا شدة احتياجنا الى وحي الهى وادراكنا منافع العظمة للجنس البشري. فمن يقدر ان يتف مثلًا على اخبار الهة المصريين القدماء او الهنود الحداثاء وعبادتهم الوثنية ولا يرى شدة الاحتياج الى ما يكشف تلك الظلمة الهائلة ويقطع رباطات تلك الخرافات الفاحشة

ثم لنا برهان اخر للاحتياج الى وحي الهى وهو انه بدون الوحي لا بد للانسان من ان يبنى جاهلاً باصله وباخرته ولا يستطيع ان يفهم الظروف التي هو فيها. فيجد نفسه في هذا العالم ويشعر بان مرور الزمان حامل له ولسابر جيله الى هاوية مظلمة امامه لا يرى منها فراراً. واذا سال عن اصل الجنس البشري وطلب معرفة كيفية وجوده الاثيم الشقي المابت لا يجد احداً من الاحياء او الاموات يعطيه خبراً كافياً. ان جميع تقليدات الناس وتواريخهم عن الاجيال الاولى مشحونة كذباً وان صدقت في بعض الاشياء فالصدق والكذب فيها ممتزجان حتى لا يمكن التمييز بينهما. فلو ارتفعت الاخبار الموجودة في الكتاب المقدس لكان كل ما نعلمناه من غيره



لا يبيننا البتة في معرفة اصل جنسنا. والكافر بالوحي لا يمكنه  
ان يعلل بما يوافق العقل عن خطية الانسان وشقاوته وموته.  
فان ظلام هذه الامور وابهامها قد اجأ كثيرين من الذين  
انكروا سلطان الكتاب المقدس ان يتمسكوا بوهميات بعيدة  
وكفرية في شان اصل الانسان. فادّعى بعض بالاعتقاد ان  
الارض وسكانها قد كانت منذ الازل. وبما ان ذلك محال  
لا حاجة الى الرد عليه. وتسلى اخرون وسلوا من يقرأ مصنفاتهم  
بان الجنس البشري كان في الاصل نوعاً من الاقاراد ثم طرحوا  
عنهم بالتدرج صورتهم وعوايدهم الوحشية وبعض زوايد غير  
بشرية وعلى التوالي الابام استنبطوا اللغة والصنایع اللازمة للبدن  
في لباسه ومأواه وصاروا يتقدمون درجة بعد درجة في الاصطلاح  
حتى وصلوا الى هذه الدرجة من التمدن والنظام التي وصل  
اليها احسن الطوائف تمدناً. فاوهم مثل هذه كافية لبيان كون  
نور العقل في هذا الموضوع قليلاً جداً وكوننا في غاية الاحتياج  
الى وحي الهي. فلا يمكن من يكفر به ان يستنبط رأياً بروي به  
غلبنا ويعطي خبراً كافياً عن حالة جنسنا الادبية وتعرضه  
للفناء. نعم انه قد يمكنه ان يقول ان ذلك سنة الطبيعة الا ان هذا  
القول انما هو اقرار بالواقع لاعطائه سبب وجوده  
ولربما كنا نرتضي ان نبقي بدون معرفة اصلنا لو كان يمكننا  
معرفة نصيبنا المستقبل وكيف يتعلق ذلك بصفاتنا وسيرتنا

الحاضرة. فان العقل قد اجتهد حتى استفرغ كل قواه في اثبات  
 خلود النفس اثباتا غير متزعزع. ولكن نتائج هذا التعلل لم  
 تكن الا بيان الامكان او الاحتمال الارجح ان النفس تبقى حية  
 بعد موت الجسد. والحال اننا في هذه القضية اكثر من غيرها  
 نحتاج الى كمال التحقيق. فكم من غموم كان يشملنا لو تبرقعنا  
 بظلام الشك والريب عند ما ننظر الى المستقبل ولا سيما لو لم  
 يكن لنا ما تمسك به الا نتائج عقولنا الضعيفة واوهامها عند  
 نزولنا في القبر. ولا يُظن اننا نحفر قوة البراهين العقلية لخلود  
 النفس. لان كثيرا من الفلاسفة الوثنيين قد كانوا يعتقدون  
 بموت النفس مع الجسد ومن الذين كانوا يؤمنون بوجود الاخرة  
 كان اناس يعتقدون بموت النفس بعد مضي الف سنة او اكثر.  
 واخرون كثيرون كانوا يعتقدون بتناسخ الانفس من جسد  
 حيوان الى اخر مداولة دائمة. واكثر من هؤلاء كانوا يتصوروا  
 المخلود الا ان النفس التي كانوا يعتقدون انها جزء من الاله  
 ترجع عند الموت وتمتزج بالجواهر الالهية وما هذا الا انكار وجود  
 عقيد لانفس مفردة ذوات اشعار شخصي. حتى انه لمثل سقراط  
 وافلاطون وشيشرون لم يكن رأيي بين وثابت في هذا الموضوع  
 العظيم. وليس ذلك لعدم استعمال عقولهم الحاذقة لان هذا  
 الموضوع اشغل عقولهم اكثر من غيره. ولكن لانه كان محناطاً  
 بظلام لا يستطيع العقل المجرد عن المساعدة من الله ان يكشفه.



وكم من الفرع كان يشمل اوليك الفلاسفة لو حصلوا على لمحوة  
 من نور ذلك الوحي الذي بجنفته الكافرون في ايماننا  
 ان عامة الكافرين بالوحي كانوا يسلون قديماً بوجود الاخرة  
 والجزاء العتيد الا انهم كانوا يظهرون على انفسهم الايمان بان العقل  
 كافٍ لاثبات هذا الاعتقاد. واما الذين خلفوهم في هذه الايام  
 فاما ان ينكروا ذلك واما ان يرتابوا به. واذا تأملنا باستقامة في  
 كل ما اوجده العقل البشري من البراهين قديماً وحديثاً لاثبات  
 هذه القضية نلتزم ان نعترف باحتياجنا الى نور ايضاً. ولا يستطيع  
 احد ان يحقق لنا تحقيقاً كافياً عن وجودنا العتيد السرمدى الا  
 الله وحده لان ذلك متوقف على ارادته فقط. نعم انه قد يقدم  
 براهين لاثبات ان النفس غير مابتة طبعاً غير انها لا تبين الا  
 ان اسباب موت الجسد لا تاثير لها في اعدام وجود النفس  
 وعملها. وتلك البراهين المسماة بالبراهين الادبية لا تثبت الا انه  
 ان كان الله يسوس مخلوقاته في هذا العالم بحكم ادبي فلا بد  
 من جزاء عادل فيما بعد. ولكننا نحتاج في هذا الامر الى تحقيق  
 اكثر من ذلك. نحتاج الى واحد ياتينا من ذلك العالم ويخبرنا  
 بوجود الاخرة. نحتاج الى ان نسمع صوتاً من الله يشهد لنا ليس  
 فقط بالآخرة بل بيوم الدينونة العادلة ايضاً. واذا نقرر ذلك  
 فقد صار كل واحد يستطيع ان يحكم لنفسه هل هو محتاج الى  
 وحي من ربه ام لا

وبثبت ايضاً هذا البرهان عن الاحتياج الى الوحي من  
 ملاحظة حال الديانة والاداب بين الطوائف الوثنية. قد  
 تواردت الاقوال ان احسن الطرق لمعرفة ما يستطبعه العقل  
 من العمل هي النظر الى ما قد عمله في ما مضى من الزمان  
 ولا سيما عند كونه على احسن حاله من التهذيب والمعرفة. ففي  
 العلوم الطبيعية قد تنتظر اكتشافات مستحدثة بواسطة استعمال  
 العقل. وربما يُعرف علم الآداب في زمان مستقبل احسن معرفة  
 من الان. ولكن اذا كانت الشعوب التي هي في اعلى درجة من  
 التمدن والعلم قد عجزت كالشعوب التي في ادنى حال من  
 التوحش والجهل عن تصور آراء صحيحة في اعظم قضايا اللاهوت  
 والاداب وقد تورط الجميع في اشنع الضلالات وابعدها عن  
 العقل وارتضت بانجس العوايد الوثنية واسمجها فما اوضح الامر  
 انهم كانوا في غاية الاحتياج الى وحي الهي. ولعل غاية الرب في  
 ترك الشعوب ان يسلكوا بحسب طرقهم في تلك المدة الطويلة  
 كانت اقناعنا بعجز عقولنا لكي تقبل منه تعالى هذه المنة العظيمة  
 بكل شكر قلبي عند ما يقدمها لنا الله

ولو استوفينا حق الكلام على هذا البرهان لاشحننا كتباً.  
 ولكن بما ان غيرنا اتسع فيه فلنتركه ملاحظين فقط ان  
 القبايح المنكرة التي قد تولدت من كل ديانة وثنية لانوثر  
 في عقولنا الا قليلاً لاننا نسمع اخبار هذه الامور من بعد فقط.



وقد نميل احياناً الى الظن بانه قد بولغ فيها والحال انه لم  
يُخبر بنصف الواقع واو أخير بكله لكان ذلك منافياً لكل لياقة  
ولطلب. وانه لامر مهول ان ملايين كثيرة من اخوتنا كانوا  
منذ هذا الزمان الطويل تحت نير عبودية الخرافات وهي  
عبودية توثر في العقل وتسبب شقاوة الجنس البشري اكثر من  
كل ما عداها. ومن حيث ان الديانة الوثنية لم تنزل باقية  
وشروها لم تتناقص على مدى الزمان تسهل لنا مقابلة العالم  
المسيحي مع العالم الوثني. فارفع عينيك الى كل جهة من العالم  
واخبرنا اي مكان هو في اشد الظلام واي مكان يتلأأ فيه نور  
الحق. أليس خط الحدود بين النور والظلام ظاهراً. أليس  
في غاية الوضوح ان الكتاب المقدس بركة عظيمة لكل من  
يقتنيه ويقرأه. وهنا محل لمقابلة الطوائف المسيحية التي تبج  
قراءة الكتب المقدسة من غير مانع بتلك الطوائف التي  
تحصرها في لغات مبنية لكننا لا نتعرض لذلك. بل نقول ان  
من كان مطلعاً على ما حصل من اعمال المرسلين في هذه الايام  
ولا يعترف بان الانجيل هو اعظم الفوائد التي تناد بها الطوائف  
الوثنية فان عينه تكون مغشاة بقشور غليظة من هوى النفس  
والميل المنحرف. فينتج اذن اما ان خديعة خبيثة وخرافة مصطنعة  
بالدهاء قادرة على اصلاح وتهذيب اوحش القبائل الوثنية  
واما ان الديانة المسيحية وحى الهي وهي مصحوبة بقوة من الله

لتكون فعالة في انارة الامم وارشادهم وخلصهم. فليختر الكافر  
 من الطرفين ايها شاء. فلو ذهب جماعة من الذين لا يعتقدون  
 بالوحي الى افريقية او الى جزاير سند وبنج او الجزاير المتقاربة لكي  
 يهدوا الوثنيين الى الحق فهل كان يحصل شيء من ذلك  
 الاصلاح الذي قد حصل من تبشير المرسلين المسيحيين. انه  
 ربما ضحك الفاري عند ما نفرض ان الكافر قد صار رسولا  
 ليهدي الامم الى طريق الحق ولكن نفس هذا الاشعار يبرهن  
 جليا ان الكفر لا يصلح ان يكون واسطة لاصلاح العالم.  
 والحال ان الكافر لو كان مصيبا في رايه لكان من اوفق الناس  
 للرسالة في شان هدى عبدة الاوثان. ولكن الكافرين لا يعتمدون  
 على مبادئهم من هذه الجهة ولا غاية لهم على بذرها في حقل هذا  
 العالم ولا يرفضون ما برفضه المسيحي من نعيم هذا العالم لتحصيل  
 هذه الفائدة الحميدة

ولكن ما الداعي للذهاب الى بلاد بعيدة وثنية لاثبات  
 لزوم الوحي مع وجود ما يكفي من البرهان امام عيوننا. فانه  
 قد يمكننا بابة مدينة كانت من مدننا الكثيرة السكان ان نضع  
 حدا ظاهرا بفرق بين الذين هم تحت نور حق الانجيل وبين  
 الذين يضعون انفسهم خارجا عن دائرة الاشعة الانجيلية.  
 فلنقطع النظر عن نوع اخر بين هذين الطرفين لا يعد منها  
 ولنفرض ان تلك السكان البالغين بواظبون الذهاب الى



الكنيسة وبسمعون اخرون حقايق الانجيل وان ثلثا آخر  
 لا يحضرون صلوة ابدا وان حضروا فيكون ذلك نادرا. فبين  
 هذين النوعين يمكننا ان نضع مقابلة. وان كان قد يستثنى  
 البعض من الجانبيين ولكن بالاجمال لا يفتي محلل للشك في  
 كون الديانة مفيدة ولازمة. لانه بيان واضح من اي هذين  
 النوعين يأتي المذنبون الذين تمتلي منهم السجون ومن ايها يتقدم  
 صالح الجمهور. فلو فرضنا اولاً ان كل الذين لا يقرأون الكتاب  
 المقدس ولا يحضرون المعابد ارتفعوا من بيننا او فرضنا ثانياً  
 ان الذين يواظبون الصلوة في بيت الله ينتقلون الى بلاد  
 اخرى فعلى الفرض الاول كنا ان لم اكن سهوت في ذلك سهواً  
 عظيماً نستغني عن اكثر وسايط المنع والحجز ونكتسب النفقات  
 الجزيلة على قيام الدواوين والسجون وعلى الفرض الثاني لم تكن  
 جميع اموال البلاد تكفي لاقامة السجون ولتقديم وسايط  
 المعيشة للمذنبين. او بالحري كانت تصير مدتنا العظمى كسادوم  
 وعند ذلك يلحقها ما اصاب سادوم فتهلك ولا تقوم ايضاً  
 وان قال قائل ما ذكر ليس بصحيح على التمام لانه يفرض  
 عدم وجود ديانته وعدم امكان وجود ديانته غير موحى بها.  
 فحينئذ نسال المعترض ان يعرفنا ما هو نوع الديانة الذي ينتظر  
 لورفع الكتاب المقدس من بيننا. فعوضاً عن ميات من  
 الواعظين بالانجيل الذين يرفعون اصواتهم كل يوم احده

ليحذروا الناس من خطر الهلاك ويرشدوهم الى طريق الحيوة  
لو امتلأت تلك المنابر من الخطباء الكافرين فهل كان ذلك  
بأول الى قيام الآداب والى سعادة الجمهور. اننا جميعاً نعرف  
ان كثيرين من الخطاة قد تابوا واهتدوا بواسطة مواعظ  
الانجيل ولكن هل عرفت احدًا او سمعت عن احدٍ قد ارتدَّ  
عن ضلاله بواسطة استماع خطابات كفرية

لا ريب انه قد يكون كثيرٌ من انواع الديانة بدون وحي  
ويشهد لذلك جميع العالم الوثني. وان بعض اناس عالميين لم  
يفرقوا بين الديانات ولا ميزوا بين خادميها بل مزجوا الجميع  
سوية. مع ان الديانة الحقيقية تختلف عن الاديان الكاذبة  
كاختلاف النور عن الظلمة. والمانع الوحيد لامتداد الاديان  
الكاذبة انما هو القيام بالديانة الحقيقية. نعم ان الكفر قد يجو  
نوعاً من الخرافات ولكن بعد ذلك ينقلب الحال ويأتي نوع  
اخر من الترفض او الخرافات كطوفان. لانه لا بد للناس من  
ديانة كما بينا فيما تقدم فاذا نزعَت الديانة الحقيقية الموافقة  
للعقل الهادية الى الخير يدخل حالاً عوضها اشد الديانات  
الكاذبة ترفضاً ومحالاً. وعند ما تنطفي نارا الهياج تنبئ انواعاً  
فظيعة من الخرافات. ان الديانات الوثنية كانت اولاً ممتزجة  
بشي من الحق من تقليد سابق. لانها جميعها كانت ناشية من  
فساد عبادة الانسان الساقط الاصلية كما راينا. فلورفعت



الكتب المقدسة لدخل عوضها اما زعازع الكفر مصحوبة  
 بالمعاصي الدنسة المخضبة الثياب بالدماء او تلك الخرافات  
 المانعة كل عمل صالح والمدنسة كل عاطفة شريفة من  
 عواطف القلب والمفسدة كل سعادة في العيال  
 انه قد يستند احياناً بناً عظيماً على بعض اعادة متينة لو  
 نزعنا من مكانها لسقط البناء خراباً. وهكذا نتوقف سلامة  
 الجمهور ونظامه وراحته في الامور المدنية على امرين لم ياتيانا الا  
 من الوحي. اولها فرض الزجعة الطاهرة وثانيها التزام اليقين  
 التزاماً دينياً. فلو ارتفع هذان الامران لانهدم بناء السعادة  
 البشرية من اساسه

ولكن البرهان الذي نريد ان نتوسع به لايضاح لزوم  
 الوحي هو انه بدون الوحي لا يمكننا اصلاً ان نعلم كيف يمكن  
 المخاطبي ان يحصل على شفران الخطية وخلص النفس. فاننا  
 لو سلمنا بان العقل يرشدنا بايضاح كافٍ في جميع التزاماتنا  
 الادبية وبان الانسان اذا تم واجباته لا يطلب منه اكثر من  
 ذلك بل يحق له ان يستأمن متكلاً على عدل الله وجودته  
 وبانه لا يحصل له شر في هذه الطريق ولا يوخر عنه الجزاء  
 الموافق وبان لجميع الناس معرفة ذلك لكان لنا سبيل ان نقول  
 ان كل ذلك لا يجدي نفعاً في امر حالة الانسان التي هو عليها.  
 فان معرفة دياناته تناسب حال انسان بارٍ شيء ومعرفة طريقه

بها ينال الخاطي مغفرة خطايه شيء آخر. وقد يعرف الانسان  
 انه مثلاً اذا خضع لشرائع بلاده بحامي عنه كل حاكم عادل.  
 الا انه اذا خالفها واستحق عقاباً عظيماً لانتفعه تلك المعرفة شيئاً.  
 والذي يحتاج الى معرفته عند ذلك انما هو كيفية الحصول على  
 المغفرة والخلص من انتقام تلك الشريعة التي قد تعدى عليها.  
 وفي كل حال من ذلك يحتاج اشد الاحتياج الى تعريف من  
 الحكم الاعلى ان له ارادة ان يعفو عنه بشرط معين. انه في  
 جميع الاحكام لا يمكن ان الحاكم يعفو عن ذنب المجرم بكل  
 سهولة او ان يكون ذلك جزءاً من الشريعة لانه مغاير لوضع  
 السياسة الحكمية ومنافٍ لالزام الشريعة وسلطانها. واذا نقرر  
 ذلك ياتي حالاً معرض هذا السؤال العظيم. وهو هل ان  
 الانسان خاطي وهل تعدى جميع الناس شريعة الله. واما  
 الجواب فنعدل عن ذكره هنا ونتركه الى حكم ضمير كل انسان.  
 لانه لا يوجد انسان على الارض لا يشعر بانه قد خالف شريعة  
 طبيعته سواء كان ذلك بتركه ما كان يجب عليه امر بارتكابه  
 الخطية

فبعد التسليم بان جميع الناس خطاة نسأل ماذا يعلمنا  
 نور الطبيعة عن غفران الخطية. فمن جهة هذه القضية العظمى  
 نبين ان العقل لا يخبرنا شيئاً. ولذلك لا نستطيع الدبانه  
 الطبيعية ولو عرفها الانسان حتى المعرفة ان تاتينا بالفرج



المحناحين نحن اليه . والبرهان الذي نعتد عليه مختصر بسيط .  
 فان العقل السليم يحكم بان الله عادل ويجازي كل احد كما عمل له  
 وبانه لا يجوز مخالفة شريعته بدون عقاب لانها صالحة ومستقيمة .  
 ولا يمكن الكافر بالوحي ان يتصور اعتراضاً على ذلك بل لابد  
 ان هذه الحقيقة تكون بيّنة من نفسها عند كل معترف بالله وبحكمه  
 على خلقته الناطقة . فاذن الامر واضح انه من جهة نور العقل  
 لا يوجد شيء امام الخاطي الا ان يحتمل القصاص العادل لاجل ذنوبه .  
 ثم لو فرضنا ان العقل يخبرنا بان الله يغفر الخطية للزم ان تكون  
 احكامه متناقضة . لان الغفران هو عدم القصاص وقد راينا ما  
 تقدم ان حكم العقل هو ان الله عادل ويجازي كل انسان  
 حسب ما يستحق . ولا يخفى ان هذين الامرين لا يمكن اجتماعهما معاً  
 وهنا يجب تحذير الفاري من براهين فاسدة وهيبات غير  
 مفيدة في امر جوهري مثل هذا . فاننا لانعرف موضوعاً يستند  
 الناس فيه على اقيسة عقيمة وبراهين فاسدة كما في البحث عن  
 مغفرة الخطايا . ولندكر البعض من تلك البراهين الفاسدة .  
 فنقول زعم كثيرون ان الله من شانه الجوده والرحمة حتى لا يلبق  
 ان يعذب خلقه المايلين الى الخطية عناباً اليماً . فهذا الزعم مع انه  
 يظهر عليه تقدم الشرف لله كما يرتاح به ايضاً فكر الخاطي الا انه  
 عند التحقيق يكون اهانة لا شرفاً . لانه يستلزم ان ملك الكائنات  
 يخرج عن عدله شفقة على مخلوق عاصٍ وانه بخيار تدنيس

شريعتو على قصاص الذنوب كما تستحق. فاذا يُظنُّ لو قيل في  
 قاضٍ من البشر ان جودته ورحمته تمنعانه عن الحكم بالقصاص  
 الذي توجبهُ الشريعة. فان كان ديان جميع الارض لا يعاقب  
 جميع الخطايا كما تستحق على حسب المبدأ العام فعلى ابي مبدأ  
 يعتمد. هل يعاقبها نصف ما تستحق. فان ذلك قد يكون عذاباً  
 اليماً. فتكون النتيجة ان جودة الله تمنعه دائماً عن قصاص الخطية  
 مهما كانت عظيمة. ان كثيرين في ايماننا هذه وهم لا يدعون كافرين  
 الا انهم اكثر ضرراً من اولئك لانهم يمزجون شيئاً من الحقائق  
 الانجيلية بضلالاتهم يتمسكون بهذا المعتقد اشد التمسك ويعلمون  
 به بكل غيرة. ولكنه يستلزم ان الله عز وجل يعامل العاصي  
 الخبيث كما يعامل العبد الودود المطيع على حثٍ سوء. وفي  
 معاملته خلقه لا يظهر غضباً على الخطية اكثر مما يظهر على احسن  
 النضابل. فلو وجدت جودة مثل هذه لما كانت في البارئ كما لا  
 ادنياً بل نقصاً مبيهاً حاشا الله من ذلك. فان صفاته لا يشوبها  
 ادنى نقص ولا يوجد فيه جودة تمنع استعمال العدل التام. فاذا  
 اراد ان يخلص الخطاة من عاقبة خطاياهم فلا يكون ذلك  
 بخروجه عن عدله بل باستيفائه اياه استيفاءً تاماً. ولكن كيفية  
 ذلك امر لا يعلم منه مجرد العقل شيئاً. وان قال الكافر ان  
 جميع الصلاح الادبي لا يقوم الا بالجودة ولذلك لا يعاقب الله  
 احداً الا لخير اجيب انه في جميع الاحكام الارضية الجودة



الحقيقية تفضل خير الجمهور على خير واحد مذنب وخير الجمهور  
 يطلب ان يُخَوَّفَ ويمنع المجرمون بواسطة القصاص . واذ ذاك  
 يلزم الاثبات اولاً انه في حكم الباري تعالى بعكس ذلك خير  
 العالم لا يطلب قصاص المجرم قبل ان تُستنتج نتيجة مثل هذه  
 من جودة الله

ومن ثم يظهر ان الزعم الذي كان موضوع كلامنا ولين  
 كان موافقاً للعقل المحب للخطية وكان ظاهرة مقبولاً لا يجتمل  
 الفحص . وعوضاً عن ان يأول الى شرف الله يسلب منه كل ما  
 هو ممدوح في صفاته الادبية ولا يترك له صلاحاً الا جودة  
 لا تميز بين خلقه ولا تلتفت الى صفاتهم الادبية . فمثل هذا الاله  
 لا يمكن ان يكون موضوع الاحترام والاعتبار عند عاقلٍ طاهر .  
 فان الها ذا صلاح غير متناه قد يمكنه ان يعاقب الخطاة بحسب  
 استحقاق ذنوبهم من دون تعرض لجودته . واما اله قدوس ذو  
 عدلٍ لا يُجَدُّ فلا بد ان يعاقبهم . أفلا يعدل ديان جميع الارض  
 وقد ذهب اخرون الى ان نور العقل يحكم بان قصاص  
 خطابا الناس انما هو الشر المحاصل منها بحسب الشريعة  
 الطبيعية ونظام العقل البشري وانه لا خوف من عقابٍ اخر  
 اشد منه . ولكنهم لم يقدموا برهاناً لاثبات هذه القضية اذ لا برهان  
 لها . لان من يعلم ما يحكم به ديان الجميع من القصاص للخطاة  
 لاجل اظهار عدله واستيفاء حق شريعته وتخويف الاخرين من

الخطاة. ثم اننا بحسب ما يمكننا من الملاحظة لانرى الناس  
يتعذبون في هذه الحيرة بنسبة خطاياهم لان الاشرار كثيراً  
ما يتنجسون في اعمالهم وعند ما تقسو ضمائرهم وتصبح عديمة الحس  
فقلماً يوبخون انفسهم عند ارتكاب اعظم المعاصي. فان الخطاة  
عند اول دخولهم في الخطية يعدّون بعذاب شديد من توبخ  
الضمير واما المتمرع في الاثام فيفقد الانزعاج المفرط ولذع  
الضمير لا يوثر فيه. ثم لو سلمنا بان جميع قصاص الخطية هو  
ما نتج عنها بحسب الطبيعة فمن يعلم بجميع النتائج الحاصلة منها  
ومتى يكون منتهاها. فان الذنوب لانا في دائماً بامر اثارها حالاً  
ولكن نرى خطايا التهم والزاني والسارق في احيان كثيرة تلحقهم  
بعواقبها الرديئة بعد ارتكابها بزمان طويل. فخطايا الشبوية  
كثيراً ما ينتج عنها شجوخة شقية. ولو نظرت الى سيرت كثيرين  
او صلتم رذائلهم الى السجن او المارستان لوجد ان سبب شقاوتهم  
يتصل الى خطايا شباهم الخطايا التي يستخف كثير من ارتكابها.  
ومن حيث ان تلك العواقب تتزايد حتى الموت فمن يستطيع  
ان يحقق للخطاي ان هذه الزيادة الفظيعة لاتدوم بعد الموت.  
وبما ان الكلام الان ليس مع الكافر بالله فلنا حتى ان نتخذ  
خلود النفس كفضية مسلمة. فان كانت توجد النفس بعد موت  
الجسد أفلا يبقى فيها ما اكتسبته في هذا العالم من الصفات  
الادبية. ألا يبقى البخل بخيلاً والمتكبر متكبراً والحبيث خبيثاً



عند ما ينحل هذا المسكن الترابي. ألا يبقى ذلك الانسان ردياً بعد الموت الذي قد بقي ردياً الى حد موته. ألا ياخذ معه قوة ذاكرته وضميره وشهوته الملتهبة. أفقدر الموت ان يصير الانسان الخبيث المذنب ملاكاً. فاذن هذا الراي قلما يعزّي الخاطي. لانه سوف يجد دودة تخرج من فساده لامتوت ابدًا بل تنهش قلبه وتعذبه عذاباً لا يطاق الى غير نهاية. ولو سلمنا ان الضمير هو نار الاخرة وليس نار غيره فمن يعرف عظم الالم الابدي الذي به الضمير يعذب الخاطي. ان الخوف والتبكي والانساج الهابل التي احياناً تحيط بمضجع الخاطي عند الموت هي اشارات مخيفة الى ما ينتظر له في الاخرة. فلا يستطيع العقل ان يعرف عظم مقدار الشرور الناتجة عن الخطية او مدة دوامها. ولكن بحسب مقدار حكم العقل لا نرى نهاية للتزايد في الرذيلة والشقاوة

والان ناتي الى البحث في راي اخر يتكلم عليه كثيراً الكافرون ومن يشاركون في هذه الامور. وهو ان العقل يعلمنا بان العقاب الذي تستوجبه الخطية نهر منه بواسطة توبته صادقة في الزمان المقبول. وقد اتخذ هذا المبدأ ركناً عند جميع الكافرين بالوحي الذين يقرون بوجود الله. وبما ان كثيرين من الذين يريدون ان يحسبوا مسيحيين عقلاء يتخذونه ايضاً فقد اتسع اشتهاره بين الناس. وايضاً من حيث ان المغفرة والتوبة

مرتبطتان على وجه اشد الارتباط بحسب تعليم الانجيل لا يميز  
كثيرون بين الحقيقة الموحى بها وبين هذا التعليم المدعى به بانه  
من تعاليم العقل. ومن ثم صار تمييز الحق من الضلال في هذه  
القضية امراً عسراً ومن يقصد ذلك بصادفه كثير من سوء الظن  
من قبل الكافرين وغيرهم. فنحرض الفاري ان يميز بين تعليم  
المغفرة بشرط التوبة كما يوجد ذلك في الانجيل وبين الراء  
المذكور كما يوجد عند الكافرين. لان بينهما فرقاً عظيماً كما ستعرف  
ان الراء الذي نحن في صدده هو ان الفصاح الذي  
تستحقه الخطية يبطل بمجرد التوبة. ولكن هذا الراء قبل ان يكون  
مبدأ نافعاً في العمل يلزمه شيان. الاول ان يعرف جميع الناس  
ماهية تلك التوبة التي بها تحقق لنا المغفرة. والثاني ان يكون لكل  
خاطي استطاعة عليها. ولزوم هذين الشيين بين من نفسه. وانما  
تلحق الراء المذكور صعوبة عظيمة من قبلها. فنريد ان نسأل  
الذين يذهبون هذا المذهب عن التوبة التي يعلم بها العقل هل  
هي قائمة بمجرد الحزن على الخطية ام هي اكثر من ذلك ومتضمنة  
اصلاً كلياً في السيرة ليس متصلاً بالاعمال الخارجية فقط  
بل بعواطف القلب المحركة لها ايضاً. وهل العقل يحدد  
مقداراً ما من الحزن ويعين مدة دوامه. وهل التوبة تنفع الخاطي  
الذي يرجع الى طريقه الاول في ارتكاب المعاصي. وايضاً نسأل  
عن التوبة الصادرة عن مجرد خوف العقاب هل تكون صحيحة



والا فعن اي عليه يجب ان تصدر. ويجب ايضا ان نعرف هل  
 يمكن لمن شاخ في الخطية ان يتوب عن خطايه حتى انه يبغضها  
 ويتركها. فانه اذ يكون فكره قد صار مملوا غلطاً وضميره ميتاً  
 وملكانه محترقة فما الرجاء برجوعه وابتدائه حياة جديدة. ومن  
 اي طريق نرنجي مثل هذا التغيير في شرير خبيث او سكير  
 فاحش. فان تغيير الزنجي لون جلده اقرب من ان يتعلم الخير  
 من اعتاد على الشر من زمان طويل. ولا فائدة في ان يقال انه  
 يستطيع التوبة ان شاء. وان لم يشأ فاللوم على نفسه. لان موضوع  
 بحثنا الان هو انه هل يمكن العقل ان يعلمنا طريقاً للتخلص  
 مناسبة لحال الخطاة. فلا اعتبار لكون المانع في مشيئة الخاطي  
 او غيرها. لان مجرد وجود ما يمنع عن الغاية المقصودة دليل  
 على الاحتياج الى شي اخر. واللوم انما يقع على نفس الخاطي ان  
 كان من قبل عدم التوبة او خطية اخرى. فهو ملوم على كل  
 مخالفة والا فلا تحسب مخالفته خطية. وان كان المراد اثبات  
 اللوم على الخاطي فذلك قد تم بدون عرض المغفرة عليه بشرط  
 التوبة. لانه لو اطاع الناس الله طاعة كاملة لحصلوا على الحياة  
 والسعادة بدون توبة. ولا يتعرض مانع هذه الاطاعة سوى  
 ما يتعرض ايضا للتوبة الحقيقية. فيكون في المذهب المشار اليه  
 خلل ظاهر لانه لا يكشف عن واسطة يقناد الخاطي بها الى  
 التوبة. لكن يتعرض عليه المغفرة على شرط ان يعمل ما ينفر منه

قلبه كل النفور. والامر الواقع بوافق ما قد قلناه. فاي المتمسكين  
 بالتعليم المذكور قد تاب عن خطيئته مع بقاءه على اعتقاده هذا.  
 نعم انه يوجد منهم كثيرون قد تابوا وأصلحوا بواسطة الانجيل.  
 ولكن لم يصر ذلك مرة واحدة من تلقاء مبادي الكفر وتعاليمه.  
 وان كان المبدأ لا ينفع عملاً البتة فما فائدته. ولماذا يتعظم حتى  
 يوتى به برهاناً لعدم لزوم الوحي

ولكن من حيث ان المراد هنا بحث هذا الموضوع على  
 وجه التدقيق والاستقامة. فلنسلم لاجل المباحثة ان لجميع الناس  
 معرفة بتلك التوبة اللازمة للغفران وان الجميع يقدرون عليها.  
 فيكون المذهب ان جميع الخطاة يخلصون بواسطة التوبة من  
 العقاب الذي يستحقونه لاجل خطاياهم وانهم عند الاحتياج  
 الى التوبة يمكنهم استعمالها. فلو كان ذلك صحيحاً ومطابقاً للعقل  
 لالتزمنا بالاقرار بعدم ضرورة الوحي. لانه لا يمكن ان يوجد  
 طريق للخلاص اسهل وابسط من هذا. ولكننا ننكر ان هذا التعليم  
 هو من تعاليم الديانة الطبيعية او من التعاليم التي يتوصل اليها  
 بمجرد العقل وانما هو مستعار على خلل من الانجيل وقد أدخل  
 بين آراء الكافرين مع انه منافٍ لنور الطبيعة ومخالفٌ لاعظم  
 مبادئها التي منها ان الله لكونه عادلاً يجازي كل احدٍ بحسب صفاته  
 الادبية واعماله. انه من عادة الكافرين ان يستعبروا آراءهم من  
 الكتابات المقدس بدون نسبتها الى اصلها الحقيقي وربما بدون



ان يعلموا من ابن اتوا بما قد اتوا به . لان المولودين المتعلمين تحت نور الوحي اذا انصل بهم الامر الى انكار الكتاب المقدس وجميع رسوم الديانة المسيحية الخارجية لا يستطيعون ان يعتزلوا عن جميع المبادي الادبية العظيمة التي استفادوها من هذا المصدر على طرق متنوعة . فان نور الوحي الالهي قد امتد واتسع في جميع البلاد المسيحية وقد ظهر فعله في الشرايع والرسوم وطرق التعليم باسرها . حتى لا يستطيع الانسان الان ان يهرب من تاثيره اكثر مما يستطيع الهرب من نور الشمس . وكثير من الحفائيق التي بدعي الكافر بكشفها بواسطة نور العقل انما هي مستعارة من الوحي الالهي . والافكيف بعلم عن فضل مذاهب الكافرين العقلاء في ايامنا على مذاهب سقراط وافلاطون وشبشرون . فمثلهم مثل من اضاء مصباحا من اشعة الشمس ثم ادعى بانة قد اوجد ذلك النور بذاته او انه قد كان من السراج الحفبير الذي بيده .

ثم نقول انه ان كان يمكن الانسان ان يعرف بالحقيقة بعد ان اخطا انه يمكنه الخلاص من عقاب خطاياہ بواسطة توبه . بقدر عليها فيمكن معرفة ذلك قبل ان اخطا . فعند ذلك تكون الشريعة مكتوبة على قلبه مقيدة بعقاب على المتعدي ويكون ايضا له معرفة جلية من العقل بانة مها ارتكب من القبائح واستحق من العقاب فيمكنه الخلاص من ذلك العقاب اي وقت

شاء في حيوته بواسطة مجرد التوبة. ولا يخفى ان ذلك يبطل  
 شريعة الله من حيث هي قانون واجب ويسمع للانسان ان  
 يفعل مهما اراد. واذ ذاك يمكنه ان يعزم متعمداً ان يعصى خالفه  
 حتى اخر نسمة من حيوته ثم يخمد نار ندمته بواسطة التوبة. فانه  
 وان كان العقاب صارماً في نفسه لم يكن ذلك يعيق احدًا عن  
 الطريق التي يميل اليها لانه يستطيع ان يخلص منه اى وقت  
 شاء. فهل يطلب اجسر العصاة رخصة اعظم من هذه. فلو دخل  
 هذا المبدأ وحده في حكم الله الادبي لا بطل سلطانه تعالى بالكليّة  
 فهذه النتائج الناتجة من التعليم المشار اليه ضرورة وهي  
 تبرهن ان ذلك التعليم لا يمكن ان يكون مبداً عقلياً ومن  
 مبادي الديانة الطبيعية. وربما يظن البعض ان هذا الاعتراض  
 يطلق ايضاً على تعليم الانجيل الذي يعد بالمغفرة التامة لكل  
 تائب حقيقي. وانما التعليم الانجيلي في التوبة مبني على اساس  
 غير اساس التعليم المذكور وهو في هذا الشأن لا يصاد عدل الله  
 البتة. لان جميع الخطايا المغفورة بشرط التوبة قد احتل قصاصها  
 نائب الخطي. وهنا يظهر الاختلاف العظيم بين الديانة المسيحية  
 وبقية الاديان. فان الديانة المسيحية تحافظ على مجد الصفات  
 الالهية ومطابقة بعضها مع بعض. واما الديانات الاخر فتظم  
 او تبطل صفة لكي تقوم صفة اخرى. والنتيجة ان الطريق  
 الانجيلي للعفو عن الخطي التائب لا ينجّه الى ارخاء التزامنا



بالطاعة ولا الى تضعيف الحاسية بشر الخطية . واما المبدأ المذكور  
 فتتيجنه تبطيل شريعة حاكم الكاينات وسلطانه كما تقدم وابطاحه  
 الطاعة والعصيان على حدٍ سوى . فالاول يوافق عدل الله  
 بالتمام اذ لا يصح عن خطية لم يُكفّر عنها واما الثاني فمضادٌ  
 بالاستقامة لأحق مطالب العدل

ثم يُعترض ايضاً على هذا المذهب اي مغفرة الخطايا بسبب  
 مجرد التوبة على وجه اخر وهو ان ذلك بخلاف ما يظهر من  
 الاخبار ومن مشاهد الامر الواقع . فقد رأينا اصحاب هذا  
 التعليم يحسبون قصاص الخطية انه ليس الا تتيجنها الضرورية  
 حسب قواعد الطبيعة . فهل تتغير هذه القواعد حال ما يتوب  
 الخاطي حتى نرى اللص التائب المسجون والسكير التائب المريض  
 لا يزالان بحتملان عواقب الذنوب التي ارتكباها قبل توبتهما .  
 لان التوبة لا تعيد الصحة المفقودة ولا الصيت الحسن ولا المال  
 المبدد ولا الاصدقاء النافرين . فكيف يقولون حسب مبادئهم ان  
 عقاب الخطية يرتفع عند التوبة . وان قالوا مرادنا ان القصاص  
 يُترك في الآخرة يقال لهم من اين لكم معرفة ذلك . لان العقل  
 لا يستطيع ان يحكم بما في المستقبل الا قياساً على ما يحدث في هذه  
 الحياة . فالحكم المبني على ما يُشاهد الان يضاد مذهب كون  
 النتائج الشريرة الحاصلة من الخطية تنتهي عند الموت  
 ثم نقول ايضاً انه ان كان يُعنى عن التائب فقط ويُعاقب

الغير التائب بحسب استحقاق ذنوبه فيمكن ان يوجد الخطاي  
 على حال يلقى بها قصاص الخطية بصرامته حسب استحقاقها .  
 واذ ذاك لا يُتخذ من جودة الله ورحمته برهان بنافي قصاص  
 الخطاة مطلقاً . ثم لما ذابظن ان عدم التوبة وحده يبري الخطاي  
 في خطير من غضب الله وان التائبين وحدهم يخلصون من  
 قصاص الشريعة . انه لا يجاب عن ذلك الا بان خطية عدم  
 التوبة هي عظيمة بهذا المقدار حتى انها تستحق هذا العقاب الشديد .  
 او ان فضيلة التوبة هي عظيمة بهذا المقدار حتى انها تكفر عن  
 اعظم الخطايا . ولكن لو فرضنا ان خطية عدم التوبة اعظم جرماً  
 من سائر الخطايا فلا بيان من ذلك انها وحدها تستوجب  
 قصاصاً بل انها تستوجب قصاصاً اشد من غيرها . لانه ان  
 وجد مبدا صريح في الشريعة فهو هذا ان كل خطية يجب ان  
 يعاقب عنها بحسب استحقاقها تماماً . ولا يوجد سبب لابطال  
 عقاب خطية صغيرة وقيام بعقاب كبيرة . ولا جل ذلك لا يكون  
 عظم خطية عدم التوبة سبباً لعقاب الغير التائبين وحدهم . ولا  
 يصح ان يكون هذا الفرق العظيم في معاملة الخطاة متوقفاً على  
 فضيلة التوبة اذ يعسر تبيين ما تقوم به فضيلتها الفايقة . لانه  
 لا بد من ان تقوم فضيلتها اما بالطاعة واما بالالم المتضمنين  
 ضرورة في ممارسة التوبة . ولكنها لا تقوم بالطاعة اذ لو كانت  
 الطاعة تامة لما كانت اكثر مما تطلبه الشريعة الادبية في الزمن



الحاضر فلا تفي شيئاً عن ذنوبٍ قد ارتكبت سالفاً. فانها  
 لحقيقة ظاهرة من نفسها ان الطاعة حالاً لا تستطيع اصلاً ان  
 تفي عما ارتكبت من المعاصي في ماضى لان تلك الطاعة انما  
 هي ذات المطلوب الان فلا فضل فيها. واذ ذاك فكيف تكفر  
 الطاعة المتضمنة في التوبة مهما كانت عظيمة عن جميع الخطايا  
 السالفة حال كونها ناقصة عما يجب ان تكون فضلاً عن خلوها  
 من كل ما يزيد لها قيمة على بقية انواع الطاعة. ولا يمكن ان يُكفر  
 عن الخطايا السالفة بالآلام التوبة لان فضيلة هذه الآلام ناتجة  
 عن الطاعة التي هي متعلقة بها والتي بدونها لا تكون حقيقتها  
 ادبية. ما لم يقل احد ان هذه الآلام يجب ان تحسب مساوية  
 لقصاص الشريعة. ولكن ذلك لا يقال بالحق لان ما يساوي  
 قصاص الشريعة هو ما يساوي العذاب الذي تقضي به الشريعة  
 في مقداره ومدته ودوامه. نعم ان كان يسمح لاحد ذي مقام اعلى وقيمة  
 افضل بان يعذب مكان اخر فقد ينقص العذاب بالنسبة الى  
 الفرق بين شان النايب والمنوب عنه. مع ان قبول التوبة او  
 رفضها يكون بحسب ارادة القاضي الاعلى. ولكن في ما نحن في  
 صدده نرى المستحق العذاب هو المتالم باوجاع التوبة. فكيف  
 يصح ان يكون حزن بعض ساعات او بعض ايام مساوياً لعقاب  
 اقبح المعاصي. وناهيك عن شعور الخاطي النايب وقراره بانه  
 لم يزل مستحق عذاب. لانه لم يتب احد قط توبة حقيقية وهو

يظن انه قد كفر بها عن ذنوبه تكفيراً تاماً. بل يعرف حق المعرفة ان هذه الاقدار لا تُغسل ببعض دموع ندمية. ولا شيء يضاد المذهب المشار اليه اكثر من حاسيات التائب توبة حقيقية. فان كل تائب مثل هذا يفتق انه مستحق قصاصاً اعظم من الاحزان التي قد حدثت عليه بالتوبة

وانما للكافرين برهان آخر ربما يكون احسن مما سواه لاثبات وجود تعلق موافق للعقل بين التوبة والغفران. وهو ان جميع الصالحين يقرّون بان العفو عن المذنبين الينا عند التوبة هو فضيلة. ولا يستطيع المسيحيون ان ينكروا ان ذلك من الواجبات الادبية لان العهد الجديد يامر به بتكرار وتدقيق على انه امر جوهري. فهذا جميعه مسلم بل فضلاً عن ذلك نقرّ بانّه واجب على المسيحيين ان يسامحوا كل من يوذهم تابوا ام لم يتوبوا. لانه يُطلب منهم ان يحبوا اعداءهم ويحسنوا الى من يبغضهم ويباركوا من يلعنهم ويصلوا الاجل من يضطهدهم. ولكن ذلك مبين جداً لما نحن نتكلم فيه الان ومبني على مبادي اخرى. فانه ليس من واجبات المسيحيين ان يعاقبوا من يخطي اليهم بما يستحقه ولو وقع عليهم الضرر. بل قد نهام الله عن الانتقام وعن مجازاة الخطاة بحسب خطاياهم. وذلك لان قصاص الخطاة بما يستحقونه مغاير للجودة الادبية بل لانه حق مختص بسطان رب الكائنات وبارها. حتى ان الكتيب المقدسة في



تلك الآيات نفسها التي تنهي المخلوق عن الانتقام تنسبه بكلامٍ صريح لا يقبل الشبهة إلى الإله الضابط الكل بقوله في النعمة أنا اجازي بقول الرب. ولذلك ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقه لانك بذلك تجمع على راسه ناراً. فان كان التزام المسيحي بالعتو عن اساءة اليه يثبت شيئاً فهو يثبت ان الله لا يعفو للتائب فقط بل لكل خاطي في اي درجة كان من العصيان والتمرد. ولكن هذه النتيجة مغايرة لما نحن فيه ولا يعتقد بها الكافرون بالوحي انفسهم

ثم انه يجتجج ايضاً بان التوبة متعلقة بالغفران طبعاً من عادة المحاكم الارضية بالعتو عن المجرمين. ولكن لامشابهة بين الامرين في الحقيقة لانه وان كان مناسباً في الاحكام البشرية ان يوجد فيها من يستطيع العفو لم توجد دولة قط تعفو عن كل الذنوب بشرط التوبة. ولا يتعلق استعمال الرحمة نحو بعض المذنبين بهذا المبدأ اصلاً. فان سبب العفو هو اما كون اجراء حكم الشريعة في بعض الاحوال غير مطابق للعدل المنصف واما طلب حسن السياسة حين يكون عدد المذنبين كثيراً ان يعاقب منهم من هو اكثر جرماً فقط عبرة للاخرين. واذ ذاك بيان ان ضعف الاحكام البشرية انما هو السبب لدفع عقاب الشريعة. وحاشا ان يدخل ذلك في الحكم الالهي. ثم ان في اجراء حكم الشرائع البشرية لا يسأل ابداً هل المذنب تائب

او غير تائب حتى انه ولو تحققت توبته لأبرقع بذلك عنه العقاب البتة. فالشريعة تعاقب اللص والقاتل التائبين كما انها تعاقب الغير التائب. وان عمل في بعض الاحوال المحكام القادرون على العفو بحسب هذا المبدأ به مسامحة المذنبين عند ما تظهر عليهم علامات التوبة فذلك لا يبرهن الا ان اصحاب السلطان يسهون احياناً. لان لا ريب ان اجراء هذا المبدأ في كل الاحوال يبطل كل شريعة لا محالة. نعم يصح ذلك لو كانت غاية الفصاح هي خير المجرم. ولكن طالما كان خير الجمهور هو الغاية العظمى في الفصاح لا يصح عرض الغفران على الذين يتوبون حتى ولو اصلحوا سيرتهم

فقد ظهر مما تقدم ان التعليم بعلاقة بين التوبة والغفران في حكم الله الادبي لم يصدر من نور الطبيعة بل هو من الانجيل. ومن ثم ان كان في ذلك سبيل للعفو يكون بواسطة كفارة المسيح لا بواسطة فضيلة التوبة او مكنتها في رفع جرم الخطية. وان صح ما قبل فنكون في اشد الاحتياج الى وحي الهي بعلمنا بانة تعالى قد شاء ان يقبل التائب اليه ويهدينا الى شروط الحصول على ذلك. ومن ثم نتعلم معرفة حال جميع جنسنا الشقية والمنته التي لله علينا لاجل الانجيل. اذ جعلنا مديونين لرحمته المجانية لاجل الكفارة العظيمة بموت المسيح بدلاً عن العالم التي بها يعفو الله عن الخطاة التائبين



## الفصل الخامس

في ان اعلان الوحي من الله ليس امراً وقوعه غير محتمل  
ولا غير موافق للعقل. ولذلك لا يكون ظهور فعل الهي  
بالمعجزات لاثبات الوحي امراً وقوعه غير محتمل ولا غير  
موافق للعقل

ان كل من بومن بوجود الله لا ينكر امكان اعلان وحي  
من الله. ولا يُعتقد ايضاً بان الوحي من حيث هو وحيّ مضاد  
لصفات الله الادبية. لان افادة خليفة الله العاقلين زيادة  
معرفة ليس بمغايير لحكمته تعالي او لجودته او لقداسته. وغاية  
الوحي الوحيدة انما هي زيادة الانسان في الحكمة والقداسة  
والسعادة. فإذا يوافق ما نعرفه من صفات الله اكثر من ذلك  
ثم ان امكان الانسان ان يستفيد من الوحي حقيقة ظاهرة  
لا احتياج الى اثباتها. لان مهما ظن البعض في كفاية الديانة  
الطبيعية عند ما تُفهم جيداً ويُعمل بموجبها فالجميع يلزمهم الاقرار  
بان اكثر الناس في الواقع لم يكن لهم اطلاع كافٍ في امر الدين.  
وذلك لما ذكرنا في الفصل السابق ان تاريخ العالم في كل عصر  
ودهر يثبت الجهل لاكثر الجنس البشري حتى في تلك الامور

نفسها التي اصحاب الديانة الطبيعية يقرّون انها من اهم الامور  
الدينية واعظيها

ثم انه لا يبعد عن العقل ان الله لما خلق ابونا الاولين  
اعطاها من المعرفة ما كان لازماً ليس لراحتها فقط بل لحفظها  
ايضاً. وكذلك اذ كانا بدون خبرة ولم يكن على الارض من  
يعلمها شيئاً يقرب الى الظن ان الخالق الجواد اعلن لهما ما كان  
لزاماً من المعرفة لنضج الحيوة. واما راي البعض ان  
الانسان كان اولاً حيواناً اصم غير ناطق بفرق قليلاً عن  
الوحوش البرية ثم استنبط النطق والصناعات بدون مساعدة  
او وحي من الله فقد رددنا عليه وظهرنا فسادهُ

ثم ان قبل الانسان من الله في البداية شيئاً من المعرفة  
اللازمة لحالته فاذا ذلك الا وحي. وان احتاج بعد ذلك الى  
معرفة اكثر في امر متعلق بسعادته فما المانع من اعلان تلك  
المعرفة له ايضاً من قبل الخالق الجواد الذي لا يهمل خلقته.  
ووقوع هذا الاحتياج الكافرون بالوحي انفسهم لا ينكرونه.  
لانهم يعرفون ان عموم الناس سقطوا زماناً في عبادة الوثن  
وفقدوا معرفة الاله الحقيقي فاخذوا في عبادة انوار السماء  
والوحوش ونحوها مما لا يعقل واستنبطوا طفوساً باطلة غير  
موافقة للعقل بل فاحشة ونجسة. ثم انتقلت هذه العبادة من  
جيل الى جيل وغاص البنون في الجهل اكثر من الابداء.



وكونه من الممكن ان حاكم البرية العادل يترك الناس في التمسك  
 بما استنبطوه واحتمال عواقب جهلهم هو امر لا ننكره. ولكن  
 بانترس الا بوافق حكمته وجودته ان يستعمل وسائط غير  
 اعتيادية لانتشالهم من هذه الحالة الدنية الشقية. أولاً يسلم كل  
 عاقل من المقرين بوجود الله بان ايجاد مثل هذه الوسائط  
 لترجيحهم الى الديانة الصحيحة هو امر مشتهى. فان كان سقوط  
 الانسان من رضى خالقه بجوج الى وحى اخر أفلا يكون ايضاً  
 اعلان المعرفة المحتاج اليها جوداً عظيماً. لماذا يُظن خروج الله  
 عن طريق اعماله الاعتيادية لاتمام غايات جليلة وثمينة امراً  
 لا يوافق العقل. واي شيء في قوة الطبيعة محرم بهذا المقدار حتى  
 انه لا يجوز ان يتغير مرة واحدة لاجل اي غرض كان. ان السبب  
 الموجب لدوام الشرايع الطبيعية على حال واحدة انما هو كون  
 ذلك لخير الانسان. فاذا كان خيراً يطلب تغييراً في النظام  
 الواقع فاذا يجعل ذلك غير موافق للعقل. ان خالق البرية  
 في حكمه على العالم لم يقيد نفسه بانواع نظام غير متغير. وربما  
 يأتي وقت يبرى مناسباً ان يغير النظام الحاضر باسره وكما  
 اعطاه بداية ممكن ان يجعل له نهاية. نعم ان الدوام على حال  
 واحدة مناسب لكي يعلم الناس ماذا يجب ان ينتظروه ولكي يشقوا  
 باستعمال الوسائط لتحصيل حوائجهم. ولكن التغيير احياناً عن  
 هذه الحال الدائمة لا يتعرض اصلاً للخير الناتج منها. وهذه الحقيقة

ظاهرة حتى انها كانت تستغني عن هذا الشرح الطويل لو لم يكن  
 الكافرون قد القوا بسفسطهم غشاوة مظلمة عليها حتى صار  
 البعض يحسبون تغيير شرايع الطبيعة امارة السوء والجهل وعدم  
 الثبات بخلاف الحق الذي نحن قاصدون اظهاره الان وهو  
 ليس اثبات لزوم الوحي بل اثبات كون الوحي ليس بمضاد  
 لمقتضى العقل وايضاً انه امر مشتهى للانسان جداً وموافق  
 لصفات الله الكاملة وللاصول التي بها يسوس الله العالم  
 ثم اذا فرضنا ان الله قصد اعلان ارادته للانسان فكيف  
 يتم ذلك على احسن منوال لاشك انه يتم على احدى طريقين .  
 اما باهام كل انسان بما يحتاج اليه من المعرفة واما باهام بعض  
 الاشخاص مع الامر بان يعلموا الغير ما انزل عليهم . فربما كان  
 الوجه الاول اكثر تاثيراً واما الثاني فهو اكثر موافقة لباقي اعمال  
 الباري تعالى . نعم قد كان يمكن ان الله يهب الانسان عقلاً تاماً  
 عند ما خلقه اولاً ولا يتركه محتاجاً الى تعليم وبالنتيجة لا بدعه  
 معرضاً للغلط . ولكن لم يفعل ذلك ولو فعله لم يكن من باب  
 الوحي الذي نحن في صدده . فقد قضى الله بان العقل لا يبلغ  
 الى ما يبلغ اليه الارويداً رويداً بعد تهذيب طويل . واذا ترك  
 لا يبلغ اصلاً الى درجة عالية . واما الوحي فلا نقدر ان نحكم  
 حكماً قاطعاً على الوجه الاوفق لانزاله ولكن نتيقن ان الله اذا  
 اراد ان ينزل وحياً للانسان كان يثبت بينات يعرف منها كل



طالب للخلاص انه منه تعالى والا لما افاد شيئاً. فإهي البينة  
الكافية لكون الوحي منه تعالى. انه لا بد ان تكون شيئاً لا يمكن  
تزويره بل يظهر به الله نفسه. ولا يتم ذلك الا باستعمال قوته  
الالهية او باظهار معرفته الفارقة ابي بالمعجزات او بالنبوات التي  
هي نوع من المعجزات او بهما جميعاً. فاذن وقوع المعجزات ليس  
بابعد من انزال الوحي. واجتماع هذين الامرين موافق للعقل  
واذا وجدنا الواحد فلا يبعد وجود الاخر

لا ينكر انه لا بد في وحي من الله من وجود بينات في نفس  
مضمون الوحي لكونه منه تعالى. وهذه البينات تسمى البينات  
الداخلية. وانما ذلك لا يشعر به حالاً الواقف عليه بل يحتاج  
الى اطلاع كاف. والحال انه عند نزول الوحي اولا يحتاج الى  
بينته ظاهرة للحواس ومفهومة لجميع العقول مثل المعجزات. وايضاً  
ان البينة الداخلية لكي تلحظ وتتمم تحتاج الى حالتها من الحواس  
الادبية في من يقف عليه مناسبة لقبول تلك البينة وبدونها  
لا تظهر ولا تنفع احداً. والبينة الخارجية ليس فقط يفهمها كل  
عاقل بل هي مناسبة لاقناع كل انسان سواء كان شريراً ام صالحاً  
واذ ذاك تكون المعجزات اعظم برهان لاثبات الوحي وهي  
ختمه الحقيقي اذ هي شهادة الله له. لاننا لانستطيع ان نتصور  
شيئاً يشير الى قدرته وحضوره كتوقيف الشرايع الطبيعية  
وهو شي لا يستطيع على عمله اخر. ولهذا عندما يدعي احد بتزول

وحي عليه منه تعالى ويصحب كلامه بمعجزات من القدرة الالهية  
الفايقة يتحقق الجميع ان الله معه وأنه معلم مرسل من الله . والا  
لما استطاع على عمل المعجزة ما لم يرسل الله بمبته  
بالمعجزات لاثبات تعليم كاذب .

نعوذ بالله من هذا

الكفر الشنيع



## الفصل السادس

في امكان اثبات وقوع المعجزات بواسطة الشهادة

المعجزة حادث محسوس يقع مخالفاً لمجرى شرايع الطبيعة  
المعروفة. وهي من فعل الله مصحوبة بتعريف سابق ان صنعها  
بواسطة قدرته لتكون بينة لتعليم او لسلطان انسان مثبتة بانها  
منه تعالى. والطبيعة مجموع خلايق تفعل بعضها في بعض بحسب  
قواعد معلومة قد شاءت الحكمة الغير المتناهية ان تجري بها  
علمها. وقد سمي الفلاسفة هذه القواعد شرايع الطبيعة. وفي  
الكتب المقدسة يُعبر عنها برسوم السماء والارض. وما يحدث  
بموجب هذه الشرايع موافقاً لنظام الامور الاعتيادي يسمى حادثاً  
طبيعياً. واما توقيف هذه الشرايع او حجزها او الخروج عنها  
ظاهراً مصحوباً بتعريف سابق بان ذلك موافق لارادته تعالى  
ومصنوع بقدرته فهو معجزة. فابراز الحبوب مثلاً بطريقة النبات  
انما هو بحسب الشرايع الطبيعية ولكن لو وقعت من السماء مثل  
المطر لكان ذلك معجزة. وكذلك من شرايع الطبيعة ان الميت  
لا يرجع الى الحيوة فلورجع لكان ذلك معجزة. وعلى ذلك يجب  
الاحتراز في التمييز بين المعجزة وبين الباهر في العظمة او النادر

وقوعه. نعم ان المعجزة لا بد ان تكون نادرة الوقوع ولكن قد  
تحدث وقايح نادرة الوقوع وباهرة ولا تكون معجزات. فظهور  
نجم ذي ذنب مثلاً نادراً وكذلك زعازع الرياح العاصفة.  
ولكن لا توجد في هذه ولا في تلك مخالفة لشريعة من الشرايع  
الطبيعية. ولا يخفى اننا لانعلم بكل ما يمكن حدوثه حسب تلك  
الشرايع ولكن حدوث حادث يقاس على قانونٍ مما كان نادراً  
وكيفيته غير معروفة شيء ومخالفة القانون ظاهرة شيء آخر.  
فبواسطة هذه المخالفة لما نعلم انه شريعة طبيعية نميز المعجزة عن  
الحوادث الطبيعية. وهذه الشرايع تتعلمها من اخبصار متسع  
ومطرّد بهذا المقدار حتى يحصل منه يقين بثبات نظامها  
كاليقين الحاصل من شهادة حواسنا. وتتصرف بموجب هذا  
اليقين في حوايجنا اليومية وتبنى عليه جميع استنباطات  
الصنایع واكتشافات العلوم الطبيعية. ويلزم ايضاً بالضرورة  
للمعجزة ان تُصحب باعلام سابق بانها تُعمل بحسب ارادة الله  
وبواسطة قدرته لا ثبات تعليم او للشهادة على سلطان احد  
بانه مرسل منه تعالى. وهذا الاعلام لازم لكي لا يلوح عليها انها  
حسب مجرى العادة. ويجب ايضاً ان تكون فوق حساب البشر  
وقدرتهم لكي لا يظن انها نتيجة نظير سابق او علم كالكسوف  
والخسوف ولا انها من استنباط الخدافة او الفراسة البشرية  
كاعمال اللاعبين الماكرين



ولا يثبت الى ما يقال كثيراً ان المعجزة فابقة ادراكنا وانها  
لذلك مضادة للعقل . فان امكان وقوع المعجزات بحسبها وصفنا  
ليس بمضاد للعقل ولذلك يحتمل تثبيته بالبرهان العقلي . ومع  
انه لا يمكننا ان نشرح بالتدقيق عن كيفية عملها لكونها صادرة  
من فاعل غير منظور يفوقنا في الحكمة والقدرة لا يجب ان ننكر  
وقوعها اذا شهدت به حواسنا . فان كل ما نراه انما هو على نوع  
يفوق ادراكنا . كما اذا غرسنا غصناً في الارض فاننا نراه بعد  
سنين قليلة قد صار شجرة ولكننا لانعلم طريقة اخذه الغذاء من  
الارض ولا كيفية نموه . واذا نظرنا حولنا نرى الغاب احبائنا  
يهتز بالعواصف واخرى بلاعبه النسيم وتارة نراه مورقاً وتارة  
عارياً . ونعلم ان هذه الاحوال تابعة لاختلاف الفصول  
والفلاسفة قد اكتشفوا بعض عللها القريبة . ولكن لا يعلم احد فم  
باي طريقة تجري هذه العلل حتى تحدث هذه الحركات الطبيعية .  
وعند ما تقوم العاصفة فلماذا لا تدوم وعند سكون الريح ماذا  
يحرك العاصفة لاعلم لنا بذلك . فاننا بعد اعنى ابحاثنا في  
الاسباب الاولى نلتزم بان نكتفي بنسبة الجميع الى قدرته تعالى .  
ولكن مع اننا لاندرک ابسط هذه الامور لانوثر فينا لكثرة الالفة  
عليها ولانها تجري مجرى اعنيادياً ونراها كل يوم . والحال انه  
لو كانت مخالفة لجري الطبيعة المألوف مع كون فهمها ليس باعسر  
من فهم ما يجري بحسب المألوف من الطبيعة لاند هشنا منها

ونسبناها حالاً الى فعل الله . مثلاً عندما نرى صبياً بصير رجلاً  
ثم عند خروج الروح من البدن يتحول الى الفساد لانعجب من  
ذلك لاننا نراه كل يوم . ولكن لو راينا رجلاً انتقل من المرض  
الى الصحة بواسطة كلمة او مبتارجع الى الحيوة مجرد قول قابل  
لسمينا ذلك الامر الغريب معجزة لخروجه عن طريق العادة . مع  
ان لا هذا ولا ذاك في حيز ادراكنا وكلاهما من الله لانه ليس  
اخر يستطيع فعلها

فهذه حقيقة البينة النانجة عن المعجزات . وعندما يشهد بها  
شهادة كافية لوجه لنا لانكارها لمجرد كونها قد صنعت منذ  
دهور عديدة اكثر من انكارنا حوادث العناية الالهية المعتادة  
التي حدثت قبل زماننا لان هذه الحوادث نفسها ربما لا تحدث  
ايضاً الان . فمجرة الطبيعة الاعتيادية تثبت وجود الله  
وعنايته واما هذه الاعمال الغير الاعتيادية فتثبت رسولية  
صانعها من قبله تعالى وصحة تعليمه

ثم انه قبل ان نحكم على حادثه بانها معجزة حقيقية يجب  
ان نعرف ظروفها مع شيء كافٍ من احكام الطبيعة الاعتيادية .  
لاننا لانستطيع الحكم على ما يتعلق بامور طبيعية مجهولة هل هو  
حسب الطبيعة ام مخالفتها . واذ ذاك لا يتعلق تصديق  
المعجزات بجهالتنا كما قال البعض . بل هو يطلب علماً سابقاً  
بطور الطبيعة لا يصح الحكم عليها بدونه وبه تظهر صحة وقوعها



ظهوراً لا يقبل الريب . مثلاً لو شفى طبيبٌ اعمى حالماً طلى عينيه  
 باستحضار كياوي لم نره قبلاً ولا علم لنا البتة بما هيته وخاصياته  
 لكان الشفاء عندنا معجباً . غير اننا لانستطيع الحكم بانه معجزة لانه  
 قد يكون من تاثير العلاج بحسب الطبيعة . ولكن لو شفاء بمجرد  
 امره لانه ان يبصر او بطلت عينيه بتفله لقلنا ان ذلك معجزة عن  
 يقين لعلنا الاكيد بانه ليس للصوت البشري ولا للنفل البشري  
 قوة مثل هذه بحسب مجرى الطبيعة في امراض العين . وكذلك  
 لو بلغ امر مريض الى ان اشرف على الموت فحضر طبيبٌ وشفى  
 على يده بعد العلاج لم يحسب ذلك معجزة بخلاف ما لو اخذ  
 الطبيب بيده فاقامه صحيحاً بدون واسطة العلاج

واذ كانت المعجزات حوادث مخالفة لمجرى الطبيعة  
 الممهود فهي بالضرورة لا تصنع لاجل امر يسير . لانه اذ كانت  
 الشرايع التي بحسبها تتصرف المخلوقات ناتجة عن حقيقة هذه  
 المخلوقات وتعلق بعضها ببعض فلا تتغير من تلقاء ذواتها . واذا  
 كان الله يحكم على العالم بموجبها وهو الذي وضعها فهو وحده  
 يستطيع ابطالها . ولا يغيرها الا الله او رسولٌ منه

ثم المعجزة انما تكون برهاناً لسلطان فاعلها او لصحة تعليمه  
 عند ما يقصد بها اثبات ذلك قصداً ظاهراً . فان المعجزة انما هي  
 شهادة الله وبما انه لا يمكنه تعالى تقديم شهادة لغير الحق ولا  
 يجوز لنا تصور ذلك البتة فعند ما تُصنع معجزة حقيقية لاثبات

اميرٍ نعلم ان ذلك الامر حتى لان الله قد شهد له . فاذا كانت  
معجزات موسى والمسيح قد صُنِعَت لاثبات كون رسوليتهما وتعاليمهما  
من الله نوقن بانها كانت من الله بالحقيقة

ولكنه قد اعترض على هذا القول اولاً بان المؤمنين  
بالكتاب المقدس يحكمون بالدور الملتوي على انهم يثبتون  
التعليم بالمعجزة والمعجزة بالتعليم . ثانياً بان الكتاب المقدس نفسه  
يشهد بعمل المعجزات لاثبات الكذب

فعلى الاعتراض الاول نقول اننا لو زعمنا عن جميع  
تعاليم الديانة انه لا يمكن اثبات كونها من الله الا بالمعجزة ثم  
اتخذنا تلك التعاليم برهاناً لكون المعجزة من الله لكان الاعتراض  
صحيحاً . ولكنه قد غلط المعترض غلطاً عظيماً بانه لم يميز بين التعاليم  
التي نشئها بالمعجزات والتعاليم التي بها نتمتع بالمعجزات . والحال  
ان بينها فرقاً عظيماً . فان تعاليم الديانة الطبيعية العظمى تشهد  
لها اعمال الطبيعة ذاتها ولا تحتاج الى شهادة المعجزات . ولم يصنع  
الله معجزاتٍ مثلاً لاثبات الفرق بين المحرام والحلال فلو اراد  
انسان ان يثبت وجوب العدل والعفة على البشر وجرم القتل  
والزنا لما استعان بمعجزات . وقد كانت هذه الواجبات ونظيرها  
مما يحتم به الانجيل واجبات قبل مجيء السيد المسيح وكنا قد  
حصلنا على معرفتها بدون مساعدة المعجزات او الوحي . فاننا  
بمثل هذه التعاليم نتمتع بالمعجزات ولكن التعاليم التي تشبهها بالمعجزات



هي تعاليم النصرانية الموحى بها حديثاً التي لم تكن معروفة ولا  
 يمكن ان يتعلمها العقل البشري من اعمال الطبيعة فقط. ومن  
 هذه التعاليم الفداء والخلاص بالمسيح وتجديد القلب وتطهيره  
 بروح الله. فلا ناتي بهذه التعاليم لاثبات صحة المعجزات  
 ومصدرها الالهي. فكيف ينهمننا الخصم باثبات التعاليم بالمعجزات  
 ثم المعجزات بالتعاليم

اما الاعتراض الثاني ان الكتب المقدسة نفسها تقول انه  
 قد صنع بعض معجزات لاثبات الكذب كالتى صنعها السحرة  
 بمصر وساحرة عين دور والشيطان الذي جرب المسيح فنقول  
 عليه اننا لو سلنا بان سحرة مصر عملوا معجزات فانما كان ذلك  
 باذن الله ليكون نجاح امره اخيراً على يد موسى اعظم في اذهان  
 الجمهور واعجب لاعين البشر. ونرى ان ذلك قد تم بالفعل  
 حينما السحرة صمتوا والتزموا ان يعترفوا بان اعمال موسى انما  
 كانت اعمال اصبع الله. ولكن الحق انهم لم يعملوا شيئاً من  
 المعجزات لان جميع ما عملوه بحسب قول موسى قد كان بسحرهم.  
 والجميع يعلمون الان انه وليئن كان الضعفاء العقول والجهلاء  
 ينغشون فبالسحر لا تعمل معجزات

واما ساحرة عين دور فلم تعمل ولم تنتظر معجزة. وهذا  
 ظاهر من اندهاشها وخوفها عند ظهور صموئيل. فان شاول  
 اذ كان منتظراً معجزة نظر الى صموئيل بدون تحير واما الساحرة

فاذا لم تنتظر شيئاً تخبرت وخافت. فلا بيان من خبر الكتاب  
 ان هذه المرأة كان لها قدرة على احضار صموئيل الذي اراد  
 شاول مشورته. لكن قبل ان استعدت لتتكر بشاول بسحرها  
 ظهر صموئيل مرسلًا من الله وحكم على شاول بالموت فتخبرت  
 المرأة وانذهلت. ولا ريب ان صموئيل كان مرسلًا من الله اذ  
 كان ما بلغه لشاول متعلقًا بامر مستقبل وذلك مختص بالله  
 واما امر الشيطان الذي قال الانجيليون انه اصعد يسوع  
 المسيح الى جبل عال جدًا وراه جميع ممالك العالم ومجدها  
 بلحظة من الزمان فقد سماه احد المستهزئين بالكتب المقدسة  
 اعجب المعجزات. ولكنه ليس بمعجزة اصلاً اذ لم يقل ان ذلك لم  
 يكن من القدرة الطبيعية او انه كان بدون رضى المسيح  
 واختياره. فان الكلمة المترجمة بالعالم كثيراً ما تعني في اليونانية  
 بلاداً او اقليماً والمعنى انما هو ان الشيطان ارسل يسوع المسيح  
 ممالك اليهودية وعلى ذلك لا يكون شي من المعجزة  
 فينتج مما سبق ان فائدة المعجزات الحقيقية انما هي الدلالة  
 الصريحة على امر الله من الله. والكتب المقدسة نفسها تشير الى  
 ان هذه هي غاية المعجزة اذ قد اخرج بها موسى والانبياء والمسيح  
 ورسله شهادة على ان رسوليتهم منه تعالى. ومن ثم نستنتج ان  
 فاعل المعجزة هو رسول من الله  
 ثم ان المعجزات على الاطلاق وقابع في الخارج وهي تختم



البرهان بالبيّنات الصادقة كغيرها من الحوادث المحسوسة .  
فالذين شاهدوا معجزات موسى ويسوع المسيح مثلاً كانت  
مشاهدتهم برهاناً كافياً لهم على نزول الوحي على موسى والسيد  
المسيح . وإن قيل يجب أن يكون الشهود مطلعين على نظام  
الطبيعة لكي يمكنهم الحكم بأن الأمر الواقع مخالفٌ له فلا ريب  
أن الأمر كان كذلك من جهة من شاهد المعجزات المذكورة في  
الكتب المقدسة . لأن كل ذي فهم أعينادي لا يمكنه الغلط في  
معرفة أنه عندما شق موسى البحر الأحمر ويشوع نهر الأردن ومر  
بنو إسرائيل فيهما والماء متعرياً على الجانبين كان ذلك مخالفاً  
لنظام الطبيعة . وكذلك شفائه الأمراض وإعطائه الأعمى البصر  
والاصم السمع والأخرس النطق ولا سيما حياة الجثة المنتنة بمجرد  
الأمر من غير استعمال واسطة من الوسائط  
وأما الذين لم يشاهدوا المعجزات بأعينهم فتحتمل عندهم أيضاً  
البرهان بالشهادة كغيرها من الحوادث . فبعد أن تحققنا كفاية  
الشهود بمعرفة الواقع لم يبق علينا إلا النظر في صدق أخبارهم .  
ومعرفة ذلك إنما هي بحسب المبادئ التي يتوقف عليها تصديقي  
الشهادة على وجه العموم . وبما أن أصحاب الكفر قد استندوا  
على هذا الباب لانكار حقيقة المعجزات المذكورة في الكتب  
المقدسة رأينا أن نضع شيئاً من الوسائط للحصول على معرفة قيمة  
الشهادة البشرية

فلاجل معرفة قيمة شهادة قد وُضِعَتْ هاتان القاعدتان  
 البسيطتان. الاولى ان الشهادة بحق لها التصديق بحسبها بملك  
 الشاهد فرصة لتحقيق ما يشهد به ويكون خالياً من غرضٍ يميله  
 الى ان يغشَّ الآخرين. فان كان المخبر على احسن حالٍ للوقوف  
 على صحة الامر ولم يظهر عليه الغرض للكر بنا فعلينا تصديق  
 خبره. والافتناخر عن التصديق بحسب ما بداخلنا من الريب  
 في استيفائه هذه الشروط. والثانية ان برهان الشهادة بقوى كلما  
 كثر عدد الشهود في قضية واحدة وكانوا ممن يوثق بشهادتهم.  
 وان برهان الشهادة يضعف كلما كثر عدد الذين تسلسل اليها  
 ذلك الخبر بواسطتهم. ويقال للنوع الاول شهادة مستقلة  
 والثاني شهادة منقولة. وايضاً مما كان من النقص في فردٍ من  
 افراد الشهود المستقلين بانفسهم فشهادة الآخرين تجبره.  
 واما الشهود الناقلين فالنقص في شهادتهم يزيد بالنسبة الى  
 كثرة عدد الذين تسلسل اليها الخبر بواسطتهم  
 ثم العلامة التي بها تُعرف صحة خبرٍ اخبر به شهودٌ مستقلون  
 بانفسهم يوثق بشهادتهم هي اتفاقهم في الامور الكلية واختلافهم  
 في الامور الجزئية او اقله تخبيرهم بها على طرقٍ متنوعة. وسبب  
 ذلك انهم يلتفتون سوية الى الامور الكبرى فتوثر في كل فردٍ  
 منهم على حدٍ سوى واما الامور الجزئية فلا يلتفت اليها جميع  
 افرادهم التفاتاً واحداً ولهذا تضطرب اخبارهم فيها. واما اذا اتفق



شهودي جميع قضايا خبر ما كلبية كانت امر جزئية وفي ترتيب  
الخبر وطريق التعبير عنه فذلك دليل على انفاهم السابق في  
الاخبار بذلك الخبر عينه فتفع عليهم الشبهة بانهم قد تحركوا  
الى تأدية الشهادة بامر بنقص من قيمتها. وايضا اذا تعلموا ظروفًا  
بعضهم من بعض فلا يحسبون شهودًا مستقلين بانفسهم. ولا يخفى  
ان كل التواريخ التي كتبها المورخون الذين يوثق بصدقهم تنفق  
في الامور الكلبية على حدٍ سوى ولكنها لا بد من ان تختلف في  
الامور الجزئية

ثم نعتبر ايضا حقيقة الامر المطلوب منا تصديقه. فاننا  
نطلب اكثر او اقل من البيانات بحسب ابتعاد وقوعه من دابر  
اخبارنا والمشابهة بما نعرفه. ففي مقدار البيانات المطلوبة تختلف  
الامور اختلافًا كليًا فمنها ما يحتمل وقوعه بكل سهولة ولا يحتاج  
برهانًا قويًا ومنها ما لا يمكن تصديقه مهما كانت الشهادة به قوية  
لخالفته ما نعهد من اطوار الطبيعة مخالفة تنفي التصديق. مثلاً  
لو اخبرني غلامي انه اذ كان مجازاً ببعض الامكنة رآه احد  
اصحابي وكنت عارفاً بان لذلك الصاحب عملاً في تلك الناحية  
وكنت واثقاً بصدق غلامي لصدقته حالاً حتى لو كان بعيني  
ذهاب صاحبي الى تلك الناحية لكنت انصرف من غير تاخير  
بمقتضى خبر غلامي. ولكن لو اخبرني ذلك الغلام نفسه انه  
اذ كان مجازاً بذلك المكان رآه صاحباً اخر من اصحابي

وكنت عارفاً بأنه قد توفي لما صدقته ولئن كان الامر في نفسه  
ليس مستحيلاً. ولكن لو اخبرني هذا المخبر عشرة انفار من معارفي  
ومعارف المخبر عنه وكانت اخبارهم غير متعلقة برواية بعضهم عن  
البعض وكانوا من ذوي الصدق والمعرفة لامكنتي تصديقه.  
فبينج من ذلك ان المعجزات تحتاج الى شهادة اقوى مما يُطلب  
للامور الدارجة. واما معجزات الانجيل

فسوف ترى في ما ياتي

ان لها مثل هذه

الشهادة



## الفصل السابع

في صدق المعجزات المذكورة في الانجيل

بعد ان راينا في الفصل السابق امكان وجود بينات  
للمعجزات تجعلها محالاً للتصديق اتينا الان لتفحص البينات التي  
بها تُبرهن صحة وقوع المعجزات المذكورة في الانجيل. ولا يخفى ان  
ذلك اعظم مقاصدنا في هذا البحث. لانه بدون بينات كافية  
لصحة الديانة المسيحية لا يمكننا الايمان بها. فقبل الدخول في هذا  
البحث وتمهيداً له نضع بعض مبادي يسلم بها كل من له اطلاع  
على هذا الموضوع

فنقول ان البرهان ببينات الشهادة يحتمل جميع الدرجات  
من رجحان ضعيف الى اليقين التام. حتى اننا ما نقبل بعض  
اخبار الاباضع التسليم وتيقن بعضاً كما تيقن ما شاهده  
بجواسنا او يبرهن عليه بقواعد تعليمية

ثم ان مقدار قوة الشهادة لا يحسب بحسب قاعدة معلومة  
ولا يقاس بالحساب العقلي. بل انما يعرف بالاخبار. فنصدق  
بعض اخبار غاية التصديق من دون ان نقدر ان نعين ماذا  
يبنى عليه هذا اليقين. وذلك على ان اصول معرفتنا قد تكون

متعددة ووصول الاخبار اليها يكون على طرق متنوعة حتى انه  
لا يمكننا ان ننسب الى كل واحد من هذه الاشياء مقداره الحقيقي  
من مجموع تاثيرها فيها. فلو سئلنا مثلاً على اي شهادة نصدق  
بوجود مدينة رومية او بما فعل الجنرال بوناپارته في اوروبا  
لأجينا على العموم بانه قد ورد اليها شهادات متكاثرة على ذلك  
حتى انه لم يبق لنا سبيل للارتباب. وهذا التصديق نفسه المبني  
على مثل تلك الاسباب نصدق به في امور مضت من اجيال  
عديدة. فمن الذي يمكنه الارتباب مثلاً بانه في الايام الماضية كان  
بوليوس قبصر او بولس الرسول او هرون الرشيد او كولومبوس  
او لوثاروس

ثم انه بعد ما نحصل على مقدار كافٍ من البيئات لانفعنا  
الزيادة شيئاً اذ قد وصلنا بدونها الى الغاية القصوى من  
الاقناع. كما في علم الهندسة ان برهاناً صحيحاً على قضية يقوم مقام  
مائة برهان. وبعض شهود عادلين متفقين لاتناقض بينهم  
يوقعون الاقناع كشهود لا عدد لهم. وفي التنقيب على قاتل  
نفس لو وجد الف شاهد لاثبات الجرم على شخص ما لا يرى  
مجلس القضاء لزوماً لطلب اكثر من خمسة او عشرة انفار بشرط  
اتفاقهم في الشهادة

ثم انه وان لم يعلمنا الا الاخبار مقدار البيئة اللازمة للاقناع  
التمام نعلم من الاخبار السابق ماذا يكون تاثير بيئة من البيئات



في المستقبل وما أثرت فينا نستدل على تأثيرها في الآخرين  
ثم ان الشهادة الضعيفة قد بانيتها احياناً ظروف نقوبها  
او تبقى للمشهود به نتائج نستلزم وقوعه حتى نصير الشهادة منسقة  
فنصدقها ضرورة. مثلاً لو اخبر مورخٌ بشكك بصدق قوله  
بكسوف الشمس في يوم معلوم في مكان معلوم فان لم تكن لنا  
بينة اخرى لصحة ذلك لترددنا بين تصديق الخبر وتكذيبه.  
ولكن لو وجد من حساب علم الفلك ان الشمس قد انكسفت  
في ذلك الزمان انكسافاً يري في ذلك المكان لكان يصدق  
خبر المورخ من دون شبهة. او لو وجدنا في كتاب لا يعرف  
مولفه ان زلزلة قد اخرجت مدينة في زمن ما ولم تكن لنا بينة  
اخرى لصحة ذلك لترددنا في التصديق. ولكن لو وجدنا من  
المشاهدة او من اخبار اهل السياحة الصادقين اثار مدينة  
قديمة في ذلك المكان لتحققنا صدق الخبر

ثم ان بينات الديانة المسيحية قد تكون كافية للاقناع  
بصحتها من دون ان تزيل كل محل للشبهة وتجعل الانكار غير  
ممكناً. وربما قصد خالقنا ان تكون كيفية تصرفنا في الفحص عن  
الحق وقبوله جزءاً عظيماً من امتحانه اباننا في هذه الحياة. واذ  
ذاك لم يجعل للوحي من البينات ما لا يمكن رفضه. بل ما  
لا يغلط فيها كل طالب مخلص النية غلطاً مهلكاً مع ان ذوي  
الافتخار والغرض الذين يفضلون الظلمة على النور لا يكادون

ينجون من الغلط فيه

ثم ان الناس طبعاً يتكلمون بالصدق . واما الكذب فيتكلمونه  
على غير الطبع . والاشرار لا يكذبون الا لغاية تعود الى مصلحة  
انفسهم . فالانفاق بين اشخاص على الغش لا يكون الا عند ما  
يرون العمل راجعاً الى افادتهم . ولذلك لا ترى جماعة يشتغلون  
في اختراع اكدوية ونشرها بين الناس وهم لا يرجون منها نفعاً .  
ومن باب اولى لا يتدخلون في الكذب بما يجاب الشر عليهم وهم  
يعلمون انه لا يكون لهم الا سبباً للاذى والعار

ثم بين الحق والكذب اختلاف عظيم حتى انه من اصعب  
الامور ان يتزَي هذا بلباس ذاك على نوع يمنع كشف الفرق  
بينهما بواسطة الفحص الكافي . فان الكذب مهما كان عميقاً  
لا يحتمل الفحص المدقق . واسلوب الحق وطريقة التعبير عنه  
يختلفان جداً عما للكذب . فالحق يتبع طريقاً مستقيماً مكشوفاً  
لا تصنع فيه . واما الكذب فطريقه منحرف متلبس مزور متناقض  
وكثيراً ما يفتضح بما يستعمل لستره

ثم انه عند ما تعلق صعوبات بطرفي مسئلة يرشدنا العقل  
الى ان نختار اقلها صعوبة . والحال ان محاربي الديانة المسيحية  
كثيراً ما لا يلتفتون الى صعوبات اوهامهم . فان لكل مسئلة  
طرفين ان انكرنا الايجاب نقبل السلب بالضرورة مع كل ما  
يتعلق به من النتائج . فاذا رفضنا بينات الديانة المسيحية



وانكرنا وقوع المعجزات نلتزم بتقديم سبب لوجود الكنيسة المسيحية  
وسيرة معلمها والمؤمنين بها الاولين على وجه اخر. ومن ياخذ  
على نفسه ذلك بجده حملاً ثقيلاً. وبعضهم قد افرغوا قوتهم في  
ذلك عبثاً فاصبح تعليمهم عن اصل الديانة المسيحية لا يشفي غلبلاً  
وهو ناقص في البيئات التاريخية نقصاً كلياً

ثم ان تعادلت بينات الطرفين تطلب الحكمة ان نميل الى  
الطرف الاسلم. وهو في هذه المسئلة طرف الديانة. لاننا ان  
غلطنا بميلنا اليها لانخسر شيئاً بل نحصل على شيء من الصلاح.  
واما الغلط بالميل الى الكفر فهلك الى الابد

ثم ان القضية المثبتة بالبيانات الكافية اللابئة لا يجب ان  
يتزعزع ايماننا بها من جرى كل اعتراض لا يمكننا حله. والآن  
لغرفنا في ريب من الاشياء كلها اذ لا توجد حقيقة لا يتكلف  
الاعتراض عليها بشيء يعسر حله تماماً. حتى ان اجلى الحقايق في  
العلوم لا تخلو من مثل ذلك. وهذه الحال لا بد منها طالما عقولنا  
محصرة واتساع العلم البشري ضيق. فلماذا يغلط كل من يظن  
انه انتصر على الديانة المسيحية عند ما يجد اعتراضاً عليها يعسر  
حله. نعم انه يوجد من الاعتراضات ما يتعلق بجوهرات القضايا  
التي ان ثبتت ابطلت البيئات. ولكن كثير منها عرضي لا يتعرض  
لصححة البيئات. والى هذه يتجه قولنا انه لا يجب ان يتزعزع ايماننا  
من جرى كل اعتراض لا يمكننا حله

ولنات الان الى فحص الشهادات على المعجزات المذكورة  
 في الانجيل . وكلامنا في هذا البحث انما هو مع الذين يسمون بانه  
 قد كان انسان اسمه يسوع المسيح في بلاد اليهودية في الزمان  
 الذي ذكره الانجيليون . وبانه قد علم آداباً نفية جليلة وعاش  
 عيشة طاهرة فاضلة ثم قتل بيلاطس مراعاةً لخواطر اليهود .  
 وبأن تلاميذه خرجوا بعد ذلك الى بلاد كثيرة يكرزون ان  
 يسوع المصلوب هذا كان قد أرسل من الله لخلاص العالم .  
 وبأن كثيرين من الناس تحركوا الى الدخول في الكنيسة  
 المسيحية . ولان هذه القضايا ليست بمعجزات ومن الضرورة ان  
 يُسلم بمثلها قد اقر بصحتها اكثر الكافرين بتزول الوحي  
 واما اول ما يُبرهن عليه في فحص الشهادات المكتوبة فيجب  
 بالضرورة ان يكون صدق الكتاب الذي يتضمنها . فالكتاب  
 الذي توجد فيه البيئات على صحة وقوع المعجزات التي صنعها  
 يسوع المسيح ورسلة هو الانجيل . ولنا فيه اربع قصص عن حياة  
 يسوع الناصري ومعجزاته وموته وقيامته وصعوده الى السماء .  
 وايضاً يوجد فيه تاريخ اعمال الرسل وما كابدوه في التبشير  
 بالانجيل ووضع اساس الكنائس المسيحية الاولى بعد قيامة  
 معلم وصعوده . ولنا ايضاً في هذا المجموع جملة رسائل منها الى  
 المومنين على العموم ومنها الى كنائس مخصوصة ومنها الى اشخاص  
 مفردة . ثم زيد على هذا كتاب اخر ليوحنا في النبوة . فصار المجموع



يُعرف بالعهد الجديد

ثم نقول ان هذه الاسفار ليست بحدیثة الاصل لانها توجد  
منها الان نسخ في اللغة اليونانية قد كتبت اقل ما يكون من  
الف ومائتي سنة. وقبل ان تكتب هذه النسخ القديمة باجيال  
لنا شهادات عديدة من كتب اخرى على وجود الكتب المسيحية.  
وهي لا تذكر وجودها فقط بل نورد منها عبارات عديدة وكثيراً  
ما تشرحها. حتى انه لو فقدت جميع نسخ العهد الجديد لا يمكن  
الحصول على جانب معتبر منه من كتب هؤلاء المعلمين القدماء.  
وايضاً يوجد في هذه الايام ترجمات قد اشتقت عنها الى لغات  
مختلفة في الاجيال الاولى. فهذه الوسائل يمكننا الحاق هذه

الاسفار بزمان الرسل

ثم لنا ايضاً برهان قاطع ليس من مولفين مسيحيين فقط  
بل من الوثنيين ايضاً انه كانت جماعة يسمون انفسهم مسيحيين  
في زمن نيرون قيصر الروماني الذي كان معاصراً للرسل.  
فمن اللازم في نفس الامر ان اخباراً مثل ما ذكر في الانجيل  
كانت مصدقة ومقبولة عند الكنيسة المسيحية في بداية وجودها.  
اذ لو لم يكرّم بان المسيح كان قد ارسل من الله وعمل  
عجايب للشهادة على رسوليته وآمن بعض الناس بذلك فكيف  
كان يمكن انتظام مثل هذه الجماعة. فان التصديق بذلك  
يكون كالتصديق بوجود بنيان بلا اساس. ثم انه لا بد ان

قيامه المسيح من الموت كانت من اعتقادات المسيحيين الاولين لانها ركن البناء جميعه اذ لو تزعجت هذه القضية من الاعتقاد المسيحي لهبط ولم يبق منه شيء. وايضاً يجب بالضرورة ان بعض رسوم خارجية مختصة بالديانة المسيحية تكون قد وجدت منذ انتظام الجماعة المدعويين بالمسيحيين اولاً. لانها هي علامات الاقرار المسيحي وجزء من عبادتهم. والاشارة هنا الى المعمودية والعشاء السري. ولا يُسلم انه قد وجدت الديانة المسيحية اولاً ثم قبلت هذه الاعتقادات والرسوم في العبادة. لان ذلك يكون كالظن ان جماعة دينية قد قاموا بدون معتقد وطقوس ثم اتخذوها واقتنعهم الذين علموا اباها انها قد كانت عندهم من البداية. ولا يخفى ان هذا مما لا يُحتمل وقوعه. بل من المحال انه قبل اشتهار الانجيل لم يكن للكنيسة المسيحية علم بالمعجزات والرسوم المذكورة فيه ثم عند ما اشتهر صدقوا ان جمعيتهم مبنية على الايمان بقيامة يسوع وبانه وضع المعمودية والعشاء السري قبلما ترك العالم. فلا شيء اوضح من ان المسيحيين كانوا يؤمنون ويعلمون بموجب خلاصة الانجيل حالما انتظموا جماعة

ثم كما ان هذه الكتب قد اتت اليها منسوبة الى بعض رسل يسوع المسيح وتلاميذه كذلك كانت تُنسب اليه هؤلاء الاشخاص ممن ذكروها اولاً. ويشهد بذلك الاباء القدماء كقضية لا ريب فيها عند الجميع. ولا يُظن انه في اوائل الديانة المسيحية



لم يُفحص بالتدقيق عن الذين صنّفوا هذه الكتب وعن صفاتها  
 ايضاً. لان الامر كان بالعكس وقد فُحص بكل اجتهادٍ عن  
 مثل هذه الامور. فانه انتشرت كتبٌ اخرى باسماء الرسل غير  
 صحيحة النسبة تدعى بالاخبار عن يسوع المسيح وكان الفرق بين  
 هذه الكتب من كل نوعٍ وكتب العهد الجديد صريحاً في تلك  
 الايام كما كان بعدها. فكانت كتابات الرسل مكرمة عند الجميع  
 ومقبولة عند الكنائس في كل العالم كدستور لايمانهم وسيرتهم  
 وكانت تُقرأ في اجتماعاتهم لاجل تعليم الشعب. وعند ما حدثت  
 اختلافاتٌ بينهم كانوا يستشهدون بها لاثبات دعاوهم على انها  
 قاعة يجب الحكم بموجبها. ومن حين انتشرت تفرقت نسخها  
 على وجه الارض واحتفظ عليها كل الاحتفاظ حتى انه لم يبق  
 لاحد قدرة على تحريفها او تغيير شي منها خلافاً لزم الذين  
 يعتقدون انها قد فسدت وتحرفت

ثم ان اسلوب كتابتها ولغتها برهانٌ خصوصي على حقيقة  
 نسبتها. نعم ان ذلك لا يدل على اشخاص الكاتبين ولكن يدل  
 على انهم كانوا في تلك الظروف عينها التي كان فيها الذين  
 انتسبت الكتب اليهم. فان الكلمات في اصل الانجيل يونانية  
 واما اسلوب الكلام فهو عبراني او بالبحري ممزوج من السريانية  
 والكلدانية. وكانت هذه اللغة لغة بلاد اليهودية في ايام المسيح  
 ورسله خاصة. ولا يخفى ان هذا مما لا يسهل تزويره لسبب غرابته.

فيكون ذلك برهاناً على ان العهد الجديد كتبه اناس من بلاد  
اليهودية وفي الزمان الذي كان فيه المسيح ورسالته. ثم انه كثيراً ما  
يشار في العهد الجديد الى انهار وجبال واجر ومدن وبلاد  
لا يشير اليها على منوال الانجيل من ليس له خبرة جيدة في بلاد  
اليهودية وما يليها من غير ان يقع في غلطٍ عظيم. والاشارات  
ايضاً الى طرائق اليهود والعباد المختصة بهم هي كثيرة جداً.  
ويشار ايضاً بطريق العرض الى اشخاص وامور نعلم حقيقة وجودها  
من كتب اخرى

فبناءً على ما تقدم يجب التسليم بان هذه الكتابات انما هي  
كتابات الذين هي منسوبة اليهم من الرسل وغيرهم. حتى ولو  
كتبها اناس آخرون لبقي تصديقها واجباً اذ لا ريب في انها كتبت  
في ذلك العصر وقبلها جمهور المسيحيين في ذلك الوقت. ولكن  
ما الداعي الى الارتباب في صحة نسبة هذه الكتب. من هو اجدر  
من الرسل بكتابة اسفار مثل هذه لارشاد ايمان الكنيسة. وان  
كان لم يكتبها هؤلاء فمن كتبها. ثم ان قبولها عند الجميع بدون  
خلاف يجب ان يسكت كل ماحك اذ كان الذين عاشوا في  
تلك الايام يعرفون الرسل ولهم تعلق كبير بهذه الامور ولهم حق  
الحكم في هذه القضية. فقد حكموا بصوت واحد لصحة نسبة كتب  
العهد الجديد التاريخية ابي الاناجيل الاربعة والابركسيس  
وتسلسلت اليها شهادتهم بدون انقطاع حتى ان مولفي الامم



والارائفة يشهدون بصحة نسبة الاناجيل الى الذين هي حاملة  
اسمائهم

واما الكتابات القديمة الاخرى فمن جهة حقيقة نسبة  
افضلها ليس لنا في الغالب من البيئات الاراي المعاصرين  
متسلسلاً اليها بواسطة تقليد غير مناقض. فلو طلبت لتاليفات  
هوميروس مثلاً ما يُطلب لاثبات صحة انتساب العهد الجديد  
لطُرِحَتْ بمعزلٍ حالاً كما لا صحة له. ولا توجد بينات لسائر كتب  
المؤرخين والشعراء اليونانيين واللاتينيين على انها مصنفات  
الاشخاص المنسوبة اليهم كالتي توجد لكتب متى ومرقس ولوقا  
ويوحنا. اذ ليس لنا فيها شهادة افرادٍ فقط بل شهادة جماعات  
مختلفة ايضاً متفرقة في العالم. ولنا ايضاً براهين داخلية لا يمكن  
تزويرها. وبالاجمال لنا كل نوعٍ من البيئات مما تحمله القضية.  
واذ ذاك تكون القضية مثبتة ان كتب العهد الجديد انما هي  
مكتوبة من الرسل. فهي اذن تحوي على شهادتهم للمعجزات يسوع  
المسيح ولما فعلوه من المعجزات باسمه بعد صعوده

وانه لمن المحقق ايضاً انه لم يدخل على كتب العهد الجديد  
تغيير كلي بعد ما كتبت. لانه يوجد اتفاق في جميع النسخ  
والترجمات القديمة وما نُقِلَ عنها. نعم يوجد اختلافات يسيرة  
وقعت من جهل النساخ او غفلتهم. ولكن ليس باكثر مما  
يُنْتَظَرُ وقوعه طبعاً. ولم يصل اليها كتابٌ صحيحاً او مصحوباً

بوسايط لاصلاح غلط المخط كالكتب المقدسة . والاختلافات  
التي وجدها المعلمون في مقابلة النسخ القديمة ليس واحدة من  
الالف منها تستحق الاعتبار . لانها طفيقة جداً من حيث ان  
اكثرها يكون اما من جهة الهجاء او في ترتيب الكلمات او في  
استعمال الالفاظ المترادفة . فلا يخجلُ المعنى بذلك اصلاً

وبعد ان اثبتنا حقيقة نسبة الكتب التي تتضمن الشهادة  
اي ان قد كتبها الذين هي منسوبة اليهم اتينا الان الى الكلام  
في تصديقها . فنقول اولاً انه لا ريب في ان كثيراً من الوقايع  
المذكورة في الانجيل معجزات حقيقية . فانه يُخبر فيه عن اقامة  
يسوع المسيح الموتى مراراً منها مرة كان لليت اربعة ايام وكان  
قد اتن . وفي جميع هذه المرات فعل المعجزة حالاً بدون واسطة  
غير قوله كلمة . وفيه يُخبر ايضاً عن ابرأيه كثيراً من الامراض  
المزمنة التي لا دواء لها كالعمى والطرش والخرس والعرج . وعن  
اخراج الشياطين من المجانين واشباعه الوقا من الناس  
بقليل من الخبز والسمك وبعد ما شبعوا تبقى من الكسر  
اكثر مما كان اصلها . وعن مشبه على البحر وتسكينه العواصف  
بكلته . واخيراً يُخبر فيه مكرراً عن السنة الشهود بان يسوع  
المسيح بعد ان صلب ومكث في القبر ثلاثة ايام قام من الموت  
وبعد ان ارى نفسه لتلاميذه مراراً عديدة صعد الى السماء  
امامهم . ولا ريب ان هذه جميعها معجزات حقيقية . نعم اننا



لانعلم جميع قوى الطبيعة واكن نعلم بكل تحقيق ان مثل هذه الاعمال لا تُعمل الا بقدره الله الخاصة. ويصدق هذا القول ايضاً على المعجزات التي صنعها الرسل باسم الرب يسوع وبالمخصوص على تلك المعجزة الفايقة يوم العنصرة عندما حل الروح القدس على الرسل بصورة ظاهرة واعطاهم موهبة النطق بالالسنه الغريبة وغيرها من المواهب الفايقة الطبيعة. فيلزم الجميع التسليم بان هذه الاعمال ان كانت قد وقعت فهي معجزات لا محالة

ثانياً كان يسوع يصنع ما صنعه من المعجزات غالباً على طريق ظاهرة بحضرة شهود كثيرين على نظر اعداء علماء خبثاء في ظروف كثيرة الانواع وذلك على سنين متوالية. فلم يبق وجه للحيلة او لصناعة اليد او لغش الحواس او غير ذلك مما يجحد الناظرين. ولا يخفى ان هذا الامر مهم لانه يثبت اثباتاً بيناً ان الرسل انفسهم لم ينفذوا بما قد شهدوا له. والقول بانهم كانوا يعتقدون ان مثل هذه الاعمال التي عاينوها كل يوم على سنين كانت معجزات لكنهم انغشوا بذلك ليس بابعد من القول باننا قد اتخذنا في كل ما ورد علينا من حيوتنا

ثالثاً يجب الالتفات الكلي الى صفات المعجزات المذكورة في الانجيل. فانها كانت لا يفة بعظمة ابن الله وعدله وجوده متصفة بالسمو واللباقة والطف بل ان اكثرها كانت اعمال شفقة نحو البائسين. ومع كثرة عددها واختلاف ظروفها لم يكن

في واحدة منها شيء من الهزة او الركاكة او نية الانتقام من  
اعدائيه. ولم يستعمل المسيح قط قدرته للفرجة او للقيام بحاجاته  
او لاكتساب المال والسطوة. ومع انه اطعم جموعاً جايعين  
واشبعهم بواسطة المعجزة ارتضى ان يجوع هو ويحتاج. ومع ان  
الطبيعة كانت تحت امره عاش في الفقر اذ لم يكن له مأوى  
لراحته. ومع ان اليهود رفضوه وعاملوه بالشر لم يرد احدًا اذا  
طلب منه شيئاً يساعده به. ومع ان حيوته كانت من جرعة  
الجموع التي اجتمعت اليه متعبة وغير مرضية لم يمل من عمل  
الخير اصلاً. وكل من بطّل على اخبار معجزات المسيح المذكورة  
في الاناجيل الاربعة الصحيحة والخرافات المذكورة في الاناجيل  
الغير القانونية المزورة يندش لامحالة من الفرق بينهما. وهكنا  
معجزات المسيح مع معجزات كل من ادعى بها كاذباً من قبله ومن  
بعده. ولا ترى كيف ان انساناً خالياً من الغرض عند قرآته  
المعجزات المذكورة في الانجيل لا يقتنع بصحة وقوعها من مجرد  
النظر الى نفس هذه المعجزات وظروفها

رابعاً لا توجد علامات مكرٍ ولا تزويرٍ في الشهادة ذاتها بل  
بالعكس توجد علامات الحق والصدق والنية الصالحة في  
اصحابها. ومع انهم يختلفون في اسلوب الكتابة وطريقة الكلام  
بحيث يظهر انه لم يكتب الاناجيل الاربعة انسان واحد ولكن  
لم اسلوب مشترك بينهم جميعهم على سبيلٍ لا نظير له الا بين



كنية الاسفار المقدسة . كأن ذلك صادرٌ من اعنصامهم على  
 نوعٍ خصوصي عن انفعالات الطبيعة البشرية وضعفها . لانه  
 في اخبارهم عن اعظم المعجزات لا يظهر العجب في الكتاب ولا  
 يُطلب ذلك من القاري . فلا يخبرون عن صفات المسيح الا  
 بمجرد الخبر البسيط بما عمل او تكلم ولا يشرحونها شرحاً عمومياً  
 ولا يستعملون القاب المديح لاجل اظهاره . وربما لا توجد عبارة  
 واحدة من اصحاب الاناجيل مدحاً في احدى خطاباتهِ او  
 اعمالهِ . وذكرهم شيئاً من ذلك ان وجد انما هو حكاية عن  
 اخرين رأوا ان يضعوها كمورخين امثاله . وعند ما يخبرون عن  
 آلام المسيح لا يثأرونها على ذلك بحسب عادة البشر ولا تميلهم  
 محبتهم له عن الخبر البسيط . بل انهم يخبرون عما حصل كانهم  
 لا يشعرون الا بعزم ثابتٍ على اعلان الحق بدون تحريف  
 الفضايا في ادنى شيء . ولا تراهم يتفهون بكلام الحق والغضب  
 على اعتداء المسيح بحسبنا نتظره طبعاً . ولا ينطقون بكلمة قاسية  
 غليظة على احد . حتى انهم يخبرون عن نفس خيانة يهوذا بتلك  
 البساطة عينها كانهم لا يشعرون بفتح عملهِ

ثم يوجد امرٌ اخر تظهر منه صفات اصحاب الاناجيل على  
 وجه اوضح واجلى . وهو كيفية تكلمهم عن انفسهم بدون اظهار قوة  
 محبة الذات . وذلك نادرٌ في الناس حتى ان البسطاء يتكلمون  
 بالمدح عن انفسهم في الغالب كلاماً مكروهاً . والذين يرضون

باظهار الحق يميلون غالباً الى طلب ما يتعوضون به عما يخبرون  
 من زلهم . واما اصحاب الاناجيل فلا يوجد مثل واحد على  
 ادنى ميل فيهم الى هذا الضعف . فانهم يتكلمون عن انفسهم  
 وعن اصحابهم بتلك البساطة عينها الموجودة في اخبارهم عن  
 غيرهم . فيذكرون بكل وضوح دناءة نسيم وصنايعهم وغلاظة  
 جهلهم وشدة انحرافهم وخصامهم على الرياسة وخوفهم وقت  
 الخطر وسقوط احدى سقوطاً مهلكاً وانكار اخر منهم معرفة  
 سيد برهة ما . وان ظن احد ان انشاء كتب على اسلوب  
 الاناجيل امر سهل فذلك من قلة التفاتة الى ما نحن فيه .  
 فانه من العجب ان يستطيع هؤلاء الاميون كتابة كتب صحيحة  
 ولو على الاسلوب الاعتيادي . اذ قل ما يوجد من الصيادين  
 والصناع الذين اصرفوا حيوتهم في الاعمال المزعجة ولم يتعلموا  
 صناعة الانشاء اناس يمكنهم ان يكتبوا خبر حيوتهم من غير ان  
 تقع في كلامهم عيوب عظيمة . واما ما يظهر من هؤلاء الاميين  
 من عدم الميل والغرض بحسب الظروف التي تقدم ذكرها فهو  
 امر لا تكشف عنه المبادي الاعتيادية

واما ما يستحق الاعتبار الخصوصي فهو عدم لواج النية  
 الردية في جميع ما كتبوه . فان طلبنا من الكافر ان يرينا من  
 الانجيل امراً او كلاماً بلوح عليه سوه نية اصحابه لما وجد فيه  
 شيئاً من ذلك ولو قرأه حرفاً حرفاً . فيلتزم بالاقرار انه لاشي



من النية الشريرة او الغاية الردية في اربعة كتب كتبها على زعمه  
 اناس خداعون قد خدعوا غيرهم بمكرهم واكاذيبهم الكثيرة .  
 وذلك شيء لا يوجد في جميع الكتب التي كتبها اناس كذابون  
 لانها لا تخلو من ان تلوح عليها النية الردية  
 نعم انه يوجد من ذوي العلم والتقوى من ظهر عليهم خلوص  
 غير اعتيادي في ما اظهروه من اخبار ضالهم واغراضهم  
 وخطاياهم . غير انها لا تخلو من لواج الضعف البشري . وبعض  
 الكافرين ايضا قد اشتهروا اخبارهم عن حيوتهم وذنوبهم الخفية .  
 منهم المعلم روسو وهو الذي اشتهر اكثر ما يكون في ذلك . فانه  
 يدعي بانه اعترف للناس بجميع ذنوبه التي ارتكبها مدة سنين كثيرة  
 في كتاب طبعه ونشره في العالم . وحقا قد اخبر فيه عن شرور  
 نجمل منها الشيطان نفسه . ولكن هذا الرجل المولع بالخطية قد  
 افتخر بما يستحق النجمل وقال انه عازم عند ما يقف قدام كرسي  
 الدينونة ان يحضر بكتابه في يده ليسلمه بيد الديان على انه  
 اعترافه واعتذاره . فمن شناعة رداء التصنع ترى فيه اعظم الكبرياء  
 والغرور . لانه مع ان هذا الاعتراف النضولي يتعدى على مقتضى  
 الضمير واللباقة باظهار ما لا يجوز التلفظ به لا يري المعترف شيئا  
 من الحزن والتوبة . بل ان ظاهره يدل على الاعتذار عن الخبث  
 والقباحة . ومراده بذلك انما كان طلبا لشهرة جديدة ومجد لم يعرفه  
 الغير . وربما لا يوجد كتاب في اي لغة كانت مملوء من الكبرياء

والافتراء مثل هذا. والظاهر ان سبب اعترافه هكذا كان ثقتته  
 بفساد الناس فانتظر منهم مدبجاً كبيراً لاجل خلوص اقراره وذبماً  
 قليلاً لاجل سوء عمله. ولكن بما انه قد رفع دعواه الى حكم  
 ديوان اخر فلنا ان نشك بقبوله هناك من المدح الكثير والذم  
 القليل ما كان ينتظره. فبين مثل هذا الاعتراف القبيح وبين  
 التقرير البسيط الوديع الذي قرره اصحاب الاناجيل فرق  
 لا يوصف

ثم لا تعرض الى ذكر غير امير واحد ايضاً بحسب الالتفات  
 اليه في كتابة الرسل. وهو انه في اخبارهم عن يسوع المسيح  
 بالتفصيل لا يشار اليه الى صورة شخصه. فاننا جاهلون بقامته  
 وهيبته وصورة وجهه ولونه الى غير ذلك من صفاته الشخصية  
 كما لو لم يكتب الانجيل. وفي السكوت عن هذه الاشياء حكمة  
 كلية مع انه لو اتبع الكتبة حركات قلوبهم لكننا نجد اقله شيئاً  
 من الاشارة اليها

خامساً ان الاعتراض على الشهادة من حيث قلة عدد  
 الشهود لا اعتبار له. لان اكثر القضايا التي وصلت اليها بواسطة  
 التاريخ الثابت لا يشهد لها اكثر من مورخين او ثلاثة الأندراً.  
 وكثيراً ما تقبل شهادة واحد اذا كانت جميع ظروف القضية  
 المشهود لها توافق خبره. واما هنا فلنا اربعة شهود مستقلون لهم  
 معرفة تامة بما يشهدون له كان اثنان منهم وهما متى وبوحنا من



الاثني عشر الذين رافقوا يسوع حينما ذهب وراوا كل اعماله  
والاثنتان الاخران وهما مرقس ولوقا قد يمكن ان يكونا من  
الذين عاينوا اياته ايضاً اذ كثيرون يظنون انها كانا من السبعين  
تلميذاً الذين ارسلهم المسيح للتبشير حتى وان لم يكونا منهم فقد  
يمكن انها كانا من اتباعه او كانا حاضرين في اورشليم وفي اماكن  
اخرى حيث صنع اياته ومعجزاته. ولكن لا احتياج الى فرض  
احد هذين المذهبين لانها كانا في عصر من يشهدان له وكانا  
من المومنين الاولين ومن اصحاب الرسل الملتزمين بهم وترددوا  
كثيراً بين الكنايس. اذ كان مرقس اولاً رفيق بولس وبرنابا ثم  
التصق ببطرس الذي من وعظه جمع انجيله بحسب تقليد عمومي  
عن الاباء الاولين. ولوقا انتخبته الكنايس لمرافقة بولس في  
اتعابه وكان لا يكاد يفارقه حتى حبس اولاً في رومية وعند ذلك  
ختم خبره عن حيوته الرسول واتعابه

وما خلا هؤلاء الانجيليين الاربعة الذين كتبوا خبر معجزات  
يسوع المسيح على الخصوص لنا ايضاً على سبيل العرض شهادة  
الرسل الذين كتبوا الرسائل ولا سيما بولس. نعم ان بولس لم  
يكن من الاثني عشر رسولاً الذين صحبوا المسيح على الارض  
ولكنه صار رسولاً نحت ظروف صبرت شهادته ثابتة كشهادة  
غيره. فانه اخبرنا ان يسوع التقاه بالقرب من دمشق وظهر له  
ضمن نور ساطع وكلمه اذ كان ينهدد بالحنق والقتل على تلاميذ

المسيح. فمن تلك الساعة ترك جميع ما يُعْرِي به العالم شاباً يهودياً  
اذ كان ذا فطنة وعلم وسيرة غير معيبة في ديانته ونعمة من  
روساء طابقتهم واكثر غيرهم من غيره على خراب الديانة المسيحية  
فصار تابعاً للمسيح غيوراً حتى انه لم يلحظه احد في الغيرة والنجاح  
في تبشير الانجيل. فباي شيء يُعَلَّل عن صيرورته مسيحياً حالاً  
لو لم ينظر بالحقيقة يسوع الذي قام من الموت كما اخبر. فانه  
عوضاً عن انتظار النجاح العالمي الذي كان له قبلاً صار مضطهداً  
ومردولاً حيثما ذهب حتى ان ما ذكره في احدي رسايله مما احتمله  
من الشدايد كافي لترويع اشجع قلب. ومع ذلك لم يندم مرة  
على كونه صار مسيحياً بل ما زال موقفاً كل قواه لاجل انتشار  
الانجيل مدة حياته. فهذا التعبير في من له صفات بولس  
وانظاره في الدنيا لا يصح التعليل عنه على ظن نية الخداع.  
فهذا ما يطلبه منا الكافرون اي شهادة عدوٍ لاشهادة عدوٍ لم  
يقنع من دلائل ديانتنا بحيث تكون شهادته مناقضة لنفسها  
ومحلاً للاعتراض ولكن شهادة عدوٍ كان حاراً غيوراً في  
مقاومة الديانة مدة طويلة ثم اقتنع من قوة ادلتها الى ان صار  
تلميذاً غيوراً وبقي كل حياته متمسكاً بصحة الانجيل اشد التمسك.  
نعم انه لم يكتب انجيلاً لكنه شهد كثيراً للصحة الفضايا العظمى  
الواقع عليها بحثنا الان. وعلى الخصوص هو من افضل الشهود  
في امر قيامة المسيح لانه رآه وخاطبه بعد صعوده واخبرنا ببعض



ظروفٍ عظيمة جدًا في ذلك لم يخبرنا بها أحدٌ من الذين كتبوا  
 الاناجيل . فانه يقول ان خمسمائة انسان معاً راوا المسيح بعد  
 قيامته وقد كان اكثرهم احياء عند ما كتب ذلك . فلو كان قوله  
 هنا كذباً لانكشف كذبه حالاً اذ لا ريب في ان رسايله كانت تُنسخ  
 وتُنشر بين الكنايس حالما تُكتب . فلو لم يكن هذا القول صحيحاً  
 لكان كشف كذبه من اسهل الامور . ثم ان كل صحيفة من كتابات  
 بولس مبنية على قيامة المسيح وهو في جميع رسايله يتخذ ذلك كما امر  
 حقيقي بومن به كل المسيحيين ومحرك لكل عمل ونبوع لكل  
 تعزية . حتى انه عند ما اراد مرة اقناع الذين انكروا قيامة الجسد  
 من الهراطقة اراهم ان قولهم محالٌ بهذه النتيجة اي بانه ان لم نقم الموتى  
 فلم يقم المسيح ولو صحَّت النتيجة لانقلبت الديانة المسيحية . ثم انه  
 يفوض المسئلة لاعتماد المسيحيين العمومي ويقول ان لم يقم المسيح  
 فباطلاً نبشركم وباطلاً ايمانكم ايضاً بل نكون شهوداً كذابين لله  
 لاننا قد شهدنا لله بانه قد اقام المسيح الذي لم يقم ان لم نقم الموتى .  
 فهل يكتب عاقلٌ هكذا ان لم تكن قيامة المسيح من العقائد  
 الاصلية بين المسيحيين او لم يكن هو موقناً بصحتها . ولو كان  
 بولس كذاباً اهل كان يتجاسر ان يستشهد اكثر من خمسمائة نفس  
 اكثرهم احياء بصحة ما علم انه كذب . فما ايسر انكشاف هذه القضية  
 لو كانت خديعةً

وهذا الامر نفسه ظاهرٌ من رسايل الرسل الاخرين ومن

جليان يوحنا

فعند ما نعرف صريحاً اعتقاد احدٍ من جهة امرٍ ما فلنا  
 بالحقيقة شهادته في ذلك الامر لانه حينما يشهد شهادة صريحة  
 لا يقدم الا ما اقتنعت به افكاره. فلماذا ان امكنا معرفة ما آمن  
 به المسيحيون الاولون في امر قيامة المسيح وغيرها من المعجزات  
 نحصل على جميع ما يمكنهم من الشهادة فيها. ولا يخفى ان ذلك  
 امر مهم لسبب كثرة الشهود. لان لنا اقوى الادلة على ان  
 المسيحيين منذ البدء قد امنوا جميعهم بما ذكر في الاناجيل  
 ورسائل الرسل اذ صبرورثهم مسيحيين تبرهن ذلك على اجلي  
 بيان لانهم كيف يصيرون مسيحيين ان لم يؤمنوا بالديانة  
 المسيحية. ما لم يعتقد احد بان ليس الرسل فقط بل الذين  
 اهدوا عن ايديهم ايضاً كانوا خداعين يخدعون الناس وهو  
 محال. وذلك مثبت ايضاً بكيفية مخاطبة الرسل للمسيحيين في  
 رسالهم. لانه على افتراض ان كنيسة قرنتية مثلاً لم تعتقد بقيامة  
 المسيح اما يحسبون بولس مجنوناً في ما كتبه لهم في رسالته مبنيّاً  
 على اعتقادهم بذلك. ثم ان قبول جميع الكنايس المنتشرة في العالم  
 للاناجيل والرسائل هو اقوى دليل على ايمانهم بكل ما احثوت  
 عليه وقد اتخذ جميع المسيحيين هذه الكتب قانوناً لايمانهم ومرشداً  
 لسلوكهم. ولذلك لا ريب اننا حاصلون على شهادة جميع الكنيسة  
 الاولى لصحة وقوع المعجزات المذكورة في الاناجيل. فلو اتنا



كتابة فيها اعتقاد كل من تمسك بالمذهب المسيحي وشهادة  
 صريحة للوقائع المبنية عليها الديانة المسيحية هل يعترض احد  
 بقلة الشهود. والحال ان لنا مثل هذه الشهادة تماماً في قبول  
 المسيحيين للانجيل عند ما انتشر بينهم. ولا نرى نقصاً في هذه عن  
 تلك. واذ ذاك لا يكون نقص في عدد الشهود. ولو كتب كل  
 من الاثني عشر رسولاً ومائة ممن سواهم اناجيل لما ازددنا بذلك  
 شيئاً في قوة الدليل لانه بعد كل ذلك لا نحصل الا على شهادة  
 جميع الكتيبة الاولى وهي التي نحن حاصلون عليها كما قد ذكرنا  
 سادساً عدم اتفاق الشهود في الامور الجزئية لا يطل  
 تصديق الشهادة. لانهم يتفقون اتفاقاً تاماً في الشهادة للقضايا  
 الكلية ولتعاليم المسيح وصفاته. نعم ان كلاً من الانجيليين لا يختار  
 للذكر ما اختاره غيره من القضايا وذات القضية الواحدة التي  
 يذكرها اكثر من واحد منهم يذكرها الواحد بالتفصيل والاخر  
 باختصار. ولكن لا تناقض بينهم بل يوجد في تاليف الاناجيل  
 واخبارها مطابقة حسنة والحالي من الغرض لا يرى اختلافاً يوتر  
 في تصديق الشهادة التي تحوي عليها. ولو كتب كل من اصحاب  
 الاناجيل القضايا التي كتبها الآخرون بجميع ظروفها على نسق  
 واحد لظهر عليهم اتفاق سابق في الكتابة وهو ما يضعف  
 شهادتهم. والحال انه ظاهر من الادلة الداخلية الباطنية ان  
 الانجيليين لم يروا تاليف بعضهم قط قبل كتابتهم ما خلا بوحنا.

فيجب اذن ان يكون اتفاقهم كاتفاق شهود مستقلين قد فُحص كل واحد بمفرده ويُعدَّ اختلافهم في الجزئيات برهانا على عدم اجتماعهم ومشاورتهم في ما كتبوه

نعم انه لا يخفى ان من افوس ما اعترض به على الديانة المسيحية هو وجود ما ظاهرة تناقض في الاناجيل. ولكنه في هذه الرسالة لا يسعنا الكلام في الطرق المتنوعة للموافقة بين الاناجيل وازالة الصعوبات الناتجة من اختلافها. فراينا ان نكتفي بوضع بعض ضوابط عمومية لحل هذه المشاكل

فنقول انه يجب النظر الى ان الاناجيل كتبت منذ نحو النبي سنة بلغة لا يتكلم الان بها احد وبين اناس عوايدهم مختلفة عما هي عندنا الان. ولجل قلة معرفتنا بهذه الظروف نرى صعوبات ومشاكل لا يسهل علينا حلها

وان الاناجيل ليست تواريخ وقايح مرتبة على ترتيب زمان وقوعها. بل هي بعض قضايا عظمى قد اتخبت من عدد اكبر لم يذكر. فزمان هذه الوقايح ومكانها لا يتعلقان بقصد اصحاب الاناجيل. ولهذا نجدهم تارة ينظرون الى ترتيب الزمان وتارة الى ما يتعلق بمعنى ما سبق من الكلام وتارة الى ظروف اخرى. وانه لا عبرة في تدوين معجزة بذكر عدد الذين اتفقوا بها. لان المعجزة تبني معجزة سواء اعطي البصر لاعمى واحد او اكثر او اخرج الشيطان من واحد او كثيرين. وان كان مورخ في



ذكره العجوبة بخنار ان يذكرها كما حدث في شخص واحد لسبب  
 من الاسباب ومورخ اخر يذكر وقوع تلك المعجزة في شخصين فلا  
 تناقض في ذلك البتة. نعم لو ادعوا بالاخبار عن عدد جميع  
 الذين شنوا واختلفوا فيه لصح الاعتراض. ولكن لم يكن ذلك  
 غاية الانجيليين

وانه اذا كان انسان يريد ان يظهر براعة كحال مثلاً بانه  
 ابراً على طريقة غريبة من كان اعى زمناً طويلاً لا ينتج انه لم يشف  
 احداً غيره. واذا اخبرنا انسان اخر بالتفصيل عن كل من ابراهم  
 هذا الكمال فلا تناقض بينهما. بل الفرق يكون ان الاول بخنار  
 واحداً من كثيرين والاخر يذكر الجميع

واكثر ما ناتي منه المشاكل هو خلط الاشياء المتميزة. فان  
 الاخبار التي بالحقيقة يمتاز كل واحد منها بنفسه قد تشابه حتى  
 يحسبها بعض الناس خبراً واحداً. مثلاً اخبرنا واحداً من  
 الانجيليين عن معجزتين بهما اطعم المسيح جمعاً غفيراً تختلف  
 الواحدة منها عن الاخرى. فلو اخبرنا ذلك الانجيلي بواحدة  
 فقط واخبرنا غيره بالاطعم الاخرى لظن كثير من انهما معجزة واحدة وان  
 اختلفت شهادتهما. ولكن الحال ان المخبر بهما واحد والمسيح قد  
 اشار في كلامه الى كليهما على افرادٍ فلا شك انهما معجزتان.  
 واكثر ما يقع منه مزج الاشياء المتميزة يكون عندما يصحب الامر  
 ظروف وحوادث كثيرة تلي بعضها ولا يذكر المخبر سوى البعض

منها. ويصح هذا القول خاصة في قيامة المسيح لان اخبار  
 الانجيليين في ذلك مختصة. فلا يُذكر فيها الا قليل من  
 الظروف الواقعة معها مع ان الحال يقتضي انه كانت حركة  
 عظيمة جداً بين التلاميذ وجري سريع من مكان الى اخر  
 للاخبار بما حدث واجتياز بالقبور لتحقيق القيامة. ومن ثم لا عجب  
 اذا تراءى كانه قد وجد اختلاف في اخبارهم. فانه ذكر كل  
 واحد جماعة من النساء مثلاً اللواتي اتين الى القبر فيبادر  
 المعارض الى الظن بانهن جماعة واحدة ويفترض انهن وصلن  
 الى القبر دفعة واحدة ويقين معاً. ولا يلاحظ الاضطراب الذي  
 حصل من الاخبار بما حدث في ذلك الصباح. ولكننا في هذا  
 الامر وفي امور اخرى قد صرنا مديونين لاعلاء الوحي الذين  
 باعتراضاتهم اقاموا اناساً علماء اوضحوا ما كان خفياً فلم يبق اثر  
 من الريب

ثم انه قد وجد بين ما ذكره متى ولوقا من نسب يسوع  
 المسيح اختلاف حسب الكافرون المناخرون تناقضاً. ولكن  
 اعلاء الديانة المسيحية القدماء لم يحسبوه كذلك وهذا رد كافٍ  
 على هؤلاء المعارضين فلا حاجة الى بسط الكلام فيه. غير اننا  
 نقول ان كان احد هذين النسيين نسب يوسف والاخر نسب  
 مريم فلا خلاف بينهما. ونقول ايضاً ان معرفتنا بطريقة تاليف  
 جداول النسب في تلك الايام قاصرة جداً فلا عجب في ظهور



مشاكل فيها. ثم يحتمل ان هذين النسبين نُقِلا عن جداول  
انساب السبط والعائلة اذ لا بد من ان كان لكل عائلة وصول  
الى مثل هذه الجداول لاجل معرفة حقوق الارث. ولما كانت  
هذه الجداول المشهورة مقبولة عند الجميع وافقت غاية الانجيليين  
اكثر من جداول جديدة يكتبونها هم ولو كانت اكثر تدقيقاً  
وصحة. فالحاصل ان غاية هذه الانساب انما كانت برهاناً على ان  
يسوع المسيح كان من نسل داود وابراهيم وتم ذلك بها. ولا توجد  
صعوبة لاستطيع ان نعلل عنها بجهالتنا في هذا الشأن  
واخيراً نقول اننا نسلم بانهُ ربما دخل على نسخ العهد الجديد  
بعض غلطات يسيرة من غفلة النساخ. لانه من المحال ان يكتب  
احد كتاباً سالماً من الغلط في الخط. فان وجد بعض اختلافات  
في الاناجيل من جهة الاسماء والعدد فذلك يُنسب الى الناسخ  
سابعاً انه لا يمكننا ان نتصور لشهود معجزات المسيح موجبات  
لافتشاء خديعة. انه قد سبق الكلام بان كونهم لم يخذعوا انفسهم  
ظاهراً من ذات القضايا التي شهدوا بها ومن الفرصة التي كانت  
لهم لفحصها. فان لم يكونوا خداعين بكل نعمته وقد توافقوا بخبيث  
على المكر بالناس فلا بد من وقوع المعجزات التي اخبروا بها.  
واما في كونهم خداعين فلا يمكننا ان نتصور كيف ان اناساً ادنياً  
قاصرين في العلم يعتقدون انه يمكنهم ان يخذعوا العالم في امر  
مثل هذا ولا الاسباب التي حركتهم لسلوك هذه الطريق. فانه

لا بد انه كان لهم خيرات عالمية يعتبرونها طبعاً فتركوا كل شي  
من ذلك ودخلوا على طريق ليس فيها خطرٌ فقط بل هلاكٌ  
اكيد لكل مصالحهم العالمية. وعرضوا انفسهم لغضب الروساء  
وهياج الجمهور وهم قد عرفوا الاحالة انهم بذلك يجلبون على  
انفسهم انتقام الرياسة المدنية والدينية وان جميع انواع الشدايد  
امامهم. فلما صلب سيدهم اي فائدة ينتظرونها من الاخبار انه  
حي وقد صنع معجزات عظيمة. ولو ترجوا الخلاص من شرور  
ظاهرة هكذا لاقتنعهم حالاً الاخبار انهم قد تعاطوا امر ليس  
شريراً فقط بل لا فائدة له. لانه لم يكن الا قليل من الزمان  
بعد ما ابتدأوا في شهادتهم حتى وجدوا انفسهم ملتزمين باحتمال  
الاضطهاد من اليهود والامم. فان كان ما حركهم الى ذلك محبة  
الاشتهار فاي اشتهار بحق لم ان ينتظروه من قولهم ان رجلاً  
مصلوباً هو معلمهم واساس جميع رجائهم وثقتهم. ان الامر قد كان  
بالعكس فانهم عوض الاشتهار صادفوا الخزي. لانه لم يوجد  
اسمٌ مكروهٌ ومستهزأٌ به كالاسم المسيحي. فلعنوا كأدنى اشرايس  
وجدوا منذ بدء العالم وكنفاية الدنيا واقذارها وكمزيجي الناس  
ومبليهم وكاعداء الالهة. واقتنيت آثامهم كالقوم المردة وعوقبوا  
لاجل مجرد اقرارهم بانهم مسجونون. فهل يدوم والحالة هذه قومٌ  
على اذاعة الخديعة لاجل اشتهار مثل هذا. واقول بانهم انتظروا  
ثواباً في الآخرة مردوداً لاقتراض خديعتهم نعمداً. لانهم كانوا



يقولون كل يوم بكل رزائيه ما يعلمون انه كاذب. ولو صح هذا  
القول لصح ايضا ان نقول ان القاتل او اللص يتحرك الى ارتكاب  
ذنوبه القبيحة من رجاء ثواب الاخرة

فلا يبقى لنا الا ان نظن انهم كانوا متوسوسين. لان المعهود  
من تسلطت عليه الوسوسة احقار كل ما يُعتبر عند الناس  
وكثيرا ما يفعل افعالا لا نعرف لها اصلا. ولكن هذه المناضلة  
لا تصلح هنا لان اصحاب الوسوسة لا بد ان يكونوا مصدقين  
غاية التصديق صحة الديانة التي يريدون انتشارها. واما اوليك  
فعلى الافتراض الواقع عليه البحث عرفوا ان ما اخبروا به  
كان كاذبا. والوسوسة والخداع لا يجتمعان. نعم ان ما يتندبه  
بالوسوسة قد ينتمي احيانا بالخداع. ولكن في الامر الذي نحن  
بصدده لا بد من وجود الخداع في اول الامر كما في اخره ولم  
يكن مكان للوسوسة بل كان جميعه خداعا ان لم تكن القضايا  
الخبر بها صحيحة. ولكن الدليل الاقوى على عدم كون الانجيليين  
اصحاب وسوسة يتخذ من كتاباتهم. فانها ابعد ما يكون من  
شبهة الوسوسة بل هي اوسط وارزن واخلي غرضا من جميع ما  
قد كتب من الاخبار. فلم يحرك الكتبة جنون ولم تلح عليهم  
اشارات خيال مضطرب. واكتهم كانوا يتكلمون ابنا بكلام  
الحق والرصانة

ثامنا لو اقمنا انفسنا بان سببا مجهولا او شيئا لا يخطر لنا

ببالٍ قد حرك الرسل الى اختراع خبر معجزات المسيح او ان  
 جنونا دخل عليهم وحركهم الى البقاء على اشاعة الكذب تحت  
 كل مشقة وشدة لما امكنا مع ذلك ان نصدق بانهُ يوجد من  
 يتبعهم في البلاد نفسها والمدينة عينها التي زعموا ان المعجزات  
 قد صنعت فيها. لانه عند ما انتشرت اخبار هذه المعجزات  
 العظيمة الكثيرة في اورشليم حيث شهد الرسل اولاً فلو كانت  
 كاذبة أفلا يقول الناس ان هؤلاء الانفار ياتوننا باخبار غريبة  
 عن مسامعنا فيخبروننا باعاجيب وقعت بيننا ولم نسمع بها قبلاً  
 ويطلبون منا ليس ان نصدق اخبارهم الكاذبة فقط بل ان  
 نترك جميع ما لنا واصحابنا وديانة اباينا التي اقتبلوها من الله  
 وفضلاً عن ذلك ان نجلب على انفسنا انتقام المتسلطين علينا  
 وبغضة جميع الناس لنا واستهزاءهم بنا. فهل يُصدق والحالة هذه  
 ان عاقلاً واحداً يقبل اخبارهم

وفضلاً عن ذلك كان كهنة اليهود واكابرهم الذين صلبوا  
 المسيح بكرهون جداً اشاعة هذا الخبر لانه اوقعهم في ذنب قبيح.  
 فلو كانت شهادة هؤلاء الشهود كاذبة أفما كانوا يجذون كل  
 الجسد في اظهار كذبها او ما كانوا يحصلون على مطلوبهم بكل  
 سهولته. فانهم كثيراً ما يذكرون الاماكن التي صنعت بها المعجزات  
 وذكروا احياناً اسماء الذين شفوا من امراضهم او قاموا من  
 الموت. فمسكن العازر الذي قام من الموت مثلاً لم يكن بعيداً



من اورشليم الانحو ميلين فقد كان بيان كذب قيامته من اسهل  
الامور لو لم تكن صحيحة. وكثير من المعجزات المنسوبة الى المسيح  
قد صنعها في اورشليم وفي الهيكل نفسه. وبما انه اصرف زماناً  
كثيراً في هذه المدينة يصح الظن انه لم يكن واحد من سكانها  
جاهلاً بالكلية بالقضايا التي من شأنها ان تشغل قلوب الجمهور  
وتحركهم الى الالتفات اليها. فلا يخفى ان مثل هذا الكذب لا يمكن  
ان ينجح تحت مثل هذه الظروف. لان وجود جماعة من الاعداء  
شداد الخصام يمنع حالاً كل سعي في خداع شنيع عادم الاصل  
مثل هذا. نعم لو ادعى الرسل بان انساناً من زمان قديم او في  
بلاد بعيدة صنع معجزات مثل هذه لا يمكن ان يقنع بذلك بعض  
الناس. ولكنهم استشهدوا الذين وعظوم لصحة اخبارهم ولم يرض  
الا سابع قليلة لموت يسوع حتى شهدوا بهذه الشهادة جهراً في  
اورشليم. ومقاومة الروساء لم تمنع كثيرين عن قبولها وتقديم  
انفسهم تلاميذ لذلك الذي صلبوه حديثاً

تاسعاً ان الامر الاخير الذي اريد ذكره لاجل الوقوف  
على صحة شهادة الشهود لمعجزات الانجيل هو انه لا توجد شهادة  
مضادة لها اي ان هولاء الشهود لم يقاومهم ولم يناقضهم شاهد  
اخر. فمهما استخفت اخبارهم من التصديق لاجل ظروف الحال  
ومهما كان عندنا من الادلة على صدقهم وحذاقهم لا ينفص منها  
شيء من جرى شهادة مضادة لها. نعم ان كهنة اليهود وروسائهم

اذاعوا عن جسد المسيح بعد موته خبراً مضاداً لشهادة الرسل  
 قد وصل اليها بواسطة الانجيليين وارثوا الجند ليخبروا ان  
 تلاميذ المسيح جاءوا ليلاً وسرقوا الجسد وهم نيام. ولكن كان  
 ذلك محالاً ومخالفاً لنفسه حتى انه لا يحتاج الى رد البتة. مع  
 انه من حيث ان الجسد لم يبق عندهم لربما لم يمكنهم اختراع خبر  
 اخر ظاهرة اكثر تصديقاً. وهذا الخبر نفسه لا يثبت الا ان الجسد  
 اختفى والجند نياماً فلا برهان لهم على عدم قيامته من الموت كما  
 شهد الرسل

ان الكافرين يطلبون احياناً شهادة اعداء الديانة المسيحية  
 مع شهادة اصحابها. ولكن انتظارهم شهادة من الاعداء بصحة ديانته  
 بقاومونها شي لا يوافق العقل. فيكون سكوتهم هو كل ما ينتظر  
 منهم لانه اذ كانوا ينكرون هذه القضايا لو امكنهم يكون عدم  
 انكارهم ايها هو اعظم البراهين التي يمكننا الحصول عليها. نعم انه  
 سلبي ولكن لا يجب ان نتظر دليلاً من اعداء الانجيل الا ما كان  
 سلبياً او اتي على سبيل العرض. ما لم يقتنعوا من الادلة الموردة  
 لهم مثل بولس الرسول. ولكن لم يبلغنا من احد في ذلك العصر  
 انكاراً لحقيقة معجزات المسيح. وبحسب جميع ما عندنا من الاخبار  
 لا دليل لنا على ان احداً من اشد اعدائه انكرها. بل قال  
 اليهود انه صنع اياته بمساعدة بعزبوب رئيس الشياطين. واول  
 الذين كتبوا ضد الديانة المسيحية من الامم لم يجاسروا على انكار



معجزات المسيح . فلم يدع سلسوس ولا برفوروس ولا هيروكليس  
ولا بوليانوس بان هذه الحوادث كانت كذباً محضاً بل اجتهدوا  
في تعليل كيفية عملها ليخرجوها عن دابرة المعجزة . وعلما اليهود  
في التلمود يعترفون بوقوع هذه المعجزات ولكن يعللون بانها  
تمت بواسطة السحر او بقدره اسم الله الذي يدعون دعوى  
مضحكة ان يسوع سرقه من الهيكل حيث كان محفوظاً  
فالأمول الان انه مما سبق قد ظهر ان لنا من الشهادة ما  
يجعل معجزات الانجيل محالاً للتصديق عند كل من كان خالياً  
من هوى النفس . فاننا قد اوضحنا ان المعجزات المذكورة  
معجزات حقيقية . وانها صنعت جهراً امام الجمهور . وانه لم يكن  
ممكناً ان يُغشّ الشهود . وانه كان للاعداء كل فرصة وكل  
موجب لتكذيب هذه القضايا لو كانت كاذبة . وان لنا كل دليل  
على خلوص اصحاب الاناجيل وامانتهم . وان رسايل الرسل  
برهان ثابت على سبيل العرض على صحة هذه المعجزات . وان  
جميع المسيحيين منذ البدء كانوا بالضرورة يؤمنون بها ولهذا يجب  
ان نعتبرهم كشهود . وانه لم يمكن ان يكون للشهود موجب للكر .  
وانه لم يمكنهم النجاح البتة في تزوير كاذب مثل هذا ودعوة  
للايمان به . وانه كان من اسهل الامور لروساء اليهود ان يظهروا  
كذب مثل هذه الاخبار لو كانت كاذبة . وان بداية التبشير في  
اورشليم ونجاح الديانة المسيحية هناك برهان قاطع على صحة

المعجزات . وان ذهب الرسل الى البلاد والمدن المنورة  
ونجاحهم فيها لا يطابق مذهب من ذهب الى انهم كانوا خداعين  
جهلة . واخيراً انه لا توجد شهادة مضادة لهذه المعجزات بل قد  
التزم أعداء الديانة المسيحية الالون ان يقرّوا بوقوعها

فبعد اعتبار هذه الامور اعتباراً كافياً والنظر اليها كما يجب  
ألا يكون وقوع هذه المعجزات اقرب الى العقل من كون مثل  
هذه الشهادات التي تطابقها الظروف والنتائج كاذبة . وان كانت  
هذه الشهادات كاذبة أفلا يحق لنا ان نرفض كل شهادة تاريخية  
مهما كانت اذ لم يُشهد لقصية من القضايا التاريخية كما شهد هذه .  
ولا موجب لرفض هذه الشهادة الا كونها معجزات وقد بينا ان  
انتظار معجزات في مثل هذا الامر يوافق العقل وانها محتملة  
البرهان الكافي من الشهادة . ولهذا تكون النتيجة

صادقة ان معجزات الانجيل

محل للتصديق



## لفصل الثامن

في ان نجاح الانجيل واتساعه اولاً بوساطة قليلة وضعيفة  
برهان على ان ذلك كان من العناية الالهية

ان نجاح الانجيل اولاً تحت ظروف الحال حينئذ من  
اعجب الوقائع المذكورة في التواريخ وهو امر لا ريب فيه . فلم يمض  
الاقليل من الزمان حتى آمن الوف بالديانة المسيحية في اورشليم  
واماكن اخرى في بلاد اليهودية . وفي بلاد الوثنيين كان نجاحه  
اكثر سرعة واتساعاً . فلم يمض نصف جيل بعد قيامة المسيح حتى  
قامت كنايس في اعظم مدن الولاية الرومانية جميعها التي كانت  
اذ ذاك ممتدة في اكثر الاقطار المعروفة حينئذ من الدنيا . ومع  
ان الاضطهاد كان ثابراً على المسيحيين حتى قُتل منهم الوف على  
اشنع طريقة كان الحال يزداد نجاحاً . فضرِب المثل ان دم  
الشهداء هو زرع الكنيسة . وما زال الامر ينمو ويتقدم حتى  
صارت الديانة المسيحية ديانة القياصرة واشراف ولايتهم وذلك  
في اقل من ثلاثة اجيال بعد قيامة المسيح

انه لامر واضح من التاريخ ان الديانة المسيحية غلبت  
وانسعت جداً في مدة قصيرة بعد ما انتشرت اولاً . وشهادة هذه

القضية ليست ماخوذة عن كتب مورخين مسيحيين فقط بل  
 يشهد بها ايضاً افضل المورخين الوثنيين . فقد شهد تاسيتوس  
 وسويتونيوس وبلينيوس بان الديانة المسيحية كانت متسعة جداً  
 في ايامهم . وبما ان شهادة مثل هؤلاء الشهود الذين لم يؤمنوا  
 بالديانة المسيحية بل كانوا يكرهونها هي ذات قيمة عظيمة في  
 اثبات هذه القضية راينا ان نضع هنا ترجمة ما كتبوه في اللغة  
 اللاتينية . لانه ربما تعسر مراجعته من مكانه على من يقف على  
 هذا الكتاب

اما تاسيتوس فكان في الجيل الاول من السنين المسيحية  
 وقد اشتهر مورخاً صادقاً عند الجميع . فهذا بعد ان اخبر عن  
 النار المهلكة التي اخرجت رومية في ايام الملك نيرون قال  
 ولكن لا بمساعة البشر ولا بالهدايا الثمينة التي قصد بها الملك  
 استرحام الآلهة استطاع ان يرفع عن نفسه تعيير جميع الناس  
 لاجل امره باحراق المدينة . فلاخفاء هذا الخبر اوقع التهمة  
 والشكوى على اخرين كان الشعب يبغضونهم قبل ذلك لاجل  
 ذنوبهم فعذبهم عذاباً بالياً . وكان اسمهم عند العامة مسيحيين اسم  
 اخذوه من المسيح رئيسهم الذي قُتِل ككذب في ملك طيباريوس  
 عند ما كان بنطوريوس بيلاطوس والياً . وهذه الديانة المفسدة وان  
 خدمت قليلاً قامت ايضاً وامتدت ليس فقط في اليهودية  
 حيث ابتدأت بل وصلت الى هذه المدينة ايضاً التي ينصب



اليها كل ما هو دني ونجس فيكون مقبولاً بها . فلم يُقبَضْ أولاً  
على من اقرَّ بانه من اهل هذا المذهب . ثم قبض على كثيرين  
بموجب اقرار الذين حكم عليهم . وذلك ليس لاجل ذنب  
احراق المدينة فقط بل بالحري لاجل بغضهم للجنس البشري .  
فالبسوه جلود الوحوش الضارية واخرجوهم للفرجة ثم مزقهم  
الكلاب او علقوا على الصليبان او اشعلوا ليلاً ليكونوا مصابيح  
في الظلمة

واما سويتونيوس فكان هو ايضاً في الجيل الاول ولكن  
طالت حيوته الى ان دخل في الجيل الثاني . وهو مشهور بانه  
مورخ فطن محقق . فهذا قال ان اطلوديوس نفى من رومية  
اليهود الذين كانوا دائماً بهيجون الشغب وكان المسيح رئيسهم .  
وفي ذكره حيوة نيرون قال وكان المسيحيون يعاقبون وهم قوم  
ديانتهم جديدة سمعية

ولكن شهادة بلينيوس هي اقوى تقريراً للقضية التي نريد  
اثباتها مما كتبه غيره من المورخين الرومانيين . وهي موجودة في  
رسالة كتبها هذا الفيلسوف الشهير الى الامبراطور ترايانوس  
في اول الجيل الثاني اذ يقول السلام من بلينيوس الى  
الامبراطور ترايانوس الى اخره . انه من عادتي باسيدي ان ارفع  
كل امر يشوبني منه ربّ البك لان من يستطيع ان يهديني  
في حيرتي ويعلمني في جهلي احسن منك . انني لم احضر قبلاً في

محاكمة المسيحيين ولهذا ارى نفسي جاهلاً بالموضوع المسؤول عنه  
ونوع العقاب الواجب اجراؤه وكم ينبغي ان يُدقق الفحص. وكنت  
ايضاً مرتاباً في انه هل يجب ان يميز في السن بين الصغير الضعيف  
والكبير القوي. وهل تُقبل التوبة ويُن بالعتو او يجب عقاب  
من كانوا مرةً مسيحيين وان كانوا قد ارتدوا. وهل يجب العقاب  
لاجل الاسم مجرداً من غير شكوى بذنوب او نجس معاقبة الذين  
كانوا بهذا الاسم لاجل ذنوب كانت عليهم. ولكن الطريقة التي  
اتبعتها في الذين أُحضروا اليّ منهم انما هي اني سألتهم هل كانوا  
مسيحيين وعند اقرارهم بذلك سألتهم ثانية وثالثة متهدداً اياهم  
بالقتل. واذ اصرّوا على اقرارهم امرت باخراجهم للقتل. لانني  
مهما كانت حقيقة ذنبهم لم اشك في ان الاصرار والعناد بهذا  
المقدار يستحقان العقاب. والبعض ممن دخل هذا الجنون عليهم  
اذ كانوا مستوطنين رومية افرزتهم للارسال الى تلك المدينة. وبما  
ان هذا الذنب انتشر في مدّةٍ بسيرة كالعادة قد وقع تحت نظري  
دعوى مختلفة. منها انه اتاني ذات مرة صحيفة لا يُعرف كاتبها فيها  
اسماء كثيرين مشكواً عليهم بكونهم مسيحيين فانكروا ذلك حالاً  
وقبلاً. ولاجل اثبات صدقهم اتحدوا معي في الصلوة للالهة  
ولصورتك التي امرت ان يؤتى بها مع تماثيل الالهة لاجل هذه  
الغاية. وفضلاً عن ذلك قدموا قرايين الخمر والجور ولعنوا اسم  
المسيح. والحال انه لا يمكن الزام الذين هم مسيحيون بالحقيقة ان



يصنعوا شيئاً من ذلك . ولهذا حكمت باطلاقتهم . واخرون ممن  
 ساءم الخبّر اقرؤا اولاً بكونهم مسيحين ثم انكروا . ومنهم من قالوا  
 انهم كانوا مسيحين قبلاً ولكنهم ارتدوا منذ اكثر من ثلث سنين  
 والبعض منذ عشرين سنة . وهؤلاء جميعهم سجدوا لصورتك  
 ولتأثيل الالهة ولعنوا المسيح . ولكنهم حَقَّقوا ان ذنبهم انما كان  
 هو عادتهم ان يجتمعوا قبل النهار في يوم معلوم ليرتلوا جميعاً  
 نشيداً للمسيح كما لاله ويعاهدوا انفسهم بقسم عظيم ان لا يرتكبوا  
 معصية بل بالعكس ان يمتنعوا عن السرقة والزنا وايضاً  
 ان لا يخالفوا وعدم او ينكروا رهناً تسلوهُ . وبعد ذلك كانوا  
 ينصرفون ثم يجتمعون على طعام بالهدو والوقار . ولكنهم كانوا  
 قد تركوا ذلك منذ اشهر امري الذي بحسب رسلك منعت به  
 هذه الاجتماعات . فعند ما سمعت بهذا الخبّر رابت احتياجاً ان  
 الفحص بالعذاب امرأتين نسيان شاستين . ولكنني لم اجد الا  
 خرافات زائدة فاسدة . ولذلك وقفت المحاكمة طالباً منك  
 المشورة . لاني ارى ان الامر مستحق كل الاعتبار ولا سيما لاجل  
 كثرة عدد الذين هم في خطر من حيوتهم . اذ يشكى كثيرون  
 من الناس من كل سن وحالة من الرجال والنساء وسيقع ايضاً  
 كثيرون في هذه الحالة . لان هذه الخرافة لم تملأ المدن فقط بل  
 القرى والكور ايضاً . ومع ذلك بيان لي انه يمكن ان يُجَزَّو يصلح  
 الحال . لان الهياكل التي كان قريباً ان تُترك بتردد الان اليها

ايضاً والاحتمالات المقدسة التي كانت قد انقطعت من زمان  
رجع الان الناس اليها وذبايح للذبايح التي ما كاد احد يشترها  
من مذبح تباع الان بكل سهولة. ومن ثم بقرب الظن بان جمعاً  
غفيراً يرجعون لو بقي باب التوبة مفتوحاً

فاجابه الامبراطور بهذه الصورة السلام من ترياينوس  
الى بلينيوس. انك قد اتبعت الطريق الحسنى ايها العزيز في  
معاملتك للذين احضروا اليك على انهم مسيحيون لانه من  
المحال ان نضع ضابطاً جامعاً بمنوي على كل قضية. فلا يجب  
التفتيش عليهم ولكن اذا اتى بهم اليك وثبت عليهم انهم  
مسيحيون فلا بد من معاقبتهم. ولكن ان انكر احد انه مسيحي  
واثبت قوله بعماء اي بعبادة الهتنا فيعنى عنه لتوبته ولو وقعت  
عليه الشبهة بانه كان مسيحياً قبل ذلك. ولكن لا تقبل البتة  
رقعة فيها شكوى على احد ما لم يكن فيها اسم الشاكي. لانه يكون  
ذلك مثلاً خطراً وليس مناسباً لهذا العصر. انتهى

ولو اردنا ابراد شهادة اخرين من الوثنيين لامكنا ذلك  
ولكننا تركناها للاختصار. فنكتفي بذكر شهادة ابريناوس  
وترتوليانوس من اباء المسيحيين اللذين كانا في نهاية الجيل  
الثاني وبداية الجيل الثالث وهي كافية لايضاح اتساع الديانة  
المسيحية حينئذ من دون شبهة

اما ابريناوس فانه اذ كان يكتب في مطابقة ايمان المسيحيين



قال لا الكنايس في جرمانيا ولا كنايس ايريا او بريتانيا ولا  
 كنايس المشرق او مصر او الفيروان او الكنايس المنشأة في  
 اوساط الارض بومنون او يعلمون شيئا اخر. انتهى

واما كلام ترتوليانوس فهو اكثر موافقة لمقصودنا ولا يحتاج  
 الى شي اخر لاجل ايضاح مقدار امتداد الديانة المسيحية في اقل  
 من مائة سنة بعد موت اخر الرسل. وذلك حيث يقول هذا  
 المعلم بمن قد امننت جميع القبائل الا بالمسيح الذي قد اتى.  
 لانه بمن بومن جميع الطوائف الا طائفتكم ايها اليهود. الفريثيون  
 والماديون والفرس واهل ما بين النهرين وارمينية وفروغيا  
 وكبودوكيا وسكان بنطوس واسيا ومفيليا ومصر وافريقية وراة  
 الفيروان والرومانيون والغرباء واليهود في اورشليم والدخلاء  
 حتى قبائل جثولي المختلفة وعشائر المغرب المتعددة وجميع اهالي  
 سبانيا وقبائل شتي من فرنسا واقاليم بريتانيا التي لم يمكن  
 الرومانيين الدخول اليها ولكن المسيح قد اخضعها ومن  
 السامريين والداشيين والنساويين والشطيين وشعوب وبلدان  
 وجزائر غير معروفة عندنا ولا يمكننا تعدادها. ففي جميع هذه  
 الاماكن يملك الان اسم المسيح الذي اتى. لانه من يقدم ان  
 يتسلط على جميع هؤلاء الا المسيح ابن الله

ولنا ايضا شهادة اخرى من هذا الاب في اعذاره الذي  
 هو كتاب شهير بحامي عن الديانة المسيحية كتبه قبل انتهاء

الجبل الثاني بقليل والظاهر انه خاطب به والي افريقية وغيره  
 من حكام تلك النواحي وقد كان هو احد سكانها. ففي اعتذاره  
 المذكور يقول لو كنا نحن المسيحيون نريد ان نجهز لمقاومة  
 اضدادنا سرا وجهرا لوجدنا عدد كافٍ لذلك. فان كثيرين  
 من قبائل المغرب وداخل افريقية وغيرهم من القبائل البعيدة  
 الى اقاصي الارض والمتفرقة في كل العالم هم معنا. نعم اننا نحن  
 اولاد امس ولكننا قد ملأنا جميع اماكنكم مدنكم وجزايركم  
 وحصونكم وقراكم ومحاكمكم وعساكركم وقبائلكم وسراياتكم  
 ومشيخنكم ودواوينكم ولم نترك لكم سوى هياكلكم. ولو تزحنا عنكم  
 وانتقلنا الى بلاد اخرى لكان مجرد خسارة اناس كثيرين بهنا  
 المقدر بقلب دولتكم ويكون قصاصا كافيا لكم. كنتم بلا شك  
 تخافون من وحدتكم وكان السكون والهدوء والحاصلان من  
 ذلك يجعلان البلاد التي تستولون عليها تترآى للناظرين  
 كأنها مينة ويكون عند ذلك عدد اعلايكم اكثر من عدد  
 الباقين منكم. انتهى. ولا حاجة الى ايراد شهادات غير هذه  
 لان الامر واضح مسلم وفي مدية يسيرة صار اكثرها لي المملوكة  
 مسيحية علانية

ان العلماء من الكافرين قد اجتهدوا عينا ان يقدموا سببا  
 كافيا لهذا الحادث العظيم مبنيا على مبادي طبيعية. فمن  
 اشهرهم كبن الذي بذل جهده في تقديم اسباب لنمو الديانة



المسيحية ونجاحها. ولكن مع كونه قد سلك طريق الظن ولم  
 يحفل بشهادة المسيحيين لم ينتفع شيئاً من اجتهاده. والاسباب  
 التي قدمها لم تكن كافية بالكلية. فعلى مبادي الذين ينكرون  
 الوحي يكون انتشار ديانة المسيح انما هو انقلاب عظيم من غير  
 علة كافية. ونجاح اناس سُدج اميين اكثرهم صيادوا سمك  
 لا قوة لهم ولا سلاح غير البراهين في تغيير ديانة العالم لا يزال  
 الى الابد من دون علة كافية لحدوثه ما لم نسلم بصدق المعجزات  
 والمساعدة الالهية

ويمكننا اعتبار قوة البرهان الناتج من سرعة انتشار الانجيل  
 وامتداده اذا تأملنا اولاً عدم كفاية الذين كانوا الوسائط  
 لاجراء هذا العمل من دون مساعدة فائقة الطبيعة. لانه لم يكن  
 فيهم علم ولا حكمة لكي يُصدروا في عقول الناس تأثيراً كافياً  
 لاجل احداث مثل هذه الحركة. اذ من المعلوم انه لا يمكن لجماعة  
 قليلة من اليهود الاميين ان يتعلموا لغات جميع القبائل الذين  
 انتشر بينهم الانجيل في مثل هذا الزمان اليسير. فلا بد لهم من  
 موهبة اللسان والالام يكن ممكناً حصولهم على هذه الغلبة.  
 وفضلاً عن ذلك يجب النظر الى ان اليهود كانوا محنقون من  
 جميع القبائل المجاورة لهم. فلا يخفى ان اشخاصاً منهم قليلين وادنياء  
 في الظاهر لم يمكنهم احداث شي في المدن العظيمة سوى الهزء  
 والاحتقار. وانه لا قرب الى العقل ان جماعة فقراء من اليهود

اصحاب الصنایع برذون الان الى ديانتهم جماعات كثيرة في  
جميع المدن الشهيرة في اوربا من ان يكون هؤلاء قد استطاعوا  
ترجيع كثيرين في ايامهم

ثانياً ان الاماكن التي فيها بُشِّرَ اولاً بالانجيل وحصل على  
نجاح عظيم تعطي برهاناً قاطعاً على ان امتدادهُ لم يكن مجرد  
الوسائط البشرية. لان هذه الاماكن لم تكن منفردة ولا بعيدة  
عن نور العلم ولكن كانت من المدن العظيمة في تهذيب اهلها  
وتمدنهم وكان فيها كل نوع من علوم ذلك العصر واليهما كانت  
تقاطر العلماء. فكانت دمشق وانطاكية وافسس وقرنثية وفيلبي  
ورومية هي الاماكن التي اشرقت فيها بشارة الانجيل اولاً.  
وعلى ما يُعرف لم توجد مدينة شهيرة في المملكة الرومانية الاً  
وقد أُسِّسَتْ فيها كنيسة مسيحية قبل موت الرسل. ولا يخفى  
ان هذا الامر لم يكن في جيل مظلم بل كان في جيل يعترف  
الجميع بانه كان من اعلم الاجيال القديمة. وهو الجيل الذي  
كان بعد الجيل الاوغسطاني الذي اشتهر لدى الخاص والعام  
بالعلماء الماهرين والادباء البالغين. فلو كان الانجيل تزويراً لما  
كنا نرى المبشرين به يذهبون اولاً الى مثل هذه الاماكن. ولو  
ذهبوا لانكشف امرهم في الحال

ثالثاً كانت الموانع اللازمة الغلبة عليها عظيمة تفوق  
القدرة البشرية. فان جميع الناس كانوا متمسكين بخرافاتهم



المختلفة التي تربوا فيها وهي كانت من شأنها ان تلتصق بها العقول  
 الفاسدة. فلا يخفى ان الحصول على الاستماع من اناس في هذه  
 الحال امرٌ صعب كما هو واضح من اخبار جميع المرسلين  
 للتبشير بالانجيل عند من لا يعتقد به في هذه الايام. وانه قد  
 توافقت عليهم الفلاسفة والكهنة والروساء وكان يعترض في  
 طريقهم كل ما امكن ان يقاومهم من العلم والنصاحة والتعصب  
 وسلطان الحكم المدني والميل الى الخبير العالمي

ولم يتوافق عليهم الكهنة والفلاسفة والحكام فقط بل كان  
 غرض الجمهور في الديانة الفاسدة التي تربوا فيها بلام غاية  
 شديدة على مقاومة كل ما استعمل من الوسائط لردهم من  
 ضلالهم. وفي كتاب اعمال الرسل قد ذكر كثير من الامثلة  
 على ان غضب الشعب الشديد من اليهود والامم كان بحركة  
 الى معاملة المبشرين بالانجيل حينئذٍ بالظلم والقساوة. ففي  
 احدي هذه الفتن مات استفانوس شهيداً وفي فتنه اخرى وقعت  
 في الهيكل كاد بولس بمزق من عنف الشعب. والجميع يعرفون اي  
 فتنه اهاجها ديمتريوس الصابغ في افسس. والظاهر انه لم يذكر  
 في اعمال الرسل الا قليل من الفتن التي فيها وقع المسيحيون  
 في خطر الاغتصاب. لان بولس في رسالته الثانية الى القرنتيين  
 يقول ابتليت من اليهود بالجلد خمس مرات وجلدت اربعين  
 غير جلد وضربت بالقضبان ثلاث مرات ورجمت مرة واحدة.

ولا يبعد عن العقل ان جميع الرسل والمبشرين الاولين عوملوا  
بمثل هذه المعاملة. ولو لم يصبرهم الله وساعدهم لما امكنهم احتمال  
هذه المشقات العنيفة. ومن باب اولي لما امكنهم الاتيان بالوف  
وعشرات الوف لاختضاع انفسهم تحت نير المسيح وتعريض  
انفسهم للعار والاضطهاد اللذين كانوا في خطرٍ دائمٍ منهما  
رابعاً لم تكن شروط التلمذة التي قدمها الرسل والتعاليم  
التي علّموا بها مناسبة لاغراء الناس وتخليتهم بل انها كانت منافية  
لعقولهم جداً. فلا يخفى ان المزورين عند ما يريدون اذاعة  
ديانة جديدة يجتهدون في جعل تعاليمهم ورسومهم مناسبة لمذاق  
الذين يقصدون تلمذتهم. ولكن واضع الديانة المسيحية ورسوله لم  
يسلكوا مثل هذه الطريق المرضية للبشر. بل كان اول ما طلبوه  
ان ينكر الانسان نفسه ويحمل صليبه. وكانوا يأمرون الذين  
يسمعونهم بالتوبة وترك الخطايا مهما كانت نافعة لهم او لذبتة او  
قديمة ومملكة عليهم ويطلبون منهم طلباً جازماً ان يرضوا بترك  
جميع املاكهم العالمية واعز اقربائهم واصحابهم لاجل الانجيل. ولم  
يكتفوا بهذا فقط بل قالوا لهم صريحاً انه يجب عليهم ان يكونوا  
مستعدين لترك حيوتهم ايضاً عند ما لا يستطيعون حفظها  
بدون مخالفة المسيح. ولم يضعوا امامهم انتظار الراحة او الشرف  
في هذا العالم بل حثّوا لهم ان الاضطهاد نصيبهم ما داموا  
احياء وانهم يقعون في مضايق كثيرة وان ليس لهم جزاء الا سلامة



الضمير وفي الآخرة الحياة الأبدية . فهل يوجد مزورون جهلاء  
 بهذا المقدار حتى يقدموا مثل هذه الشروط . وعلى افتراض كونهم  
 كذلك هل يصدق أحد أنهم ينجحون في تحويل الناس إلى أتباع  
 طريقهم . ولا حاجة إلى برهان آخر على أن الديانة المسيحية من  
 الله غير التامل بشروط التلمذة وكثرة عدد التلاميذ من كل  
 عمر وكل بلاد ورتبة

وقد تم بالفعل ما قرره المسيح ورسلة للمؤمنين الأولين من  
 انتظار الاضطهاد والموت ومع ذلك لم يتوقف نجاح الديانة  
 المسيحية . فانه قد قُتل كثيرون من المسيحيين ولكن لم تنزل  
 الديانة في النمو وامتدت في كل ناحية . وبما أن الديانة المسيحية  
 نمت تحت الاضطهاد الدموي قد اتخذ كثيرون ذلك قاعدة  
 فقالوا ان الاضطهاد بُني كل دعوى . الا انه لا يمكننا ان تصور  
 امراً ابعد عن مقتضى العقل والاختبار من هذه القاعدة . لانه في  
 اكثر الاحوال يكون قتل رؤساء حزبٍ مها كانت غيرتهم  
 شديدة سبباً لتناقص دعواهم ثم تلاشيها بالتأمر . ولا يمكننا ان  
 تقدم سبباً لنجاح الديانة المسيحية تحت عشرة اضطهادات مخضبة  
 بالدماء الا بان نقول ان الله بنعمته اقنع الناس في اتباع الحق  
 واعطاهم شجاعة فائقة طور البشرية احتمال الشدايد لاجل  
 ديانتهم . نعم انه قيل جواباً لهذا البرهان انه قد يحتمل الناس  
 الموت لاجل ديانته كاذبة كما يحتملونه لاجل ديانته صحيحة وانه

لامرّ واقع ان اناساً اقتبلوا الموت لاجل تعاليم متناقضة. فنقول ان ذلك صحيح لكنه لا يتعرض لما نحن فيه الان. لان الموت لاجل المذهب انما يثبت بكل صراحة صدق الشهود. وذلك في ما نحن فيه الان يثبت صحة القضية التي تتعلق بها المسئلة. لاننا قد راينا ان كل شهيد كان له فرصة لمعرفة صحة القضايا المؤسسة عليها الديانة المسيحية. فباحتماله الموت شهادة لها قد اعطى احسن الشهادات التي يمكننا ان نتصورها

ثم ان ما احتمله المسيحيون الاولون من العذاب لاجل دياتهم كان شديداً جداً ويشهد به المؤرخون من الامم كما من المسيحيين. والذي يثبت برهاننا الى غاية ما يكون هو انه كان يمكنهم الخلاص حالاً من جميع عذاباتهم لو رفضوا الديانة المسيحية. ولم تكن عند مضطهدهم غاية سوى الجاهم الى ذلك. وكانوا يخبرونهم دائماً بين تقديم الذبيحة او البخور لاهنتهم وبين احتمال العذاب. فقد كانت كمة واحدة كافية لخلاصهم وعمل حين كافي بالرجوعهم الى خيرات العالم وشرفه. ولكنهم تمسكوا بما كانوا عليه اشد التمسك. نعم ان بعضهم سقط من شدّة قساوة المعذبين ولكن لم يسمع قط من احدهم انه كان بينهم شيء من المكر والتزوير. بل كان الذين تنكسرت شجاعتهم في ساعة العذاب لا يزالون مناسفين على ضعفهم كل ايام حياتهم. والحاصل انه لم يقتل احد لاجل الديانة المسيحية قهراً بل كان كل شهيد يبذل



نفسه باختياره تمسكاً بالحق وحفظاً لسلامة الضمير  
 خامساً يجب النظر الى مصائب المسيحيين الاولين من  
 وجهٍ اخر وهو السجايا التي ظهرت منهم حينما كانوا يحتملون كل  
 نوع من العذاب . فان انساناً من كل سنٍ ورتبة ذكوراً واناثاً  
 قد اظهروا تحت العذاب الاليم المستطيل شجاعةً وصبراً ووداعةً  
 وروح محبةٍ وسماحةٍ وبشاشةٍ وسروراً عظيماً لا نظير له في تاريخ  
 جميع العالم . فرحوا عند ما امسكهم الظالمون وتودعوا من اقرب  
 الاهل واعزهم بكل بشاشةٍ ودخلوا في النار بكل فرح وترحبوا  
 بالوحوش الضارية التي اطلقت عليهم لتفتريهم وتبسموا لما رأوا  
 تلك الآلات التي تمزقت بها لحومهم وتخلعت مفاصلهم وتكسرت  
 عظامهم ولم يتذمروا ولم يظهر عليهم التالم حينما اشتعلوا بالنار  
 وعند ما حكم عليهم بالموت طلبوا من اصحابهم ان لا يتعرضوا  
 لسعادتهم ابي الموت في سبيل الله ولو بالصلوات لاجل نجاتهم .  
 فما هذه الشجاعة الفايقة القدرة البشرية . واي روح اعان هذه  
 الجماعة الحفيرة المضطهدة . واية مبادي طبيعية في تركيب الانسان  
 تكون علة كافيةً لهذه الغلبة على الالم والموت . هل يحركهم الغرام  
 بمنزور الى مثل هذه الحاسيات . كلاً بل حضور يسوع الذي قام  
 من الموت الموعود به هو الذي ساعدهم وملاهم ثقةً وسروراً .  
 والفارق لبيت الموعود به من ربهم هو الذي احبى في قلوبهم تلك  
 البهجة التي كادت تجعلهم غير مشعرين بجروح والام اجسادهم .

نعم قد يحتمل العذاب ذوو الكبرياء والعناد لاجل ما يعلمون  
باطنًا انه كاذب. واما جماعات شتى من كل رتبة فمن المحال ان  
يحتملوا العذاب بالفرح لاجل ما يعلمون انه زور. والمحال ان  
نساء مخدرات وشيوخًا طاعنين في السن كانوا من اشجع الشهداء  
اذ كانوا لم يحبوا حياتهم حتى الموت وشهدوا وختموا شهادتهم  
بدمائهم. والان قد تسربلوا بثياب بيضاء وهم يسبحون  
تسبيحة موسى والخروف والنخل في ايديهم.  
فطوبياكم ايها الشهداء قد استرحتم  
من انعابكم واعمالكم  
تبعكم



## الفصل التاسع

في ما تم من النبوات على شعب اليهود بنوع عجيب

ان الكتاب المقدس يتضمن نبوات بحوادث لا يمكن الحذافة البشرية سبق المعرفة بها وقد تمت هذه النبوات تماماً كلياً على نوع عجيب. ولو لم نقصد ان نضع اقوالاً عمومية جامعة في ادلة الوحي لم نتعرض هنا لذكر النبوة اذ لا يمكننا القيام بجهدنا في مثل هذه الرسالة الوجيزة لكثرة اتساع هذا الموضوع وعظم صعوبة الكلام بالاختصار على ما يتضمنه من البرهان. وليس المراد بهذا الكلام ان دليل النبوة ادنى قوة من غيره بل بخلاف ذلك لا ريب ان كل من ياخذ في البحث المدقق في ما نحن فيه يجد ان لادليل لصحة الوحي يفوقه في شدة قوته للاقناع. وللنبوة من حيث هي دليل على الوحي الالهي بعض فوايد مخصصة بها. لاننا نحتاج في البرهان من المعجزات الى شهادة قديمة ولكن احياناً يقع اشياء من النبوات تحت ملاحظتنا او نصل اليها بواسطة شهود احياء. ولا يصير البرهان من المعجزات اوضح مما كان في وقت حدوثها ولكن البرهان من النبوات تتزايد قوتها دائماً ولا يزال على ذلك الى ان تم جميع النبوات. لان مجرد

اذاعة النبوة ليس دليلاً على انها منه تعالى بل البرهان انما يقوم  
 باتمامها. فجا انه قد تمت نبوات في كل جيل ومنها ما سوف  
 يتم في ما بعد فالامر واضح من نفسه ان هذا البرهان لا يزال  
 متزايداً في القوة

ثم يجب ان نلاحظ جيداً ان كل نبوة قد تمت هي بنفسها  
 دليل تام على الوحي الالهي. او بالحري هي نفسها وحي. اذ من  
 المعلوم انه لا يستطيع احد الا الله ان يخبر عن الحوادث  
 المستقبلية البعيدة وهي متوقفة بالكليّة على قصد تعالى الذي  
 يصنع الاشياء كلها بحسب راي مشيئته. ولهذا ان امكنا ان ناتي  
 بنبوة واحدة لا ريب في اتمامها نكون قد اثبتنا انزال الوحي. وان  
 وقع ذلك مرة وبشخص واحد فالاقرب للعقل ان هذا الانعام  
 لا يختص به وحده

وما يقال كثيراً ان اكثر النبوات غامضة ومعناها مشبهة  
 لا يتعرض للدليل الناطق ما هو واضح منها وقد تم على التمام.  
 ولا يخفى ان لاكتساء الكلام عن هذه الحوادث المزمعة بعض  
 الاوقات بشوب الاستعارة والايحاء اسباباً عظيمة حتى انه على  
 الأرجح لم يفهم النبي نفسه معنى ما نطق به من النبوة لانه لم يقصد  
 انها تفهم على التمام حتى ياتي التفسير باتمامها. واذ ذاك تتزايد  
 لذّة درس النبوات يوماً فيوماً وتتزايد منه برهان صحة الكتب  
 المقدسة



والمراد الان انما هو ذكر بعض نبوات مشهورة والاشارة  
الى الحوادث التي تمت بها مما يحتمله هذا المختصر. ومن اراد  
التوسع الى ما هو اطول فليراجع كتاب البيئنة الجلية وغيره.  
والنبوات التي اريد ذكرها الان هي اولاً ما تنبأ به موسى على  
اليهود واكثرها موجود في الاصحاح السادس والعشرين من  
سفر الاحبار والاصحاح الثامن والعشرين من سفر تثنية  
الاشتراع

وذلك اولاً قوله سيأتي الرب عليك بشعب من بعيد من  
اقصى الارض بسرعة كسرعة طيران النسر شعب لسانه لانهمه.  
وقد تمت هذه النبوة بافتتاح الكلدانيين والرومانيين ارض  
اليهودية وعلى الخصوص افتتاح الرومانيين. لان ارميا في نبوته  
على افتتاح الكلدانيين قد استعمل كلمات موسى بعينها الا قليلاً  
حيث يقول هنذا اجلب عليكم شعباً من بعيد يا بيت اسرائيل  
وهو شعب قديم شعب لا تعرف لغته. " وقال ايضاً الذين  
طردونا كانوا اسرع من نسور السماء. " ومن الاولى ان يقال عن  
الرومانيين انهم شعب من بعيد وان فتوحاتهم شبيهة بطيران  
النسور وقد كان على راية جيوشهم صورة نسر ولغتهم لا يعرفها  
اليهود

(١) ارميا ص ١٤ (٢) مراثي ص ٤

ثم ان اعداء اليهود يُوسَمون في الكتاب المقدس بكونهم  
 قوماً ذوي منظر هابل لا يعتبرون الشيوخ ولا يترفقون  
 بالصغار. <sup>(١)</sup> وذلك يطابق صفة الكلدانيين مطابقة تامة اذ  
 قيل في سفر الایام الثاني <sup>(٢)</sup> ان الله اوقع اليهود في يد ملك  
 الكلدانيين الذي قتل غلمانهم بالسيف في بيت مقدسهم ولم  
 يترآف على غلام او عذراء او شيخ او من انحنى من الهرم.  
 انتهى. ومثل ذلك كان الرومانيون اذ اخبرنا يوسيفوس انه  
 لما جاء فسباسيانوس القيصر الروماني الى كدارا قتل الجميع  
 انساناً انساناً ولم يشفق الرومانيون على احد. ومثل ذلك فعلوا  
 في كالا

ثانياً تنبيي ايضاً ان مدنها مُحاصِر وتوخذ. وعلى ذلك قوله  
 وسبحاصرك في جميع ابوابك الى ان تقع اسوارك العالية المشيدة  
 التي انكلت عليها. وقد تم ذلك عند ما جاء شلمانصر ملك  
 الاثوريين على السامرة وحاصرها. <sup>(٣)</sup> وعند ما جاء سنخاريب على  
 جميع مدن يهوذا المسورة. وعند ما فتح بختنصر اورشليم واحرق  
 الهيكل وهدم ما احاط بها من الاسوار <sup>(٤)</sup> وطالما وثقت اليهود  
 بحصون اورشليم وقد صنعها ناسبتوس ويوسيفوس بشدة

(١) ثنية الاشتراع ص ٢١ ع ٢ (٢) ص ٢١ ع ٢ (٣) ملوك رابع

ص ١٤ ع ٤ (٤) ملوك رابع ص ١٤ ع ٤



الحصانة. ولكنها حوصرت وفتحت مرات كثيرة قبلما اخربها  
تيطس اخيراً

وُنَبِيٌّ ايضاً عليهم انهم في المحاصرات يقعون في الجوع  
والضيقة الشديدة التي يضيق بها عليهم اعداؤهم. فقد كان  
في السامرة مدة الحصار جوعٌ عظيم حتى بيع راس الحمام بثانين  
درهماً. (١) وعند ما حاصر بختنصر اورشليم كان جوعٌ في المدينة ولم  
يوجد خبزٌ لاهل الارض. (٢) وعند ما حاصرها ايضاً الرومانيون  
كان جوعٌ شديد الى الغاية (٣)

وقيل ايضاً ان في هذه الجماعات تكون النساء يأكلن  
اولادهن. وعلى ذلك قول موسى سناكلون لحوم بنيكم وبناتكم.  
وكذلك قول ارميا سناكل ثمر جسدك. (٤) وقول الاخر ايضاً  
والمرأة الرقيقة اللطيفة بينكم التي لا تنجاسر على وضع رجلها على  
الارض رقةً ولطافةً سناكل اولادها احتياجاً الى الاشياء كلها  
سراً في الحصار والضيقة التي سيضيق عليك اعداؤك بها في  
ابوابك. فقد تمت هذه النبوة الفارقة الطبع بعدما نطق بها  
النبي بستماية سنة وذلك حين حاصر ملك سوريا السامرة  
بجيمث اتفقت امرأتان على اكل اولادهما وعلى ذلك اُكِل

(١) ملوك رابع ص ٢٤ (٢) ملوك رابع ص ٢٤ (٣) انظر

يوسيفوس في حروب اليهود (٤) ص ٢٤

واحد منهم. " وتمت ايضاً بعد موسى بتسعمائة سنة حين حاصر الكلدانيون اورشليم كما اخبر ارميا في مراثيه قايلًا اياذي النسوة الرحيمات قد طبخت اولادهن. " وتمت ايضاً بعد زمان موسى بالف وخمسمائة سنة حين حاصر الرومانيون اورشليم اذ قد اخبرنا يوسيفوس عن امرأة شريفة قتلت رضيعها واكلته وبعد ما اكلت نصفه اذخرت الباقي لتأكله في وقت اخر

ثالثاً تنبئ ايضاً ان كثيرين من اليهود يقتلون. وعلى ذلك قوله وتبقون قليلي العدد مع انكم كنتم كنجوم السماء في الكثرة. فقد حسب انه في حصار تيطس لاورشليم هلك احدى عشرة كفة من الجوع والوباء والسيوف. وربما لم يهلك منذ خليفة العالم في حصار واحد كما هلك في ذلك الحصار. وسبب وجود جمهور عظيم هكنا في اورشليم كان ان ابتداء الحصار وافق اجتماعهم للفصح وايضاً حينما جاء العسكر الروماني هرب القاطنون في ما حول اورشليم اليها

وتنبأ ايضاً موسى ان اليهود يساقون ايضاً الى مصر ويباعون عبيداً بثمن بخس جداً ووصف كيفية جلبهم الى هناك بقوله وسياتي الرب بك الى مصر مرة ثانية في السفن وهناك تباعون لاعدائكم عبيداً واماءً ولا يشتريكم احد. وقد اخبرنا يوسيفوس



انه لما اخذت المدينة ارسلوا كل من كان فوق السبع عشرة سنة  
من الاسارى للعمل في مصر ولكن لقلّة الالتفات اليهم هلك  
منهم احد عشر الفا من الجوع. والارحح وان لم يذكر هذا المورخ  
كيف اجنلوا ان ذلك كان في السفن لانه كانت للرومانيين  
يومئذ سفن كثيرة في هذا البحر. واكثرهم لم يوجد من يشتريهم  
فكانوا يباعون باجنس ثمن

رابعا ان موسى تنبأ ايضا في هذه النبوة العجيبة ان اليهود  
يستاصلون من بلادهم ويتشتون بين جميع القبائل. وعلى  
ذلك قوله ستقلعون من الارض حيث انت ذاهب لتلكما  
وسيفرقكم الرب بين كل الشعوب من اقصى الارض الى  
اقصاها. فما عجب انما هذه النبوة اذ ساق ملك الاثوريين  
الاسباط العشرة من بلادهم اولاً ثم اجنل السبطين الاخرين  
الى بابل واخيراً لما اخرجهم الرومانيون من مكانهم وقبيلتهم  
كل تشتتهم

ثم منع الامبراطور ادريانوس اليهود من وضع ارجلهم في  
اورشليم والتقرب الى ما حولها من البلاد تحت عقاب لمن  
خالف امره. وفي ابام ترتوليانوس كانوا ممنوعين عن الدخول  
الى اليهودية. ومن ذلك اليوم الى الان عدد اليهود في البلاد  
المقدسة قليل جداً فلا يزالون منفيين من بلادهم متفرقين في  
كل بلد على وجه الارض الا قليلاً

وُنَبِيٍّ اَيْضًا اِنَّهُمْ وَلَوْ تَفَرَّقُوا لَا يَهْلِكُونَ هَلَاكًا تَامًا بَلْ يَبْقَوْنَ  
 شَعْبًا مَمْتَازًا. وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ وَمَعَ ذَلِكَ حِينَ يَكُونُونَ فِي اَرْضِ  
 اَعْدَائِهِمْ لَا اَتْرِكُكُمْ وَلَا اَبْغِضُهُمْ بِحَيْثُ اَهْلَكُكُمْ عَنْ اٰخِرِهِمْ وَانْقَضَ  
 عَهْدِي مَعَهُمْ. فَتَقُولُ مَعَ الْفَاضِلِ نُوْطُونُ مَا اَعْجَبَ اَنَّهُ بَعْدَ  
 حُرُوبٍ وَوَقَايِعٍ وَمَحَاصِرَاتٍ هَذَا مَقْدَارُهَا وَعَصِيَانٍ وَذَبْحٍ  
 وَاضْطِهَادٍ مَرَاتٍ عَدِيدَةٍ وَسِنِينَ كَثِيرَةٍ فِي الْاَسْرِ وَالْعِبُودِيَّةِ  
 وَالشَّقَاوَةِ لَمْ يَهْلِكُوا عَنْ اٰخِرِهِمْ وَمَعَ اِنَّهُمْ مَتَفَرِّقُونَ بَيْنَ كُلِّ النَّاسِ  
 لَا يَزَالُونَ شَعْبًا مَمْتَازًا بِنَفْسِهِ. فَاَيْنَ يَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ  
 التَّوَارِيخِ وَفِي جَمِيعِ الْقَبَائِلِ تَحْتَ الشَّمْسِ

وَمِنْ هَذِهِ النُّبُوَّةِ اَيْضًا اِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي سُوءِ حَالٍ حَيْثُمَا كَانُوا  
 وَاِنَّهُمْ لَا يَلْبِثُونَ طَوِيلًا فِي مَكَانٍ وَّاحِدٍ. وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ وَبَيْنَ هَذِهِ  
 الْقَبَائِلِ لَا تَجِدُ رَاحَةً وَلَا يَسْتَرِيحُ اِخْمَصُ قَدَمِكَ. فَاِحْتَقَّ هَذَا  
 الْقَوْلُ فِي هَوْلَاءِ الْقَوْمِ نَعِيسِينَ اِلَى هَذَا الْيَوْمِ. فَلَا تَوْجِدُ بِلَادًا فِي  
 اُورُوبَا اِلَّا وَتُّوْنَا مِنْهَا حِينًا مَا. فَعَدَا مَا حَصَلَ مِنْ اَشْنَعِ الْقَتْلِ  
 وَالنَّفْيِ لِكَثِيرِينَ مِنْهُمْ فِي النَّمْسَا وَفَرَنْسَا وَسَبَانِيَا فِي الْجِيلِ الثَّلَاثِ  
 عَشَرَ وَالرَّابِعِ عَشَرَ قَدْ اَخْبَرْنَا الْمُوْرُخَ الْاِسْبَانِيُوْلِيَّ عَنْ نَفْيِ ثَمَانِ  
 مِائَةِ اَلْفِ يَهُودِيٍّ مِنْ سَبَانِيَا بِاَمْرِ فَرْدِيْنَانْدِ وَاِسَابِلَا. وَلَا يُمْكِنُنَا  
 اَنْ نَشْرَحَ مَا قَاسُوْهُ مِنْ هَيْجَانِ الشَّرُورِ وَالْفِتَنِ حَيْثُ كَانَ يَتَوَسَّعُ  
 بِهِمُ الْحُكْمُ

وَقَالَ النَّبِيُّ اَيْضًا اِنَّهُمْ سَيُظَلَّمُونَ وَيُدَاسُونَ اَبَدًا وَيُعْطَى بَنُوهُمْ



وبنائهم لشعبٍ اخر ويجنون من مرأى اعينهم الذي بروته .  
وهكذا في جميع البلاد التي سكنها اليهود قد جرّموا كثيراً وسلبوا  
وظلّوا جوراً . وعلى الخصوص في سبانيا وبرتوكال أخذت  
اولادهم بامر الحاكم ليتعلموا الديانة البابوية . ولا يمكننا استيفاء  
ذكر المظالم التي اوقعنهم في الجنون واليأس لانها كثيرة لا تحصى  
خامساً واخيراً تنبأ موسى انهم يصيرون حيرةً ومثلاً وهزءاً  
بين الشعوب كلها وان ضرباتهم تكون عجيبةً ضرباتٍ عظيمة  
وطويلة البقاء . وهكذا هم في كل بلادٍ مبعوضون ومهانون . وقد  
تمت النبوة عليهم حرفياً بانهم مثلٌ وهزءٌ لان المسلمين والوثنيين  
والنصارى مع اختلافهم في بقية الاشياء قد اتفقوا على ذم اليهود  
وشتمهم واضطهادهم . فبالحقيقة ان احكام الله على هذا الشعب  
عجيبةً طويلة المدد وقد صار لهم اكثر من الف وثمانماية سنة في  
هذه الحال التعيسة من النفي والتشتت والاضطهاد

ونبوة اشعيا ايضاً في رجوع اليهود الى بلادهم بعد  
استيثارهم بسبعين سنةً عجيبةً جداً اذ قد سبي فيها قورش  
ليس فقط على انه يفتح بابل بل ايضاً يرجع اسرائيل ويبنى  
اورشليم ثانية . وعلى ذلك قوله لقورش انه مراعيٌ ويصنع  
ارادتي قايلًا لاورشليم تُبنى وهيكلها يُؤسس . " واخبرنا  
يوسيفوس انه لما افتتح قورش بابل ذكّرت له هذه النبوة عنه

فامتلاً عجيباً من صراحة كون هذه الكتابة الهيئة . وذلك ربما كان  
سبباً لرأفة هذا الملك على بني اسرائيل والرخصة التي مكّتهم منها  
في الرجوع الى بلادهم والمساهلة معهم في تجديد الهيكل . وانه  
لحقق مما قيل في سفر عزرا ان قورش عرف بواسطه ما ان الله  
اقامه لبناء الهيكل ثانية بحيث كُتب فيه ان الرب حرّك روح  
قورش ملك الفرس فاشهر امرآ في جميع مملكته قابلاً هكذا  
بقول قورش ملك فارس ان الرب اله السماء قد اعطاني جميع  
ممالك الارض وامرني ان ابني بيتاً في اورشليم التي في اليهودية .  
فاعطى حينئذ شعب الله حرية وعناية للشروع بهذا الامر الصالح  
ولجمع الدراهم عوناً من كل من اراد ان يقدم المساعدة . ومن  
حيث ان آية الهيكل المقدسة كان قد اتى بها بختنصر الى بابل  
فاخرجها قورش وسأها الى امين لتحمل من بابل الى اورشليم  
فيقول الفاضل المذكور آنفاً اي قبيلته بقيت شعباً ممتازاً  
في بلادها مثلما بقي هولاء في تشتتهم في جميع البلاد . وما اوضح هذه  
المعجزة الظاهرة لنظر جميع العالم وملاحظتهم . فهذه نبوات قد  
تنبّي بها من أكثر من ثلاثة الاف سنة ومع ذلك نراها تتم في  
هذا الزمان . فإني برهان نريده أثبت من هذا لرسولية موسى من  
ربه . انني لا اعلم كيف تاثير هذه النبوات في غيري ولكن من  
جهة نفسي فاعترف بانها ليست تقنعني فقط بل تملأني حيرة  
ودهشة الى غاية ما يكون



## الفصل العاشر

في نبواتٍ تتعلق بنينوى وبابل وصور وغيرها

قيل ان اسوار نينوى التي كانت قصبة اثور كان ارتفاعها  
مائة قدمٍ ومحيط دابرتها ستين ميلاً وحوها الف وخمسمائة  
برج ارتفاع الواحد منها مائتا قدم. واخبرنا المورخ دبودورس  
سيكلوس ان ملك اثور بعد انكسار عسكره الانكسار التام وثق  
بنبوةٍ قديمة ان نينوى لا تؤخذ ما لم يصر النهر عدواً للمدينة.  
وانه بعد ما حوصرت المدينة سنتين بغير فائدة قاض النهر من  
المطر الكبير الطويل فلا جزاً من المدينة واخرت من السور  
مسافة عشرين فرسخاً. وان الملك اذ ظن ان النبوة قد تمت  
قطع الرجاء من سلامته واقام نلّة عظيمة من الحطب ووضع  
عليها كل امواله واحترق هو واهل بيته وقصره معها. ولا يخفى  
ان كتاب ناحوم انما هو نبوة على خراب نينوى. فما اوفق هذا  
المخبر لما قاله فيه انه ستفتح ابواب النهر ويغلّ القصر وتصير  
نينوى القديمة كغدير ماء ويطوفان سابل تجعل اخرة مكانها.  
وما بقي من نبوة هذا النبي عليها قد وصف المورخ اتمامها ايضاً  
حرفياً. لانه يقول اذ كان ملك اثور مفتخراً بغلباته السابقة

وجاهلاً بعصيان البكترايين التي نفسه في كسلٍ ذميمٍ وعينٍ  
يوماً للطرب وأكثر من الخمر لعاكروه . فلما اخبر بعض الهاريين  
امير جيش العدو وبغفلتهم وسكرهم همجهم على عسكر الاثوريين وهم  
سكاري فقتل كثيرين منهم وطرد الباقين الى المدينة . فتم بذلك  
كلام النبي القابل كمثلما يتعاضن الشوك بعض مع بعض كذلك  
وليمة اوليك الذين يشربون معاً . يفنون كالقش اليابس . ثم وعد  
النبي الاعداء باغننام كثير من النهب بقوله انهبوا النضة انهبوا  
الذهب لان لانهاية لخزانة ومجد كل اثار ملبج . وفي ذلك يقول  
المورخ ان كثيراً من الذهب والنضة تخلص من النار وحمل  
الى اكباتانا التي هي همدان . وايضاً يقول النبي ان المدينة لا تخرب  
من طوفان عظيم فقط بل تاكلها النار ايضاً . وذلك بطابق  
اخبار المورخ بالتام

وقد تنبى ايضاً بان خراب المدينة يكون تاماً دائماً . وعلى  
ذلك قوله ويجعل الرب اخرة مكانها ولا تقوم الضيقة ثانية  
فانها خاوية خالية مقفرة ويمد الرب يدك على الشمال فيهلك اثار  
ويجعل نينوى خراباً وبابسة كالبرية . كيف صارت قفراً مكاناً  
لمريض الوحوش . وقد شهد لوكيانوس الذي ولد على شواطئ  
الفرات في الجيل الثاني للتاريخ المسيحي بان نينوى قد خربت  
بالتام حتى لم يبق منها اثر ولا يعرف احد مكانها . وشهد ايضاً  
احد المسافرين المتأخرين الذي زار تلك البلاد بانه لا يرى



الان لبن او حجارة او شي اخر يبني منه. ولكن الارض قد  
 اكتست عشباً. وفي اماكن كثيرة توجد نلال كالتي كانت عساكر  
 الرومانيين القديمة تبني عليها المتاريس وكثير من الخراب التي  
 قد دثرت رسومها ممتد نحو عشرة اميال ومتسع جداً. فيبان ان  
 نينوى قد تركت بلا علامة لوصولها السابقة ولا اشارة الى بهابها  
 وغنايتها وانها حقاً قد صارت خربة خاوية خالية مفترقة. فنقول  
 مع الفاضل نوطون هذا ما وقع عليها من الخراب التام وهذا  
 ما صح فيها من النبوات الالهية

كذلك ما جاء من النبوة على افتتاح بابل وخرابها التام  
 وعلى استيلاء الدثار على مكانها قد تم كل التام. ولكن لا يسعنا  
 الكلام في هذا المختصر الا على بعض من امور كثيرة واذا اراد  
 الطالب استيفاء ذلك بالتدقيق فعليه بمراجعة المطولات

ان ارميا النبي قد عين القبائل باسمائها التي كانت بابل  
 مزمنة ان تقع في ايديهم ليهلكوها. وعلى ذلك قوله اصعد  
 يا عيلام [وهو الاسم القديم لبلاد فارس] وحاصر يا مادي. قد  
 حرك الرب ملوك مادي لان مشيئة في بابل ان يهلكها<sup>(١)</sup>

واشعيا يقول سقطت سقطت بابل وجميع منحوتات الهتها  
 كسرهما والقاهما على الارض<sup>(٢)</sup> وقال ايضاً هكذا يقول الرب  
 الذي يقول للبحر جف وانا اجففت انهارك الذي يقول في قورش

(١) ارميا ص ١٠ (٢) اشعيا ص ١٣ ع ١



هو راعي ويصنع ارادني وانا اهل صلب الملوك لتفتح امامه  
الابواب ذوات المصراعين ولا تغلق الابواب وهكذا يقول  
الرب لقورش مسبحه لاخضاع القبايل امامه. "ولا ريب ان اشعيا  
تنبأ بالنبوة التي ذكر فيها اسم قورش على الاقل بما تبني سنة قبل  
ان يولد ذلك الملك لما كان اهل بلاد فارس شعباً ضعيفاً  
غير مشهور. فلما كان قورش قد صار امير جيوش النرس وعلمهم  
الصناعة الحربية وملاهم شجاعة ذهب الى عمه كياكاسار الذي  
يسميه دانيال داربوس المادي فالتحمت عساكرها وضربوا اولاً  
الارمن واهل هرkania ولوديا وكبدوكيا وغيرهم من حلفاء ملك  
بابل. ثم بعد ان عاملوهم بالرحمة وطيبوا قلوبهم حتى انهم  
اتحدوا بعساكرهم ارتحلوا طالين مدينة بابل. فمع ان قورش كان  
قد شرع في غزوته بعسكره قليل صار عسكره بحكمة تديره كثيراً  
جداً قبل وصوله الى تلك المدينة الشهيرة. ولكن ماذا نستطيعه  
الشجاعة او الصناعة الحربية على مدينة هكذا حصينة من كل  
جانب. فحالما وصل هذا القائد الماهر الى المكان مع عساكره  
طاف حول السور مع افضل روسايه ليرى هل يوجد جانب  
ضعيف يمكن الهجوم عليه. فوجدها جميعها محصنة ولا يمكن  
اخذها الا بحصار طويل. فترل امامها وحفر خندقاً حول  
السور وبني ابراجاً واستحضر ما امكنه من اهبة المحاصرة. وبذلك



تم قول النبوة نزلوا عليها واحاطوها. تجهزوا على بابل واحاطوا  
 بها. تجهزوا على بابل. كل انسان تجهز  
 ومما ذكر ايضا في النبوة واضحا جبانة اهل بابل. فقد  
 كانت قبل ذلك عساكرهم رعبه لجميع الارض ولم يقدر احد ان  
 يقاوم سطوتهم الهايلة. واما حينئذ فوقع عليهم الجبانة. وعلى  
 ذلك قول النبي قد امتنع جبابرة بابل من الحرب فبقوا في  
 متاريسهم. قد سقطت قوتهم وصاروا كالنساء. "وكان خوفهم  
 ظاهرا من اغلاقهم ابواب المدينة عليهم بحيث لم يستطع  
 احد ادهم ان يستخرجهم للبراز في ميدان الحرب. لان زنفون يخبرنا  
 بان قورش دعا ملك بابل الى القتال معه بمفرده فابي. وان  
 القوم الذين داخل السور مع انهم كانوا كثيرين لم يخرجوا من  
 ابوابهم ولم يجتهدوا في هزم محاصريهم او في اذاهم. فتم بذلك  
 قول النبي بقوا في حصونهم وضعفت ايدي ملك بابل  
 قد تقدم ان قورش وجد كل جانب من المدينة محصنا  
 بحيث لا يمكنه الهجوم عليها. لانه ماذا يصنع المنجنيق او غيره  
 من الالات الحربية في سور عرضه ثلثون قدما او خمسون على  
 قول البعض. فارتبك في امره مدة الى ان خطر ببالي انه ربما  
 يمكنه الدخول الى المدينة بتحويل نهر الفرات الذي كان يجري  
 في وسط المدينة عن مجراه. فاعتمد على هذا العمل الخطير

(١) ارميا ص ٤٦

كالوسيلة الوحيدة وشرع فيه ولكنه كتم الغاية في ذلك عن  
المحاصرين في المدينة. لأنه كما يقول هيرودوتوس لو لاحت لهم  
الحيلة او لحظوا على دخول الفرس لقدروا ليس على تبطيلهم  
عن العمل فقط بل على اهلاك جميع عساكر قورش ايضاً وهم في  
مجرى النهر. لانهم لم يجناجوا سوى غلق الابواب التي كانت تُفتح  
الى المدينة من جهة النهر الذي جرى بين سدّين في وسطها  
وقسمها الى قسمين. فخوفاً من اشتهاً هذا العمل اختار قورش  
فرصة له في وقت طرب عظيم عند اهل بابل لعلو انهم في ذلك  
الوقت يتمرغون في السكر والملاهي. وكان عرض النهر ربع ميل  
وعمقه اثنتي عشرة قدماً ولكن كانت بحرة مصطنعة بالقرب منه  
لقبول ما يطفح من مآيه عند فيضه. فوسّع قورش مجرى تلك  
البحرة. والخندق الذي حفرته رجاله حول السور كان ايضاً  
متصلاً بالنهر فوق المدينة وكافياً ليسع كثيراً من ماء النهر.  
وفضلاً عن ذلك كان ما احاط بالنهر من الارض غابراً متبسّطاً  
بحيث اذا تحوّل ماء النهر عن مجراه اندفق من كل جانب.  
فنالوا بهذه الحيلة مقصودهم على التمام حتى ان مجرى النهر صار  
يابساً الا قليلاً ودخلت عساكر قورش الى المدينة ليلاً. بعضها  
من عند مدخل النهر الى المدينة والبعض من عند مخرجه منها.  
وعلى ذلك دخل عسكر قورش بالهدوء والسكينة اذ كان اهل  
المدينة سكارى في طربهم حتى انه لم ينسبه احد منهم على دخول



الاعداء ولا غلقوا ابواب النهر حذراً من البلية . بل اذ كانوا على هذه الحالة وصل قورش الى قصر الملك قبل ان ياتيه رسول يخبره بان الاعداء قد دخلوا المدينة . ولم يتميز حينئذ صوت الاعداء عن صوت زمره السكاري . واذ انتموا الى ابواب القصر وجدوا الحراس سكارى فقتلهم . فدخل الفرس الى ذلك الابواب المزين حيث كان بلشاصر ونسأوه وسراربه وروسأوه الالف يشربون من آنية بيت الرب المقدسة التي اخرجوها للاستعمال النجس في هذا الوقت . ولكن دخول الفرس لم يكن اول ما تعرض لتنعيس طربهم السفه . لان بنا ظهرت قبل ذلك وكتبت على الحايط بعض كتاب احرفها غريبة فوقعت الحيرة والرعب في قلوب الذين كانوا جالسين . ولم يقدم احد على قراءتها حتى احضروا دانيايل فقرأها حالاً واعلم الملك هلاكه وخراب المملكة . وفي تلك الليلة قُتل بلشاصر ملك الكلدانيين

وتماز مطابقة النبوات للحوادث التي ذكرناها يعرف مما سنذكره من اقوال الانبياء وهو قول ارميا انا اجفف بحرك وايبس بنايبعك . " وقول اشعيا القايل للبحر جف وانا اجفف انهارك "

وقول ارميا وركض حارس بلاقي اخر ورسول بلاقي رسولا ليجذروا ملك بابل ان مدينته قد اخذت عن اخرها وان المعابر

قد اغلقت<sup>(١)</sup>

وقوله ولكن الحيلة وضعت لبابل . أُخِذَتْ ولم تعرف  
كيف تفاجأت مدحة جميع الارض<sup>(٢)</sup> وقول اشعيا لانك  
اتكلت على خبثك وحكمتك فمعرفةتك تعوجك . ولذلك ياتي  
الشر عليك وانت لا تعلمين من اين خرج . وياتي عليك الشر  
ولا تستطيعين ان تدفعيه عنك ولا يخلصك احد<sup>(٣)</sup>

وقول ارميا واجعل اعيادهم في وهنتهم واجعلهم سكارى  
ليفرحوا ويناموا نومًا دائمًا ولا يستيقظون بقول الرب . واجعل  
امراءها وحكامها وروساءها وولايتها وجبايرتها سكارى وينامون  
نومًا دائمًا<sup>(٤)</sup>

وقول اشعيا وانحل صلب الملوك لتفتح امام قورش الابواب  
ذوات المصراعين . والابواب لا تغلق<sup>(٥)</sup> هذا ما نُقِلَ عن النبوات  
ولما سمع الملك ضجة وهياجًا خارجًا ارسل رسلاً ليقف على  
سبب ذلك . ولكن لم تفتح ابواب النصرالا والفرس دخلوا اليه .  
فتم بذلك قول النبي سمع ملك بابل خبرهم فاخذته الرعبة<sup>(٦)</sup>  
وهلك الملك وجماعته فتم قول النبي عين زمان مملكته واكملها  
قسمها واعطاها للماديين والفرس<sup>(٧)</sup>

(١) ص١٤٢ ع٢ (٢) ص١٤٢ ع٢ (٣) ص١٤٢ ع٢

وع١ (٤) ص١٤٢ ع٢ (٥) اشعيا ص١٤٢ ع٢ (٦) ارميا ص١٤٢ ع٢

(٧) دانيال ص١٤٢ ع٢



وقد تنبى ايضا على كثرة العساكر الذين دخلوا حينئذ  
 وقتل اهل المدينة في الاسواق بقوله واملاك بالرجال كاللود.  
 ستقع شبانها في الاسواق ويقتل جميع ابطالها في ذلك اليوم.<sup>(١)</sup>  
 وعلى قول هيرودوتوس المؤرخ كان عسكر الفرس بعد ما  
 اخذت المدينة مائة وعشرين الف فارس وستة الاف مركبة  
 حربية وستماية الف راجل. ونادى قورش بامرته ان يبقى الناس  
 في بيوتهم والا فيقتل كل من وجد في الاسواق  
 فوعدت بذلك جميع خزائن بابل المكنونة في يد قورش.  
 وعلى ذلك قول النبي اعطيت ليد خزائن الخفاء والاموال  
 الخبأة ليعلم ان الرب الذي دعاه باسمه هو اله اسرائيل.<sup>(٢)</sup>  
 ومن حين افتتح قورش هذه المدينة الشهيرة اخذ مجدها في  
 الزوال. كما سبق الله واخبر بسقوطها وكنهه لانتخب. وذلك  
 بانها بعد افتتاحها الاول سقطت عن كونها ملوكة الى ان  
 صارت تحت الجزية على ما اخبرنا به هيرودوتوس. والظاهر ان  
 النبي يشير الى ذلك بقوله انزلي واجلسي في التراب يا عذراء  
 يا ابنة بابل. اجلسي على الارض. ليس كرسي يا ابنة الكلدانيين.<sup>(٣)</sup>  
 ثم الدرجة الثانية في سقوط هذه المدينة الشهيرة كانت  
 بعد عصيانها على داريوس. فانه بعد ما اخذها امر بتقصير علو

(١) ارمياص ع<sup>١٤</sup> وض ع<sup>٢</sup> (٢) اشعياص ع<sup>٢</sup> (٣) اشعيا



الاسوار وخراب جميع ابوابها. والى ذلك يشير النبي صريحاً  
بقوله سيفع سور بابل سنهدم اسوارها<sup>(١)</sup>

ثم عند رجوع زركسيس من غزوه بلاد اليونان دخل الى  
بابل ونهب خزائنها الثمينه المقدسه المحفوظه في هيكل بعل اله  
المدينه. وذلك ما تنبأ به ارميا بقوله سأعاقب بعل في بابل  
وأخرج من فيه ما قد ابتلعه. واقضي حكمي على منحوتات بابل<sup>(٢)</sup>  
وكل اتعاب الذين وقعت بابل في ايديهم لاجل اعادتها  
الى مجدها او حفظها من الدثار لم تنجح اصلاً. فان قورش جعلها  
مسكنه غالباً ولكن خلفاؤه اخناروا غيرها. والاسكندر لما  
فتحها كان راغباً في اعادتها الى مجدها الاول ولكن مشيئة الله  
كانت بعكس ذلك. ونبية كان قد قال قبل ذلك بزمن  
طويل ان كل جدي وجهدي في ذلك لا يجدي نفعا. وذلك قوله  
خذوا بلسماً لشفاء بابل ان كانت تُشفي. كنا نريد شفاه بابل ولكنها  
لا تُشفي. <sup>(٣)</sup> واما سبب سقوط بابل وخرابها المستديم فكان اولاً  
ان تحويل النهر عن مجراه ملاً الارض المجاورة لها غدراناً مملوءة  
ماءً مننناً. ثانياً ان بناء مدينة اخرى بالقرب منها اجنذب كثيرين  
من اهل المدينة القديمة الى هذه المدينة الجديدة. وتضايقت بابل  
ايضاً من ولائهم كانوا من اظلم اهل الدنيا. فان واحداً منهم اسمه

(١) ارميا ص ١ وع ١ وص ١ وع ٢ ص ١ وع ٢ وع ٢ ارميا



هو مروس وكان قبل المسيح بمائة وثلاثين سنة استعبد كثيرين  
من اهل المدينة لاصغر الحج واحرق ديوانهم وبعض هياكلهم  
ونفى كثيرين منهم الى مادي. فبعلم سابق بهذه الحوادث قال  
نبي الله سبنتقلون وبرتخلون الرجل والبهيمة<sup>(١)</sup>

واما ظلم الذين فتحوا بابل فقد وصفه الانبياء بالتدقيق  
فقالوا هم ظالمون في الغضب والسخط الهابل ليجربوا الارض.  
وقد تم ذلك كل التام في الفرس والماديين والمكدونيين  
والقرثيين والسوريين والرومانيين والعرب. فجميعهم قوماً بعد  
قوم توافقوا بغضهم القاسي وسخطهم الهابل على خراب هذه  
المدينة التي كانت مرة ذهبية وهذه الكورة التي كانت مرة حسنة  
محصنة. والى ذلك يشير النبي بقوله ان سيفاً على الكلدانيين  
وصوت حرب في الارض وهلاك عظيم. ساوقد ناراً في مدنه  
فتحرق جميع ما حوله. وتصير كلدبا نهباً وكل من ينهبها سيشتبع  
يقول الرب. السيف على خزائنها فتنهب. اينها الجالسة على  
مياه كثيرة ذات الخزائن العظيمة قد جاءت اخرتك<sup>(٢)</sup>

واما وصف النبي لخراب بابل التام فلم يكن اصح مما هو  
لو كان النبي حاضراً وشاهد عياناً. فانه يقول واعاقب ارض  
الكلدانيين واجعلها خرايب دائمة واقطع الزارع من بابل ومن  
يتناول المنجل يوم الحصاد. القحط في امواها فتجف. ها ان اخرت

(١) ارمياصن ع (٢) ارمياصن



التبابل يبسّ وقفر. ومدنها خرابٌ وبسّ وقفر. ارضٌ لا يسكنها  
انسانٌ وابن الانسان لا يمرُّ بها. وارسل الى بابل من بذريها  
ويفرغ ارضها. سترنجف الارض وتحزن لان مقاصد الرب كلها  
تمّ في بابل لتجعل ارض بابل خراباً لا يسكنها احد<sup>(١)</sup>

واما سقوط هذه المدينة فكان بالتدرج على غير انقطاع.  
فانه في الجيل الثاني للتاريخ المسيحي لم يبقَ منها غير الاسوار.  
وفي الجيل الرابع اصلحوها لتكون زريبةً للوحوش البرية.  
فصارت بابل ارضاً يصطاد فيها ملوك الفرس. ثم لما وقعت في  
ايدي العرب تمّ خرابها. والان مضى عليها بعد ذلك دهورٌ  
عديده وهي على ما وصفها النبي بقوله لا يسكنها انسانٌ وابن  
الانسان لا يمرُّ بها. العربي لا يضرب خيمته هناك والرعاة  
لا يجعلون زرايبهم هناك<sup>(٢)</sup>. وجميع ما بقي من المدينة انما هو تلال  
خراب وكراديس لبن قديمة. وذلك يطابق بالتام نبوة ارميا  
القابل نصير بابل رايات. اجمعوها كالرايات. ولا يترك شي  
منها. سقطت بابل انخرطت الى الارض. سقطت اساساتها ولا  
تسكن من جيل الى جيل<sup>(٣)</sup>

ولنذكر الان اخبار السواح المتأخرين الذين زاروا  
خراب بابل. قال منيان في ذلك كان طريقة ساين كثير من  
الروابي الخربة وهي موضع بابل اليابسة. ولا يمكنني ان اعبر عن

(١) ارمياص (٢) اشعياص (٣) ص و ص



القفر الموحش المنفرد الذي كان امامنا . وقال بورتر ان سكوتنا  
كسكوت القبر كان بين تلك الخراب . ان بابل الان منظر  
صامت وخلوة عظيمة . وعلى حسب قول راولف الذي كان في  
الحيل السادس عشر لم يكن في دابة بابل القديمة منزل واحد  
ينزل فيه الانسان . فهو يقول تجول العين في برية مقفرة  
الخراب فيها هي الاشارة الوحيدة الى انها كانت في وقت ما  
عامرة . وقال كبل لا يمكن ان ينظر احد هذا المنظر ولا يخطر  
بباله صحة نبوة اشعيا وارميا . انتهى . وانه امر غريب ان عرب  
البادية الذين يسكنون القفار ويترددون كثيرا الى ذلك المكان  
لا يضربون خيامهم بين خراب بابل . ولكن منيان يخبرنا بانهم  
لا يرضون ان يبيتوا ليلة بقرب اعظم تلالها اذ يعتقدون بان  
ارواح شيطانية تسكن هناك . وقال ان ستة من رجال البادية  
صحبه الى هناك ومعهم كثير من السلاح ولكنه لم يقدم ان  
يرضهم بالاقامة هناك بعد دخول الليل

وذلك المكان ايضا مملوء من الحيوانات الكريهة والآجام  
المتنتنة . كما قد اخبر بعض السواح ان بين خرابها توجد كهوف  
كثيرة للوحوش الضارية . فقال رتش انه يوجد كثير من البوم  
والخنش هناك . وعلى التل الذي يُظن انه خربة هيكل بعل  
راى بورتر ثلاثة اسود كبار . وهناك ايضا الضبع وابن  
اوس . فمن لا يرى والحالة هذه صحة نبوة النبي القابل وتكون

هناك وحوش البادية وتمتلي بيوتهم من الحيوانات الكريمة  
 ويسكن هناك اليوم وترقص الجن هناك. "وقد انغى شاطبي  
 الفرات من الجهة الغربية واذ ليس حاجز يصدُّ النهر طاف على  
 الارض المجاورة فغار كثيرٌ من خرايب بابل غربي النهر حتى  
 انه بعد تناقص ماء النهر يبقى كثيرٌ من تلك الارض بالوعة  
 متصلة لا مدخل للانسان فيها. والظاهر ان النبي اشار الى ذلك  
 اذ قال جاء البحر على بابل فتغطت بامواجه الكثيره". وما  
 ظاهرة مناقض لهذا الوصف هو ايضا صحيح. فان بعض الانبياء  
 يصفون بابل بانها يبس وبرية وقفر. وذلك عين الواقع لانه  
 وان كان ما على الجانب الواحد من النهر قد غطته المياه لكن  
 ما كان على الجانب الاخر يابس جدًّا وبرية مفرقة

ثم نظرًا لما تبلغ اليه شهادة التاريخ من الازمنة القديمة يظهر  
 لنا ان هيكل بعل كان اعلى من كل ما بناه البشر وعلى كل حال  
 كان اعلى من اعظم الاهرام المصرية. والارجح ان هذا الهيكل  
 بُني على اساس برج بابل. والسواح المحققون يظنون ان اعلى  
 الرايات بين الخرايب هو موضع هذا الهيكل الشهير. وهذه  
 الخريبة ممتدة على اكثر مما كان الهيكل ممتدًا عليه. فيقول منيان  
 ان رويته كروية تلة عليها قلعة. والعرب يسمونه برج نمود.

(١) اشعيا ص ١٣ ع ٢ (٢) ارميا ص ٥١ ع ٤



وبورتر الذي اخبرنا خبراً منيداً عن هذه الخريبة الواسعة قال  
وتوجد على راس التل قطع من اللبن لاهيمة لشكلها مجتمعة بلا  
ترتيب قد احتمها النار ببعضها. وارتفاع بعض هذه القطع العظيمة  
اثنتا عشرة قدماً ودابرتها اربع وعشرون. وقد بقيت هذه القطع  
كما هي مع ان كل ما سواها صار تراباً وذلك لان حرارة النار  
سبكتها

وابواب هيكل بعل العالمة التي كانت لم تنزل قائمة في  
ايام هيرودوتوس المورخ قد اُحرقت بالنار. وعلى ذلك قول  
الانبياء سقط بعل. وقعت الحيرة ببعل. امتدت يد الرب عليه  
فتد حرج الى اسفل من الصخور وجعل جبلاً محرقاً. والنصور  
العظيمة في بابل التي ربما كانت احسن ما رآته اهل الدنيا  
كان اكبرها محاطاً بثلاثة اسوار قوية تعد بالذوام وتكاد تضحك  
على الزمان قد اخفت بالكيفية ولم يبق منها الا اثر الاسوار  
المحيطة بها. ومسافة دايرة هذه الخريبة نحو نصف ميل وعلوها  
مائة واربعون قدماً واكلها الان قد صارت خراب مغلطة  
بعضها ومرصاً للوحوش الضارية ومملوءة من الحيوانات الكريهة.  
فتم بذلك قول النبي تتعاوى الوحوش في خرابها والتنانين في  
قصورها المحسنة. وقال منبان الحشرات المسمة توجد كثيراً بين  
خرابها. ثم قال واذكنت اتمشى على الحجارة المنهدمة وكسر اللبن  
المتفرقة في هذه الخريبة العظيمة وانظر الى عظمة هذا الخراب خطر

بيالي الزمان الذي فيه كانت هذه الاسوار قائمة شامخة مجدها  
 وكانت هذه القصور محلّ الطرب العظيم وسمعت فيها اصوات  
 من قد انحوا عن وجه الارض منذ اجيال عديدة. فهذه الراية  
 نفسها كانت محلّ الرفاهية والرزابل واما الان فقد صارت  
 دثاراً ومثالاً محزنًا لانتقام الله. فهي خالية لا يرى فيها مسكن  
 حتى ولا خيمة من برعى المواشي في البرية. وذلك يطابق بالتمام  
 قول النبي قد أنزل افتخارك وصوت العود الى القبر. قد انتشر  
 الدود تحنك والدود يغطيك

وفي هذه المدينة العجيبة لم يكن شيء ابهج من علو الاسوار  
 وعرضها. لان عرضها كان يسع ست مركبات تُجرّ عليه واحدة  
 بجانب اخرى. وقيل ان علوها الاول كان ثلاثية وخمسين قدمًا  
 او ثلاثية على الاقل. نعم ان داربوس اميط شيئاً من علوها  
 ولكنها بقيت اعلى من اكثر الاسوار الاخرى. فابن هي الان.  
 لم يبق لها اثر البتة. لانه قد فحص بكل تدقيق الساجان بكنهام  
 وفريدريك لكي يجدا شيئاً من اثر اسوار بابل ولم يجدا شيئاً.  
 فيقول فريدريك انه لم ير احد من السواح المتأخرين شيئاً  
 من اثر السور ولا الخندق حوالبه وفي مسافة واحد وعشرين  
 ميلاً بجانب الفرات طولاً واثنى عشر عرضاً لم استطع ان ارى  
 شيئاً بوجه انه كان قبلاً في هذه الرحلة الواسعة سوراً او خندقاً.  
 واخبر كيل ايضاً انه هو واصحابه من السواح الذين كانوا معه



لم يجدوا اثراً لاسوار المدينة . ثم يقول ان النبوات الالهية على  
بابل قد تمت بهذا المقدار على ما يظهر من الخراب حتى انني  
اعتقد بكل ما يقتضيه معنى كلمات ارميا عندما يقول سنسقط  
اسوار بابل العريضة سقوطاً تاماً<sup>(١)</sup>

وتُنَبِّئِي ايضاً ان بابل تكون دهشةً وكل من يمرُّ بها يندهِش .  
ومقدار مطابفة هذه النبوة لاحساس السواح المتأخرين يظهر  
من كلامهم . فيقول بورنر لم يمكني ان اضبط نفسي عن الاشعار  
بوقارٍ غير موصوفٍ في مروري كانه بابواب بابل الساقطة .  
ويقول منيان لا يمكنني ان اصف ما اعترائني من الاحساس  
الشديد بوقارٍ عظيم اذ كنت انامل اتساع الخراب ومقدار الدثار  
على كل جانب . ويضيف بورنر الى ذلك في مكانٍ اخر هذه  
العبارات اللطيفة وهي قوله وكان منظر ذلك الخراب في غاية  
الهيبة . فلا يزال نهر الفرات العظيم نهراً شريفاً ولو كانت ارض  
مجرأة مفرقة وهو سايرٌ في الوحدة كالسلطان الساج بين خراب  
مملكتيه الهالكة اذ كانت شطوطه شايبة بالقصب ولا يزال  
هناك الصفصاف الذي علق عليه اسارى اسرائيل قبايرهم ولم  
يريدوا ان يتعزوا لفقد اورشليم . ولكن كيف تغير المنظر منذ  
ذلك . فانه كانت تلك التلال المكسرة اذ ذاك قصوراً وهذه

(١) ارميا ص ٤٥

الروائي الغير المستوية اسواقاً وكانت هذه الخلوة الواسعة مملوءة  
من رعايا ابنة المشرق الشامخة . ولكنها الان قد تلفت بالخراب  
ومنازلها لا توجد وهي قد غطاها الدود

وقال في ذلك المعلم كيث هذه العبارات اللطيفة وهي  
قوله الم نتم جميع احكام الرب على بابل . من يجيب بالانكار  
عند استماع هذه السوالات من صاحب النبوات المذكورة آنفاً  
اذ يقول من خبر بذلك منذ القديم ومن اعلنه من ذلك  
الحين . أليس انا يقول الرب وليس الله اخر غيري يخبر  
بالاخرات منذ البدء ومنذ القديم قد اخبرت بما لم يكن قابلاً  
مشورتي تدوم واعمل كل مسرتي . فهل يمكن وجود برهان لصدق  
النبوة اعظم من هذا . ان اخبار الجنس البشري لا يوجد فيها مخالفة  
اغرب مما يوجد بين عظمة بابل القديمة وخرابها المستطيل ومع  
ذلك ما اقل الاماكن التي تصورت لنا صورتها واضحة وصادقة  
نظير صورة بابل الساقطة المصورة من النبوة حين كان لا يوجد  
بقعة من الارض اقل مشابهة لها من منظرها الحاضر المفتر  
المتوحش . وهل يمكن ان تكون نبوات عن مكان ادق واعجب  
واكثر وصدق من هذه النبوات وهي قدمت فيها شيئاً فشيئاً  
في اجيال عديدة

ومن المدن الشهيرة القديمة صور وقد تنبى عنها بنبوات  
غريبة عجيبة تمت فيها بكل تدقيق . فتنبأ اشعيا عنها عند ما



كانت في مجدها متكبرة بالرفاهية حاصلة على اغنى متاجر العالم  
 وذلك قبل ان يظهر عليها شيء من لوايح الخطر بمائة سنة على  
 الاقل . والسبب الذي ذكره النبي لحلول احكام الله على هذه  
 المدينة العظيمة هو كبرياؤها اذ يقول رب الجنود اراد هذا  
 ليخفض كبرياء كل كرامة وبذل كل اشراف الارض "وحزقيال  
 النبي يتكلم في ثلاثة فصول عن رفاهية صور وثروتها ومنجرتها  
 وخرابها

ومما تنبى عن صور بالهام الهى ما سنذكره اولاً ان الكلدانيين  
 ياخذون هذه المدينة الغنية الكثيرة الاهل . وكان الكلدانيون  
 في زمان هذه النبوة شعباً حقيراً . وحزقيال لا يتنبأ فقط بان  
 خراب هذه المدينة يكون من ايدي الكلدانيين بل يسمي ايضاً  
 اسم الملك الذي ياخذها اذ يقول هكذا يقول الرب الاله اجلب  
 على صور بخنصر ملك بابل ملكاً قوياً من الشمال بجيول ومركبات  
 وفرسان . فيقتل شعبك بالسيف ويهدم حصونك المنيعة الى  
 الارض " ويخبرنا يوسيفوس ان بخنصر حاصر صور ثلث عشرة  
 سنة حين كان ايثوبعل ملكها . وهو يستند في ذلك على قول  
 مينندر الافسوسي . وتواريخ فينيقية ايضاً توافق هذا القول تماماً  
 ثانياً تنبى ان سكانها يعبرون بحر الروم الى الجزاير والبلدان  
 المجاورة . فيقول اشعبا اعبروا الى ترشيش وولولوا باسكان

(١) شعباً صاعاً (٢) احزقيال صاعاً الى عاك

الجزيرة قوموا واعبروا الى كينم وهناك ايضا لا تجدون راحة<sup>(١)</sup>  
 ومثل ذلك قول حزقيال تضطرب الجزاير التي في البحر عند  
 ذهابك. وانه لو اوضح من المورخين القدماء ان من الصور بين  
 من ذهب وسكن اماكن كثيرة في البحر منها مدن قرطاجنة في  
 افريقية وطرطوس في اسبانيا وهي التي يسميها الانبياء ترشيش  
 ثالثا تنبيء ان صور ترد بعد سبعين سنة. واشعيا يعين  
 هذه المدة بقوله وفي ذلك اليوم تنسى صور سبعين سنة مثل يوم  
 احد من الملوك<sup>(٢)</sup> وذلك يشير الى دوام دولة الملوك الكلدانيين  
 التي كانت سبعين سنة فقط. وهي ما يقوله ارميا في سلطة بابل  
 وتعبد هذه القبائل لملك بابل سبعين سنة<sup>(٣)</sup>

رابعا تنبيء ان صور تحرب ثانية بعد ما رجعت الى ما  
 كانت عليه قبلا. ولما فتح بختنصر المدينة اخذ اهلها اموالهم  
 وركبوا سفنهم وتخلصوا. فوعده الله بمصر جزاء عن تعب الكثير  
 وربح القليل في محاصرة صور. ولما رجع اهلها لم يبنوا بيوتا في  
 المكان القديم بل ذهبوا الى جزيرة منفصلة من البر بمضيق من  
 البحر وفيها قامت المدينة الجديدة وازهرت في التجارة والغنى.  
 واما الانبياء فلم يتنبأوا فقط عن خراب صور القديمة بل عن  
 خراب الجديدة المبنية في وسط البحر ايضا. فيقول اشعيا ولولوا

(١) اشعيا ص ٢٢ ع ٢ ص ٢١ الى ع ١٧ (٢) ص ٢١



ياسكان الجزيرة . ويقول حزقيال من كان مثل صور التي صارت  
 بكى في جوف البحر<sup>(١)</sup> وذكرها الذي كان زمانا طويلا بعد خراب  
 الاولى يقول مشيرا الى الثانية وقد بنى صور لنفسه حصنا منيعا  
 وجمع فضة كالتراب وذهبا ابريزا كطين الاسواق . هوذا يطرحها  
 الرب خارجا ويضرب قوتها في البحر وتُتلف بالنار<sup>(٢)</sup> وكانت هذه  
 المدينة الجديدة حصنا منيعا بالحقيقة اذ لم يحجرها البحر فقط بل  
 كان علوا سوارها مائة وخمسين قدما . ثم ان نبوة حزقيال  
 صريحة ايضا في ان خراب صور الثاني يكون بالنار وعلى ذلك  
 قوله واخرج نارا من وسطك فتهلكك واجعلك رمادا على  
 الارض امام كل من يراك . وبحسب ذلك حاصرها اسكندر  
 الكبير وفتحها واحرقها بالنار . وهذا صريح من شهادة كورنيوس  
 كورنيوس<sup>(٣)</sup>

نعم ان موقع صور في جزيرة واستيلاءها على البحر قد منعها  
 عسكر الاسكندر عن الوصول الى اسوارها زمانا . ولكنه اخذ  
 حجارة المدينة القديمة وخرابها وطرحها في البحر بينه وبين  
 الجزيرة حتى صارت مسلكا اليها . فتمت بذلك نبوة حزقيال  
 حيث يقول سيطرحون حجارتك وخشبك وترابك في وسط  
 البحر<sup>(٤)</sup> وكان هذا العمل كثير العناء فاشتغل به عسكره سبعة

(١) ص ٢٧ ع ٢٢ (٢) ص ١٨ ع ٢١ (٣) انظر كتابه الرابع راس ٥

(٤) ص ٢٦ ع ١٢

اشهر. وفي هذه المرة ايضا ركب الصوريون سفنهم وهربوا في البحر.  
لان ديودوروس سيكولوس وكونيتوس كورتيوس يشهدان انهم  
ارسلوا نساءهم واولادهم الى قرطاجنة وهم في الحصار وعند ما  
أخذت المدينة احتال الصيداويون على اخذ خمسة عشر الف  
نفس منها في مراكبهم والذين نجوا بانفسهم كانوا سعداء لان  
الاسكندر عامل الذين ظفر بهم بكل قساوة اذ قُتِل ثمانية  
الاف في اخذ المدينة وصُلب الفان وبيع ثلثون الفا عبيداً  
ومع ان صور بُنيت ثانية وازهرت زماناً نفذ قضاء الله في  
نبوة انبيائه ان هذه المدينة التي كانت مفتحة وكانت سبب البحر  
تصير خراباً بالكلية. كما ان حزقيال الذي وصف غناها  
وتجارها وافتخار ملوكها وتجارها قد تنبأ بكل تدقيق على خرابها  
ودثارها التام اذ قال هكذا يقول الرب الاله ها انا ضدك يا صور  
واجعل اما كثيرة تاتي عليك كما يجعل البحر امواجه تصعد  
فيغربون اسوار صور ويهدمون ابراجها. واتحط ايضا ترابها منها  
واجعلها كراس صخري وتكون موضعاً لنشر الشباك في وسط البحر  
لاني قد تكلمت بذلك يقول الرب. ثم ان النبي اشعرا بتاكيد  
خراب صور التام يكرر ما قاله انفاً بقوله واجعلك كراس صخري  
وتكونين موضعاً لنشر الشباك ولا تُبْنين فيما بعد لاني انا قد  
تكلمت بذلك يقول الرب الاله. وايضاً اجعلك مهابة ولا  
تكونين فيما بعد واذا طُلبت فلا تُوجدين ابداً يقول الرب الاله



ولاجل الوقوف على مقدار صحة هذه النبوة فلننظر الى اخبار  
السواح في الاجيال المتاخرة عن هذه المدينة الشهيرة. فيقول  
كوتوفيكوس الساج الفلنكي الذي حضر الى سوريا سنة ١٥١٤  
ان هذه المدينة التي بنيت مراراً كثيرة بعد خرابها قد خربت  
الان خراباً تاماً حتى خرجت عن كونها مدينة والذي يوجد منها  
انما هو بعض اثار لخرابها الاصلية. فليس شيء باقياً الان من  
صور الا بعض قناطر وحمامات واسوار منهدمة وابراج دائرة.  
انتهى

وموندل الانكليزي يقول ان هذه المدينة قائمة على البحر  
في جزيرة متصلة بالبر وهي ترى من بعد كانهما عظمة جنة  
ولكن متى وصلت اليها لاتجد فيها شيئاً من ذلك المجد الذي  
اشهرت به في الايام القديمة والذي وصفها به حزقيال النبي في  
الفصل السادس والعشرين والفصل السابع والعشرين والفصل  
الثامن والعشرين من نبوته. فعلى الناحية الشمالية لآثرى الاقلعة  
مجموعة بناها المسلمون. وما عدا ذلك فهو اسوار واعمدة واقبية  
مكسرة مطروحة بعضها على بعض. فلم يبق بيت واحد سالم من  
الخراب. واما اهلها في هذه الايام فهم قلائل فقراء ينزلون بين  
الخراب ويعيشون غالباً من صيد السمك والظاهر ان العناية  
الالهية حفظهم في هذا المكان ليكونوا برهاناً واضحاً على ان الله  
قد اكمل كلمته في صور بحيث تكون كراس صخر ينشر الصيادون

شباكم عليه . انتهى

وفولني ايضاً الكافر المشهور قد اضطر ان يشهد كما شهد  
غيره لصحة تمام النبوة الالهية على صور فانه بعد ان قابل مجدها  
الاول بخرابها المحاضر قال ان جميع قرية صور ليس فيها الا  
خمسون او ستون عائلة يعيشون بالفقر من غلات اراضيهم  
القليلة وصيد السمك . وبذلك شهد بان نبوة النبي قد تمت في  
ان مدينة صور المشهورة بالغنى والعظمة تكون خراباً ومنزلاً  
للصيادين . وروس الساج يصف صور بكلمات النبي نفسها اذ  
يقول وصور هي صحرة ينشر عليها الصيادون شباكم . ومثل ذلك  
شهادة كثيرين من الذين زاروها . ومن ذلك نرى ان نبوات  
عجيبة كتبت من اكثر من النبي سنة قد تمت . ونعابن تمامها في  
هذه الايام في خراب اغنى مدن الدنيا واعظها

ومن النبوات العجيبة ما ذكر في كتاب دانيال فانه  
يذكر فيه قيام اربع ممالك على التوالي وفتوحات الاسكندر  
وخلفائه بطروف عديدة بلوح منها كان كلامه مورخ يخبر  
بالوقايح بعد وقوعها . فان بورفوربوس احد العلماء القدماء  
المضادين للديانة المسيحية من تعجب من المطابقة بين هذه النبوات  
وتواريخ الحوادث التي تمت فيها ذهب الى ان كتابة النبوات  
كانت بعد وقوع الحوادث . فاذا لم يمكنه ان يدعي بالحفا فيما ذكر  
كما هو عادة الكافرين في امر النبوة اعترض على صراحة النبوة



وتفصيلها الوافي . وذلك احوج ابرونيموس ان يقول ان هذا  
 الاعتراض شهادة للحق لانه من صراحة كلام النبي ظهر عند  
 الكافرين كانه يجبر عن حوادث ماضية لانه يتنبأ عن حوادث  
 مستقبله

ولا يجنى بطلان قول بورفوروس ان كتاب دانيال  
 كتبت بعد زمان انطيوخوس ايفانيوس لان يوسيفوس اخبرنا  
 ان الاسكندر الكبير لما حضر الى اورشليم عرّضت عليه نبوات  
 دانيال فكان ذلك سبباً المنعج اليهود حقوقاً كثيرة . فضلاً عن  
 ذلك قد ذكر دانيال في سفر المكابيين الاول  
 ويوسيفوس نفسه يعدّه من اعظم الانبياء . مع  
 انه لو كتبت هذا الكتاب في هذا  
 الزمان المتأخر لما قبله  
 اليهود بين كتبهم  
 القانونية

## الفصل الحادي عشر

في النبوات عن المسيح ونبوات المسيح عن خراب اورشليم

ان النبوات عن المسيح الواردة في الكتب الالهية عديدة ومفيدة وتضمن كثيراً من المسائل حتى انه اذا أريد الوقوف عليها على احسن طريقة يحتاج ذلك الى اسهابٍ مستطيل . فلذلك نكتفي بالاشارة الى العظام منها على طريقة مختصرة . فنقول

اولاً انه لو اوضح من قراءة العهد القديم انه يوجد فيه اشارات عديدة الى محي شخص شهير . وعليها اعتمد اليهود منذ الاجيال الاولى في انتظارهم مسيحاً . والظاهر انه منهم خرج الاعتقاد بظهور انسان شهير في اليهودية الى ما بين القبائل المجاورة لهم . وبعض آيات الكتاب التي بُني عليها هذا الاعتقاد كانت هي الوعد بزرع المرأة<sup>(١)</sup> والوعد بزرع ابراهيم الذي به تبارك جميع القبائل<sup>(٢)</sup> وشيلو الذي كان عنيداً ان يخرج من سبط يهوذا قبل انقراض سلطنة هذا السبط<sup>(٣)</sup> والنبي الذي

(١) تكوين ص ٢٤ ع ١ (٢) تكوين ص ٢٤ ع ٢ (٣) تكوين ص ٢٤ ع ٢



يكون مثل موسى والرّب بفيمة<sup>(١)</sup> والملك الذي بفيمة الرّب على  
 جبل المقدس<sup>(٢)</sup> والكاهن الذي يكون على ترتيب ملكيزداق<sup>(٣)</sup>  
 والغصن الصالح<sup>(٤)</sup> وحجر الزاوية<sup>(٥)</sup> وشهوة جميع القبائل<sup>(٦)</sup> وراعي  
 اسرائيل<sup>(٧)</sup>

ثانياً نعيّن زمان مجيء المسيح في النبوة بكونه قبل زوال  
 قضيب الملك من سبط يهوذا وعند نهاية سبعين اسبوعاً نبوية  
 اي اربع مائة وتسعين سنة تمر من زمان خروج الامر باعادة بناء  
 اورشليم والهيكل الثاني باق<sup>(٨)</sup>

ثالثاً ذكر في النبوة صريحاً مكان ميلاده والعائلة التي  
 يتسلسل منها. ويتضح من التاريخ الانجيلي ومن اقرار اليهود بانهم  
 عرفوا جيداً ان المسيح بولد في بيت لحم ويكون من نسل داود  
 رابعاً تنبّئ عن المسيح باشياء في ظاهرها تناقض فتارة  
 بوصف كملك وجبار يتسلط على جميع الارض ويزهر بالعدل  
 والسلام الى الابد. وتارة كصعلوك مهان ذي حزن وغم  
 كمجروح ومرضوض وكمنقطع من ارض الاحياء وكن سكب  
 نفسه للموت. فهذه الصفات التي لا تتجمع في ظاهر الامر كانت  
 سبباً لاعتماد بعض اليهود ان النبوات تشير الى مسيحين احدها

(١) تثنية الاشتراع ص ١٤ ع ١ (٢) مزمو ٢ ع ٦ (٣) مزمو ٢٤ ع ٦

١٠٦ ع ٤ (٤) ارميا ص ٢٢ ع ٥ (٥) مزمو ١١٢ ع ٦ (٦) حجي

ص ٢ ع ٧ (٧) مزمو ٧١ ع ١ (٨) دانيال ص ٢ ع ٤

ظافر غالب والآخر مظلوم مضطهد صبور. ولكن مع هذا التنافي في الظاهر قد اجتمعت هذه الصفات اكمل اجتماع في يسوع الناصري. ولا ريب ان ذلك لا يصح ان يقال في غيره اصلاً

خامساً قد تُنبئ ان المسيح يكون نوراً للامم وفي سياسته تغيير احوال العالم ويستولي السلام والعدل. ومع انه لم يتم الا جزء من هذه النبوة نرى انه قد تم منها في دعوة كثير من القبائل الوثنية الى المسيح وفي تأثير الديانة المسيحية السليم الشافي ما بدعونا الى الاعتقاد بان ذلك قد قيل باهام من الله سادساً لم يُنبأ بان المسيح يُقطع فقط بل انه يموت ذبيحة ايضاً عوض الغير مكثراً للخطايا

واما اتمام هذه النبوات فصريح في غاية ما يكون في الاناجيل. ولا يمكن ان يُنكر وجود المطابقة الكلية بين كلام الانبياء وتاريخ الانجيليين مهما كانت الاسباب في ذلك. والاصحاح الثالث والخمسون من نبوة اشعيا بقابل آلام المسيح وموته مقابلة اقنعت كثيرين من الكافرين

وما عدا ذلك قد تنبأ انبياء الله عن المسيح بامور وظروف كثيرة خصوصية يليق ان نذكرها هنا بالاختصار. قد تنبأ اشعيا وملاخيا عن بوحنا المعمدان الذي سبقه. وتنبأ اشعيا



بمعجزاته وبوداعته الكاملة وخضوعه العجيب وهو في حالة  
العذاب الاليم. وتنبأ زخريا بركوبه على حمير وعلى جحش ابن  
آنان وبانه يُنخس في جسمه بحيث تُرى جراحه وبانه يباع  
بثلثين من النضة وبان هذه النضة تُخصَّص بشراء حفل الفخار.  
وتُنبي في كتاب المزامير بانهم يقتسمون ثيابه ويقترعون على لباسه  
وبانه يُسقى خلا. وقد ذكرت تلك الكلمات التي قالها وهو  
متروك على الصليب من الله في المزمور الثاني والعشرين حيث  
يقول الهي الهي لماذا تركتني

وتُنبي ايضا في شريعة موسى رمزا عنه بانه لا يكسر منه  
عظم. واتمام هذه النبوة فيه كان غريبا اذ كُبرت ساقا الاثنين  
الذين صلبا معه دون ساقيه. وتنبأ اشعيا انه يُجعل قبره مع  
الخطاة ومع الاغنياء في موته. وذلك قد تم افضل تمام لما عُلِق  
على الصليب بين لصين ولما انزلهُ عن الصليب رجل غني ودفنه  
في مقبرته الجديدة. وقد تم اكثر هذه الامور باعمال اعدائِهِ  
وهم لا يشعرون بانهم يتممون نبوة الهية. ولا يمكن ان يكون اتمام  
هذه الامور الكبيرة التي سبقت النبوة بها واقعا بطريق الصدفة  
والاتفاق

وبالحقيقة ان جميع الشريعة الطقسية الموسوية كانت نبوة  
عن يسوع. واليه اشار العهد القديم الناموس والمزامير والنبوات  
جميعها كما قال الملاك ليوحنا روح النبوة هو الشهادة ليسوع

ثم ان المسيح نفسه لما كان على الارض تنبأ بنبوات عديدة صريحة. ولاكثر امثاله كانت صفة نبوية تشير واضحا الى تقدم الانجيل ورذل اليهود ودعوة الوثنيين وحالة الكنيسة المستقبلية. ونبوات صريحة ايضا تنبأ بما كان عنيدا ان يصيب تابعيه من العالم وبخيانة يهوذا الاسخريوطي وبانكار بطرس اياه ثلاث مرات في ليلة واحدة وبظروف موته على التفصيل وقيامته من الموت في اليوم الثالث. ولكننا نترك جميع ذلك الان ونأتي الى النبوة العجيبة التي تفوه بها يسوع لتلاميذه على جبل الزيتون عن خراب هيكل اورشليم وجميع شعب اليهود. وكان ذلك قبل ان تمت بنحو اربعين سنة وكتبها متى قبل تمامها بثلاثين سنة او عشرين على الاقل. وكتبها ايضا مرقس ولوقا بعد ما كتب متى انجيله ولكن قبل ان وقعت الامور العظيمة التي كانت النبوة تشير اليها بسنين كثيرة. والقدماء يشهدون بان هذين توفيا قبل افتتاح الرومانيين الحرب على ارض اليهودية. واما يوحنا فكان وحده لم يبق حيا من الذين كتبوا الاناجيل وربما من الرسل ايضا لمشاهدة اتمام نبوة الرب. ويستحق الاعتبار كون ذلك لم يذكر في انجيل يوحنا اصلا

ويجب ان نلاحظ هنا انه لما تنبأ الرب هذه النبوة لم يكن خراب اورشليم في الظاهر محتمل الوقوع. لان اليهود كانوا يومئذ في راحة وكانت قوة الرومانيين في حال لا يُظن منها ان



قبيلة صغيرة مثل اليهود تعصم

واما كلام هذه النبوة فهو موجود في الاصحاح الرابع  
والعشرين من انجيل متى وفي الاصحاح الثالث عشر من انجيل  
مرقس وفي الاصحاح السابع عشر والحادي والعشرين من انجيل  
لوقا. ومرادنا الان ان نجمع كل ما كان مهماً من قضايا هذه النبوة  
ثم نبين كيفية اتمام ذلك. فنقول ان النبوة تتعلق اولاً بالعلامات  
التي سبقت خراب المدينة المقدسة. ثانياً بظروف حصارها  
وافتحها. ثالثاً بعواقب هذه الحادثة الهائلة

فاولاً ننبئ بان العلامات التي تسبق هذا الامر تكون مُسَخَّآء  
كذبة وفتناً وحروباً وجوعاً ووبأً وزلازلاً واموراً غير طبيعية  
تظهر في السماء واضطهاد المسيحيين وارتداد بعض المؤمنين وعدم  
وجود الرحمة وفساد الآداب بين الناس

ثانياً ننبئ بان ظروف هذا الحكم من الله تكون ان هذا  
الامر يحدث قبل زوال ذلك الجيل كله. وان ذلك يحصل  
من حروب ضد اليهود ثبورها قبيلة وثنية حاملة رايات وثنية.  
وان اورشليم تخرب خراباً تاماً ويهدم الهيكل بحيث لا يبقى حجر  
على حجر. وانه يهلك خلق كبير بالسيف. وان جمهوراً من الناس  
يساقون اسارى. وان الضيق حينئذ يكون اشد ما حصل في  
العالم. وان الرجز الالهي يكون ظاهراً في جميع هذه المصائب  
لان ذلك دُعِي يوم الانتقام وقيل انه يكون رجزاً على الناس



ثالثاً تنبئ بان تكون عاقبة خراب هيكل القدس تفرق  
اليهود بين جميع القبائل وتنام انقراض دولة اليهود الذي تشير  
اليه الاستعارات النبوية في ان الشمس نظلم والقمر لا يعطي  
ضوءه وتساقط النجوم من السماء. ورضل اليهود ودعوة الامم.  
وقيام انبياء ومُسخاة كذبة. واتساع هذه الاحكام على شعب اليهود  
ودوامها مع شيء من اللوائح لرجوعهم. وتنبئ ايضاً بخلاص  
المسيحيين من هذه السدايد ووعد لاجلهم بان تُقصر تلك الايام.  
واخيراً تنبئ بانه يكرز بالانجيل في جميع القبائل

فينبغي لنا الان ان نبحث في كيفية اتمام هذه النبوات الكثيرة  
العجيبة. وما يستحق الاعتبار ان العناية الالهية رتبت ان تاريخ  
الوقائع التي تمت فيها هذه النبوات يكتبه رجل غير مسيحي قد  
عابن ما كتبه. وهو المورخ يوسيفوس الشهير بالصدق. وشهادته  
عظيمة الفايده في امر الديانة المسيحية لانه كان يهودياً ومات  
يهودياً ايضاً

اما من جهة المسخاة الكذابين الذين ورد ذكرهم صريحاً في  
النبوة فنعلم من المورخ المذكور ان مزورين وسحرة جذبوا اليهم  
كثيرين الى البرية يعدونهم بالمعجزات والعجايب. فمنهم من  
اصابه الجنون ومنهم من عاقبه فيلخس الوالي. وكان من المزورين  
ذلك المصري الذي ذكر في كتاب اعمال الرسل انه جذب  
اليه كثيرين من الناس الى جبل الزيتون واعداً اياهم بانه يخرج



اسوار اورشليم بكتنو. وثوداس ايضا كان من الذين ادعوا  
النبوة. وقال انه يقسم ماء الاردن شطرين. ولكنه هرب امام  
كوسبيوس فادوس وتفرقت اتباعه. واما هو فقبض عليه قطع  
راسه وحمل الى اورشليم. وفي مدة ولاية نيرون لما كان فيلخس  
واليا على اليهودية ظهر كثير من المزورين حتى ان المورخ  
اخبرنا انه كل يوم كان يمسك اناس منهم ويقتلون

وكان اذ ذاك انزعاجات عظيمة وفتن وحروب هائلة  
في اماكن شتى كقيسارية والاسكندرية وبابل. وهاج خصام  
شديد بين اليهود والسمره وايضا بين اليهود والساكين معهم في  
المدن من القبائل الاخر. وقد اخبرنا يوسيفوس وقيلو خيرا  
مستطيلا عن هذه الفتن التي قتل فيها كثير من الناس. وحدث  
الجموع والوباء والزلازل على قول سويتونيوس وغيره من المورخين  
الوثنيين ونقل عنهم ذلك اوسايوس وبوسيفوس وتاسيتوس  
وسينكا

وقد صرح بوسيفوس وتاسيتوس بان كثيرا ما شوهد من  
العجايب حينئذ. فيقول بوسيفوس ان نجما كلسيف تعلق فوق  
المدينة سنة كاملة. وان في الساعة التاسعة من الليل اضاء نور  
ساطع حول المذبح والهيكل وكان نوره كنور النهار مدة  
نصف ساعة. وان باب الهيكل الشرقي الذي كان يغلقه  
عشرون رجلا لعظمه ويتركونه مغلقا بالعوارض المنبوعة انفتح من

ذاته. وأنه قبل غروب الشمس كان يرى في السحب خيالات  
مركبات وجيوش تتحارب. وأنه في عيد الخمسين اذ كان الكهنة  
يدخلون الى الهيكل الداخلي سمعوا صوتاً كضجيج اناس كثيرين  
قائلاً لنذهب من هنا. واما ما اثر في الناس اكثر من غير فهو  
مجيء رجل من الخارج الى القدس في عيد الخيام بعد ابتداء  
الحرب باربع سنين راکضاً في المدينة بصرخ نهاراً وليلاً قائلاً  
صوت من المشرق وصوت من المغرب وصوت من الرياح  
الاربع صوت ضد اورشليم والهيكل الويل الويل لاورشليم.  
فكان باطلاً اجتهاد الولاة في كفه عما هو فيه بالجلد والعذاب.  
فانه لم يزل يصرخ ولاسيما في الاعياد الحافلة مدة سبع سنين  
وخمسة اشهر لا يتعب ولا يبيح صوته الى ان كان يوماً على السور  
في الحصار يصرخ كعادته فاصابه حجر فوق قتيلاً. وتاسبتوس  
المورخ الروماني بشهد كما شهد بوسيفوس فيقول وشوهد جيوش  
في السماء قد انتشب الحرب بينها ولاح لمعان اسلحتها ونار من  
السحاب اضاءت في الهيكل وانفتحت بغتة ابواب الهيكل الداخل  
وسمع صوت يفوق صوت البشر قائلاً ان الالهة ذاهبة وحالاً  
لحُظت حركة ذهابها. انتهى. فكيفما يحكم الناس في هذه الاخبار  
يظهر منها جلياً ان عقول الناس اذ ذاك كانت منزعة ومرتعدة  
مما كان ظاهرة لهم انه من العجايب والى ذلك يشير قول النبوة  
وتكون مناظر مخيفة وعلام عظمة من السماء



واما ظروف الحصار وافتتاح المدينة فقد تنبى عليها ايضاً  
 بالتفصيل . فكانت رجسة الخراب التي ذكرها دانيال النبي هي  
 عساكر الرومانيين الذين كانت رايتهم نسرًا واقفًا على رمح وهذه  
 الرايات كانوا يعبدونها كالهية . فوقفت هذه حيث لا يجوز لها ان  
 تقف لانها نصبت ليس في الارض المقدسة فقط بل في المكان  
 المحرم حيث كان الهيكل قائمًا . واما المسيحيون فكان قد اتاهم  
 الانذار بانهم متى ظهر هذا الخراب الرجس يبادرون حالاً الى  
 الهرب . ففعلوا كذلك وعوض ان يذهبوا الى المدينة كما فعل  
 غيرهم هربوا الى بلاد وراء الاردن

وقد حصل لليهود داخل المدينة من الضيق ما يفوق  
 التصديق . لانه كان مجتمعاً منهم هناك اكثر من مائتي الف الف  
 فازدحموا ببعضهم لضيق المكان . ولا يمكننا ان نتصور ما اصابهم  
 ايضاً من الشدة في القتال المتصل مع الرومانيين وفي الانقسام  
 الذي حصل بينهم في انفسهم وفي الجوع والوباء اللذين اكتنفاهم .  
 فلم يصادف قوماً مثل هذه الضيقة قبلاً ولعله لا يصادف احداً  
 من بعد

فاحاط باورشليم العساكر المحاصرون من كل جانب ومع  
 ان حصونها كانت عظيمة القوة لم تمتنع عن الاخذ . ومع ان  
 تيطس كان قد اعطى اوامر مخصوصة بان لا يهدم الهيكل كان  
 ثم الرب قد اعلن ان الامر لا يكون كذلك . فأحرق وهدم

وحفرت العساكر اساساته طمعا في وجود خزائن مكنونة هناك  
 وبعد ان خربت المدينة امر تيطس ان تمهد ارضها كالمخمل  
 بحيث لا يكاد احد يشعر بانها كانت معمورة قط  
 وقد ذكرنا عدد الذين قتلوا في الحرب. واما الاسارى  
 فكانوا سبعة وتسعين الفا. وبوسيفوس اذ يقص هذه الوقائع  
 يستعمل كلاما يطابق كلام المسيح في نبوته. فيقول لو قابلنا  
 مصائب جميع الناس منذ خباثة العالم بما قاساه اليهود لوجدناه  
 اعظم من جميعها. واما كلام المسيح في ذلك فهو قوله وتكون ضيقة  
 عظيمة لم يكن مثلها منذ بدء العالم الى الان ولا يكون فيما بعد  
 وقد اقر بوسيفوس اليهودي وناسبتوس الروماني الوثني ان  
 هذه المصائب التي لانظير لها جاءت من نعمة الله على قوم  
 امتلأت كاس ذنوبهم. وتيطس ايضا بعد ان اجال نظره في  
 المدينة وعلو ابراجها واسوارها وعظم حجاريتها وقوة الرباط التي  
 ارتبطت بها هتف قائلا بموازرة الله قد ظفرتنا في هذه الغزوة وهو  
 سبحانه الذي اخرج اليهود من هذه الحصون لانه ماذا تستطيع  
 ايدي البشر او آلاتهم الحربية ان تصنع في مثل هذه الابراج  
 انتهى. ولم يرض ان يكمل بعد هذه الغلبة كما جرت عادة  
 الرومانيين قايلا انه لم يكن هو صاحب هذا العمل العظيم ولكن  
 غضب الله على اليهود هو الذي اعطاه الغلبة  
 واخيرا نقول انه قد تنبى عن عواقب هذه الواقعة الهائلة



بكل تدقيق وتم ذلك ايضاً كل تمام . ففترق ما بقي من اليهود  
على وجه الارض وهم لا يزالون على هذه الحال الى يومنا هذا .  
والمسيحيون اذ عملوا بمقتضى تحذير ربهم تخلصوا من كل شدايد  
المحصار . والامم داسوا القدس ولا يزالون يدوسونها الى  
هذا اليوم

نعم ان ادريانوس القيصر الروماني بني اورشليم ثانية ولكن  
ليس في مكانها الاول بعينه وسماها ايليا وبقي ذلك اسمها الى  
ايام قسطنطين . وبوليانوس القيصر الذي ولد في الديانة المسيحية  
ثم كفر بها فهذا بغضة له الديانة وابطالاً لقول النبوة ان الامم  
تدوس القدس قصد ان يرجع اليهود اليها ويبني هيكلهم .  
ففرض كثيراً من المال لهذا العمل واقام عليه احد امرائه وساعده  
على ذلك والي البلاد التي كانت القدس جزءاً منها . ولكن لم  
يمكن ان يتوصل اصحاب العمل الى الاساسات لانه خرج منها  
قطع نار مخيفة واحرقتهم ولهذا عدلوا عن مقصودهم . ولهذا الخبر  
يوجد من اليهود ما يلجئنا الى تصديقه . فقد شهد بذلك  
بوليانوس نفسه ومورخه اميانوس مرسلينوس الوثني وزيماخ داود  
اليهودي الذي يعترف بان العناية الالهية اعترضت بوليانوس  
في عمله والنازييتي ايضاً وفم الذهب من الروم وامبروسيوس  
وروفينوس من اللاتينيين . وجميعهم كانوا في زمان وقوع هذا  
الامر العجيب . وبعد خمسين سنة من ذلك كتبه المورخون

ثمود وريت وسقراط وسوزومين وفيلوستورجيوس وهم ممن بوثق  
 به. واما ما يتعلق من النبوة برجوع اليهود فباقٍ ليتم. وعند ما  
 يتم ذلك يتم البرهان من هذه النبوة ويلزم التصديق الكامل  
 وذلك يكون عند ما تم ازمته الامم. وقد اطال الكلام بولس  
 في رسالته الى الرومانيين على ظروف هذا الامر العظيم. فانه  
 يقول وان كانت عشرتهم غناة لاهل الدنيا ونقصانهم صار غناية  
 للامم فكم بالمحري ملوهم. فاني لست اريد ان يفوتكم يا اخوتي هذا  
 السر ان العي انما اتى اسرائيل لبعضهم الى ان يدخل مل الامم  
 وبهنا يخلص كل اسرائيل " ولا حاجة الى ذكر بشري الانجيل  
 الى جميع القبائل لاننا قد ذكرنا ذلك في مكانه

فبعد هذا النظر اليسير الجامع الى بعض نبوات غريبة  
 توجد في الكتاب المقدس لا يمكن ان يقنع احد ضميره بان جميع  
 هذه المطابقات قد حصلت على سبيل الصدفة. او ان جميع ذلك  
 قد اخترعته الفطنة البشرية. ومن لا يرى السراج المنير في مكان  
 مظلم من هذه النبوات التي جاءت من وحي روح القدس على  
 لسان الانبياء " فهو اعمى لا يبصر شيئا



## الفصل الثاني عشر

في انه لا يوجد ديانته حاصلة على ما حصلت عليه الديانة  
المسيحية من بينات المعجزات

اذ قد فرغنا من النظر الى الادلة الخارجية على صحة  
الديانة المسيحية راينا ان نبحث في انه هل لديانة اخرى قديمة  
كانت ام حديثة كما هذه الديانة من بينات . وهل يوجد  
لمعجزات اخرى كما يوجد للمعجزات المذكورة في الانجيل من  
الشهادات المنفعة على صحتها

ان ما يمؤه به الكافرون غالباً في هذا الموضوع قد يجعل  
الواقف على مذهبهم اذا كان جاهلاً بزعم ان جميع الاديان  
متشابهة في اصلها . وان جميعها تدعي بالمعجزات والوحي وانها  
لذلك تكون متساوية في الحق . ولكن عندما ناتي الى تدقيق  
النظرونسال اي ديانة موجودة او منسوخة تاتي بحقيقة دعواها  
من المعجزات المشهود لها بافضل الشهادات ومن تمام النبوة  
المدقق لانجد الا الديانة اليهودية والديانة المسيحية . لاننا من  
الديانات الوثنية العديدة لا نرى واحدة قد تاسست على معجزات  
ظاهرة او نبوات سابقة . نعم كان لها من الخرافات والاجوبة من

أهلها ما أضلَّ الجمهور المائلين الى التصديق . وأدعى مؤسسوها  
بأنه قد أنزل عليهم الوحي او بانهم قد ناجوا الالهة . ولكن هل  
يمكن ان يأتي احد من جميع ادیان الوثنيين بمعجزة يشهد لصحة  
وقوعها شهادة يوثق بها . وهل انى الوثنيين قط اعلان غير  
مشبه لايجأ عليه ان الهتهم كانوا يعلمون الغيب . ان الادعاء بوحى  
الهي هين بقدر عليه كل احد ولكن الصعوبة في اثباته

هذا وانه لا خلاف في انه قد ظهر في العالم كثير من المزورين  
واصحاب الخيالات المنخدعين . وان السبب في وجوب رفضهم  
وعدم تصديق دعاويهم انما هو عجزهم عن اظهار بيئته كافية على  
انهم قد أرسلوا من الله ليعلموا الديانة للناس . واذ قد اتفق  
الجميع في ذلك فما الفائدة من الاتيان بهذه التزويرات والخذاعات  
ونحن في فحص الادلة على الديانة المسيحية . هل يكون وجود  
دعاوي كثيرة كاذبة بوحى الهى سببا لرفض ديانته مثبتة باقوى  
الشهادات . هل تنكر صحة المعجزات المثبتة ببيئات كثيرة لانه قد  
أخبر عن عجائب ومعجزات غيرها لا بينته لها . ولان اجوبة الالهة  
الوثنية اعطت في امور عتيقة اقوالا غير قاطعة ملتبسة . الا نتق  
بنبوات كثيرة صادقة قد كتبت من زمان طويل وتمت على  
نوع ادق واغرب ما يكون

قد قيل ان اخبار جميع القبائل القديمة انما هي حكايات  
فارغة وهي مشحونة من قصص العجائب التي لا يمكن تصديقها .



ومن ذلك قد يُستنتج ان معجزات العهد القديم والجديد كذلك .  
 فنجيب ان اتفاق القبايل العمومي على وجود معجزات يوافق  
 المذهب انه قد حدثت في وقت ما معجزات حقيقية . ونقول  
 ايضاً ان لتاريخ موسى الذي هو اقدم من كل تواريخ اليونانيين  
 والرومانيين باكثر من الف سنة كل بينة على انه خبر عن  
 حوادث حقيقية . وفضلاً عن ذلك لم يكن العصر الذي وقعت  
 فيه المعجزات المذكورة في العهد الجديد عصر الظلام والخرافات  
 بل كان افضل الاعصر الوثنية نوراً وفيه وجد اشهر المؤرخين  
 والخطباء والشعراء . فلم يكن قط زمن يتعسر فيه تصديق  
 الجمهور بمعجزات غير مثبتة بالشهادات القاطعة اكثر من ذلك  
 العصر وما يليه . وكان ايضاً في ذلك الوقت ميل عمومي الى  
 الارتياب والكفر . ولهذا لا نتج من اعتقاد الاعصر القديمة  
 المظلمة باخبار معجزات غير مثبتة نتيجة غير موافقة للديانة المسيحية  
 بل لا بد من ان ظهور اخبار المعجزات الكاذبة كان بوقع الحذر  
 والفحص الدقيق في ادلة كل خبر مثلها . لان العقل السليم لا يرضى  
 باختلاط الحق والباطل بل يطلب ان تدخل كل قضية تحت  
 فحص دقيق فنقوم او تسقط بحسب قوة البينة وضعفها . فان لم  
 يكن للمعجزات المذكورة في الكتاب المقدس من البينات افضل  
 مما لخرافات الوثنيين فلا يجب تصديقها اكثر من هذه . ولكن اذا  
 كان لها بينات كافية فلا يجب ان تختلط باخبار يظهر كذبها من



نفسها او على الاقل ليس لها من الشهادة ما يحتمل التصديق  
 ولا سبيل الى الحكم في قضايا وقعت منذ زمان طويل الا  
 بالشهادة. ولا ريب ان حقيقة الديانة المسيحية هي امر واقع اذ  
 قد اتينا اثباتا لذلك بشهادات لا يمكن تكذيبها. والان نطلب من  
 اخصامنا ان يرونا ديانة اخرى مبنية على مثل هذا الاساس  
 الوطيد. لكنهم عوضا عن ذلك يريدون ان يلهونا بكلام فارغ  
 في شدة ميل الانسان الى التصديق وفي كثرة الاحاديث  
 الكاذبة التي ذاعت بين الناس وصدقوا بها. ولكن ماذا يتعلق  
 ذلك بالمسئلة. فاننا نسلم بقولهم هذا ومع ذلك نصرح بان لاشي  
 فيه من البرهان على تكذيب الامور التي كتبها اصحاب الاناجيل  
 المثبتة باقوى الشهادات. فهل لانه يوجد كثير من الكذب في  
 العالم ينقطع وجود الصدق. لو صح ذلك لصح انكار وجود  
 اهل الصدق لان اهل الكذب كثيرون

واما المعجزات الكاذبة التي يوتى بها كخضم المعجزات المسيح  
 ورسله فتقدمها حيلة قديمة اقل ما يكون من عهد الجيل الثاني  
 بعد ميلاد المسيح اذ كتب فيلوسترانوس بطلب جوليا اوكتا  
 امراة سوبروس الامبراطور تاريخا او بالحري حكاية عن  
 ابولونيوس. وكان هذا ابولونيوس من تيانا احدى مدن كبادوكيا  
 وكان معاصرا للمسيح بالتقريب. ولكن لا يعرف الان هل كان  
 فيلسوفا ام ساحرا لان حكاية فيلوسترانوس عنه التي لم تنزل



موجودة الى الان ليس فيها شيء من الاشارة الى شهود العين  
 ولا الى حجج ما صحبته بل بلوح عليها من الكذب كل ما بلوح  
 على غيرها من الحكايات الباطلة. نعم انه لم يذكر فيها ان كاتبها  
 قصد ان يضع ابولونيوس هذا خصماً ليسوع المسيح ولكن ذلك  
 صريح من مشابهة كثير من معجزاته للمعجزات المذكورة في  
 الانجيل التي بظن انه نقلها عنه. اذ قيل انه اقام الموتى واخرج  
 الشياطين وقام هو نفسه من الموت. وقيل ايضاً ان الكلمات  
 التي قالتها الشياطين للمسيح وذكرها لوقا في الانجيل وهي قولم  
 اثبت قبل الزمان لتعذبنا قالها شيطان اخرجته ابولونيوس.  
 وما عدا هذه المعجزات يدعي الذي كتب سيرته انه راي وحوشاً  
 رؤسها آدمية وجثثها اسدية ونساء نصفهن ابيض ونصفهن  
 الاخر اسود وغيلانا وعفاريت وجنا ومسوخاً وغير ذلك من  
 الاوهام الباطلة

ثم في الجبل الرابع عمل هيروكليس الذي كان شديد البغض  
 لديانة المسيح مقابلة بين يسوع وابولونيوس وبعد ملاحظة  
 معجزاتهما فضل ابولونيوس على يسوع. واما كتابه فمفقود لكن  
 اوسابيوس رد عليه ومن هذا الرد نطلع على ما اخبر به  
 هيروكليس. والحاصل من خبر ابولونيوس المذكور هو ان  
 معجزات المسيح كان يعتقد بها في الجبل الثاني اعتقاداً شديداً  
 وكان لها عضد من الشهادة بحيث لم يستطع اعداءه دبانته على

انكرها. ولذلك احنا لو اني اذاعة اخبار عما يساويها من معجزات  
صنعها غيره

وفي هذه الابام ايضا قد التجأ الكافرون الى هذه الحيلة نفسها  
واتخذوا معجزات غير صحيحة لا يصدقونها برهاناً على عدم صحة  
معجزات المسيح ورسوله. فلذلك راينا ان نضع هنا بعض مبادئ  
عمومية تمتاز بها المعجزات الصحيحة من الكاذبة

اولاً يجب امعان النظر في حقيقة الحوادث الواقعة هل هي  
من باب المعجزة. اذ قد تكون الشهادة كافية لاثبات وقوع  
الحادثة ومع ذلك تكون قد وقعت عن اسباب طبيعية فلا  
تكون معجزة

اما معجزات المسيح فكانت لا تحتمل الرب في كونها فائقة  
الطبيعة بخلاف ما علمه غيره. فان المشهود بصحة وقوه من  
عجايبهم كان اكثر مما له اسباب طبيعية كافية لوقوعه من دون  
توسط خصوصي من العناية الالهية فيه. فلاريب في ان الرجل  
الذي كان مصاباً بعينيه مثلاً وقيل انه شفي بمرور يد  
فسباسيانوس الامبراطور عليها كان ذلك من مكرهنة الهيكل  
الذي حدث فيه هذا الصنيع. وكذلك الاعرج الذي شفي بلمس  
رجل هذا الامبراطور. فانه لم يكن يدعي بان له قوة عمل  
المعجزات ولم يجرب ذلك الا بعد الطلب الكثير. نعم اننا ربما  
نسلم بصدق الوقائع حسبما اخبر بها تاسيتوس مع انه لم يعاينها



لانه يُحتمل انه قد أتى برجلين مثل المذكورين وانهما ادعيا بالشفاء .  
 ولكن ما البينة على ان ذلك كان معجزة حقيقيه اذ لم يكن احد  
 حاضرا ممن يريد الفحص عن صحتها لكونه لا يعتقد بذلك الدين .  
 ويحتمل ان الكهنة الذين طلبوا من الامبراطور عمل المعجزة كانوا  
 قد علموا وأعدوا للذين ظهرت فيها وان الامبراطور تعلق  
 بذلك اذ حسب انقصاب الهمم اياه لعمل المعجزة انه اكرام . وجميع  
 ما مديح به ناستوس لرفع شان شهادته لا محمل له هنا لانه اخبر  
 بما سمع من الاخرين فقط . والظاهر من كلامه انه لم يصدق ما سمع  
 وقد تبين من الفحص ان كثيرا من الاشفيه التي حصلت  
 في مقامات الموتى كان من باب الحيلة والشعبه . وان ما كان  
 منها صحيحا كان من انفعال تخيلة منهجه كما قد رأينا تأثيرها في  
 استعمال المغناطيس الحيواني والتضبان المعدنية . من ذلك  
 ما حدث عند قبر النفس باريز . فانه كان اكبر بني احد الشرفاء  
 في مدينة باريس ولاجل شدة ميله الى العبادة ترك ميراثه لاخيه  
 الاصغر ونزل في بعض اماكن المدينة الغير المانوسه واصرف  
 حيوته في التنفس الشديد والاهتمام باغاثة الفقراء . ثم مات  
 فدُفن في ارض كنيسة مار ميدارد بقرب السور حيث بنى اخوه  
 قبة على قبره . فحجاء كثير من الفقراء الذين كانوا يعرفون سيره  
 حيوته وصاروا يصلون هناك وربما كان ذلك منهم لاحسانه  
 اليهم . ثم ادعى بعض الذين كانوا يصلون هناك ان امراضهم

كانت تشفى بذلك. ولما شاع الخبر قام الجنسانيون الذين كان  
 النفس المذكور من مذهبهم يدعون بان معجزاتٍ ظهرت عند قبره  
 وبذلك سبق كثيرون من المرضى الى زيارة ذلك القبر. ولكن  
 لما تمادى الامر انتصب جماعة من اهل التحقيق للنظر في ذلك  
 فاقرّ لهم بعض الزائرين انهم قد كلفوا بان يدعوا امراضاً لم تكن  
 فيهم. وكان الواقع ان اكثرهم لم ينتفعوا شيئاً. وقد تجدد من  
 الامراض اكثر مما سُفي لان كثيراً من العابدين اخذهم نوع من  
 الرجفة ومن ذلك اشتهرت طابفة الرجنيين مدة سنين. ثم راوا  
 مناسباً ان يقطعوا الناس عن زيارة القبر. ولكن لم ينقطع الخبر  
 عن هذا القديس انه كان يشفي المرضى ولو كانوا بعيدين. فجدّ  
 اليسوعيون واجتهدوا في تكذيب الخبر باجمعه. واقام اسقف  
 باريس ديواناً للنظر في اغرب ما حدث من الاشفية فكانت  
 نتايجها متنوعة ومنها ما كان مضحكاً. وكان من هذه الاشفية ان  
 صبيةً قيل انها شفيت عند القبر من العمى والعرج ولكن عند  
 الفحص ظهر انها لم تكن البتة مصابةً بذلك. ومنها ان رجلاً قيل  
 انه كان سقيم العينين فصحّت عيناه بزيارة القبر واكن عند الفحص  
 وجد انه كان يستعمل علاجاً لعينيه ومع ذلك لم يبرأ من مرضه  
 بالكلية. ومنها ان قساً كانت احدى رجليه اقصر من الاخرى  
 فتوهم ان رجله القصيرة استطالت شيئاً ولكن عند التحقيق وجد  
 انها لم يحدث فيها شيء من الزيادة. ومنها ان امرأة كانت احدى



رجليها ايضاً قصيرة كانت ترقص على القبر كل يوم لكي تانيها  
 زيادة في الرجل القصيرة فتوهمت انها قد حصلت على ذلك  
 ولكن عند التحقيق ووجد انها لم تنزل كما كانت. وبالاختصار  
 نقول ان عدد الذين انتفعوا بزيارة ذلك القبر لم يبلغ عشرة  
 ائثار وجميعهم كان لانقاذهم اسباب طبيعية وبعضهم لم يبلغوا تمام  
 الشفاء

ثانياً للحكم بين صحيح المعجزات وفسادها مبدأ اخر وهو انه  
 يمكننا ان نلحق شهادة المعجزات الصحيحة الى نفس زمان وقوعها  
 واما اخبار المعجزات الكاذبة فتقوم بعد الزمان الذي وقعت  
 فيه بزعم من يخبر عنها. كما صار في قضية ابولونيوس وغيرها  
 كثيراً

ثالثاً ان المعجزات الصحيحة تُعرف بظهور خبرها والتصديق  
 بها اولاً في المكان الذي وقعت به وبين القوم الذين حدثت  
 بينهم. وصحة ذلك في المعجزات المذكورة في الكتاب المقدس  
 صريحة لانحتاج الى برهان بخلاف معجزات كثيرة تقع تحت  
 الريب لانه أُخبر بها اولاً وصدقها قوم في مكان بعيد عن المكان  
 الذي زعم المخبر انها وقعت فيه. ومن ذلك المعجزات التي  
 نسبت الى فرنسيس زافير مثلاً. فانه في جميع رسايله لما كان رسولاً  
 في المشرق لم يذكر شيئاً من صنيع المعجزات. واحد المصنفين  
 المشهورين الذي اخبر عن اعاب حيوته بعد موته باربعين سنة

لم يذكر انه كان يصنع المعجزات بل اقر انه لم تُصنع معجزات بين  
الهنود. وقيل ان هذه المعجزات صُنعت في اقاصي الهند وياپان  
ولكن انتشر خبرها اولاً في اوروبا. وكذلك اكثر المعجزات  
الكاذبة فان تاريخها بكتب بعد الزمان الذي قيل انها صُنعت  
فيه بمدة طويلة وكثيراً يشهر خبرها اولاً في بلاد بعيدة عن الامكنة  
التي بزعم انها وقعت فيها. فتكون في الحقيقة ناتجة من اختراع  
الخبثاء الماكرين

رابعاً انه في الحكم على صحة المعجزات يجب ان يُسأل عنها  
هل فُحصت في وقتها بالتدقيق ام تركت بغير فحص. لانه اذا  
كانت المعجزات المُخبر بها موافقة لاغراض الذين صُنعت امامهم  
او لاهواء ذوي السلطة الذين يستطيعون ان يمنعوا كل فحص  
ويوجهون الاخبار حينما يريدون ولذلك لم يحصل الفحص  
في صحتها فهي تحت ريب عظيم. واما ما حصل من الشفاء على قبر  
النس باريز فلم تكن هذه ظروفه. لان الجنسانيين الذين كان  
المذكور من مذهبهم لم يكونوا وقتئذ اصحاب السلطة فكان  
لاعتابهم فرصة للفحص النضابا بكل جهد. ولذلك لنا الان  
اخبار حفيظة عن هذه الوقايح. ولكن في الغالب كانت  
المعجزات التي يخبرون بها تُصنع حينما لم تكن فرصة للفحص عنها  
او اراد الحاضرون التمسك بتعاليمهم المحبوبة عندهم او حينما كان  
لذوي الشوكة غاية في ذلك



## الفصل الثالث عشر

في ان الكتاب المقدس يتضمن بيناتٍ داخلية تدل على  
انه من الله

ان كانت التعاليم الموجودة في الكتاب المقدس من الله  
فلا بد من وجود صورة صفاته الظاهرة فيها. وان كان الوصول  
الى كشف تلك الصورة ممكناً فلا ريب في انها تكون من اعظم  
البيئات واقنعمها على ان الكتاب كتابه. فهذه البيئة الداخلية هي  
السند الذي قد اعتمد عليه جمهور المسيحيين في كل عصرٍ من غير  
ان باخذوها على سبيل البرهان المنطقي. اذ لا يستطيعون ان  
يدركوا قوة البيئات الخارجية لان ذلك يحتاج من العلم الى  
ما ليس اكثر الناس حاصلين عليه. واما البيئات الداخلية ففي  
امكانهم اذ تؤثر في عقولهم كما قرأوا او سمعوا شيئاً من كتاب الله.  
فلا يكون اعتقاد المسيحيين الاعمى اذ اراسخاً على التسليم الاعمى  
الى ما تعلموه في سن الحداثة بل هو راسخٌ على احسن البيئات  
وافضلها. وان قلنا على ابي البيئات بتوقف الايمان الذي ينسب  
اليه تطهير القلب وخلص النفس فيكون الجواب ان ذلك  
يتوقف على البيئات الداخلية لا كما يتصور مجرد العقل بل كما

يدركه الايمان بتنوير الروح القدس . ولاجل ذلك نحسب  
 هذا النوع من البيئات انفع ما يكون من هذا القبيل للمسيحيين  
 الحقيقتيين . ولو رضي الكافرون ايضاً بان يلتفتوا اليه طالبي  
 الحق من غير انحرافٍ لربما كانوا يشعرون بتاثيره ويقنعون  
 بصدق الديانة المسيحية . واما الوقوف جيداً على بينات كتاب  
 الله الداخلي فلا يتيسر الا بمطالعة الكتاب المقدس عن  
 رغبة وقادة . وهي لا تنتظم على صورة برهانٍ منطقي بل تقوم  
 بصلاح الحق وجماله الادبي ومطابقته للعقل البشري وقوته  
 العجيبة في دخوله الى القلب وفحصه وتأثيره في الضمير . وكذلك  
 توجد في تعاليم كتاب الله واوامره طهارة فائقة وروح عبادة  
 ساوي وقوة مقدسة ونعزية للقلب الحزين لا يمكن الا ان يشعر  
 بها كل من يقرأه بالوقار . فجميع هذه الاوصاف قد بتصورها  
 العقل ويشعر بتاثيرها مع انه لا يمكن جمعها وتقديمها على صورة  
 البرهان بكل قوتها . ولكن هذه بينات وان كانت لا تظهر بكل  
 قوتها الا للذين يطالعون كتاب الله ويتاملون في حقايقه نهائراً  
 وليلاً يمكن ان نختار منها بعض قضايا اصلية ونقدمها للقاري  
 على طريقته منبهة . وذلك هو المقصود مما نذكره بالاختصار من  
 الكلام الذي كان يمكننا ان نطيله بكل سهولة

وبما ان العهد القديم والعهد الجديد مرتبطان ببعضهما كل  
 الارتباط وهما اجزاء كتاب واحد لا حاجة الى تمييز بينهما في ما



باني من الكلام على هذا القسم من البيئات على الوحي الالهي  
فنقول اولاً ان الكتب المقدسة تعتبر عن الله وصفاته بطريقه  
توافق ما كان ينتظره العقل السليم في الوحي من الله . فيوصف  
الله فيها دائماً بالوحدة والكمالات الغير المحدودة مثل الازلية  
والقدرة على كل شي والعلم بكل شي والحضور في كل مكان وعدم  
التغير الى غير ذلك . وهذه المعرفة بالله كان يعتقد بها الذين  
وجد عندهم كتاب الله مع ان جميع القبائل الاخرى كانت  
متورطة في الاعنقاد بالآله كثيرة والعبادة الوثنية الدنسة . نعم ان  
بعض القبائل كانت اشد من الاسرائيليين باساً واكثر منهم علماً  
بالامور الدنيوية ولكنهم في معرفة الله كانوا في ظلام حالك  
اذ كان بنو اسرائيل يتمتعون بنور الحق . وقد قام فلاسفة  
محققون في ممالك مختلفة واشتهروا بين الناس لاجل مذاهبتهم  
ولكنهم لم يستطعوا ان يصلحوا اعنقاد الجمهور بل كانوا هم انفسهم  
لا يزالون تايهين في الظلام

ان من عادة الكافرين ان يهزأوا بكتاب الله ولكن لولا  
ذلك الكتاب لما وجد على وجه الارض اعنقاد صحيح بالله . ولا  
يوجد الان انسان يعتقد بالو غير محدود في كماله الا وتتصل  
معرفة هذه الحقيقة الى كتاب الله بواسطة الوسائط . فا  
السبب في ان المعرفة الصحيحة بالله قد وجدت مقترنة بالكتاب  
المقدس في كل عصر وهي مفقودة في غير الا ان هذا كتاب

من الله. لانه لو كانت معرفة الاله الحقيقي التي يتضمنها هذا الكتاب تستفاد من اكتشاف العقل فلماذا لم تصل القبايل التي فاقت اليهود في العلم والتهديب الى معرفة هذه الحقيقة الضرورية

نعم ان الكتب المقدسة في اماكن تعبر عن الله كمن له اعضاء جسدية وطباع بشرية. ولكن بعد نظر قليل يرى القاري النبيه ان جميع هذه العبارات قد استعملت تشبيهاً بما اصطلح عليه الناس من الكلام. وذلك لان كلام الناس غير كافٍ للتعبير عن صفات الله الذي يفوق ادراكنا بما لا يُحد في ذاته وفي كيفية وجوده وعمله فلا نقدر ان نصل الى تصورات صحيحة في ذلك الا على سبيل التفریب. وعند ما نتكلم عنه نحتاج ان نتصور صفاته الكاملة شبيهة بما في العقل البشري وان نستعمل كلاماً يعبر به عن الاعمال والحاسيات البشرية لان غير ذلك لا يكون مفهوماً. ثم ان الاحتياج الى هذا التشبيه اشد ما يظن كثير من الناس فلا يحتاج اليها من جهة الكلام الذي اذا اخذ حرفياً يتضمن تصور اعضاء جسدية وطباع بشرية فقط بل ايضاً من جهة الكلام الذي يعبر به عن اعمال الارادة والعقل. ولذلك يكون اسلوب الكلام هنا برهانياً على حكمة الله الذي خاطب الانسان بالطريقة الوحيدة التي يستطيع ان يفهمها لا اعتراضاً على كتاب الله



ثم ان كل ناظر الى كتاب الله يرى ان الحقائق الموجودة فيه لم توضع مرتبة على طريقة عليية . فلا نجد فيه شيئا من المباحث العويصة في المبادي الفلسفية ولا من التفنن باساليب الكلام المنطقية ولا من الانتظام على هيئة صناعية . وقد يكون في كل ذلك حكمة عظيمة . ولكن ان راينا السبب فيه او لم نره فالاعتراض على الوحي من هذا القبيل ليس باعظم مما لو اعترض على العالم الطبيعي من حيث عدم وجود الاخشاب والحجارة مبنية بيوتا معدة للسكنى او من حيث عدم وضع اشجار الحنظل والغابات على هيئة بستان مرتب

والكلام فيه عن الله انما هو على طريقة بسيطة مع سمو بالغ . فانه ربما تكون الالفاظ في ذلك قليلة واكثرها تكون ذات معان عظيمة . فلما اراد موسى ان يعرف اسما لايقا بذكره لفرعون امره الله ان يقول اكون الذي اكون ارسلني اليك . ولما اعلن لموسى اسم العلي مرة اخرى كان ذلك بهذه الكلمات الشهيرة الرب الرب اله رحيم جواد طويل الروح كبير الصلاح والحق يحفظ الرحمة لالوف ويغفر الائم والمعصية والخطية ولا يزكي المذنب . فان كانت البساطة التامة المقرونة بالبلاغة الكلية برهاننا على ان الذين كتبوا هذه الكتب كانوا ملهمين من الله يمكننا ان ناتي بكثير من الايات على هذه الصفة . ولكننا لا نريد ان ننسب الى البرهان من هذه الجهة قوة اكثر مما يستحق

واما فخر كتاب الله فهو في ما وجد فيه من اظهار صفات  
الله الادبية. فان هذه لا تظهر من اعمال الخليفة الا قليلاً ولكن  
في الكتب المقدسة نورها ساطع كالشمس. ولا يسعنا الكلام  
في هذا المختصر ان نتوسع في هذه القضية فنقتصر على ذكر ما فيها  
من قداسة الله وجودته

وهاتان الصفتان ظاهرتان في صحايف كتاب الله وهما اعظم  
ما يمتاز به عن غيره. ولا فرق بين ان نعتبر كل واحدة قائمة  
بنفسها وبين ان نعتبرها صفة واحدة تظهر على كيفيتين. فمن  
يقدر ان ينظر في هذا الكتاب الطاهر ولا يرى ان الاله المذكور  
فيه اله قدوس. لان كل شرايعه ورسومه واعماله مقدسة حتى  
ان فرائضه الطفسية ايضاً كانت موصوفة بذلك. فكل ما  
اشتغل بعبادته في تلك الطقوس من انسان او بناء او آفة فلا  
بد من افرازه لتلك الغاية. وكل من تقدم الى الله فعليه ان  
يتقدم بالحذر والمهابة لانه سبحانه قدوس. بل قد تقدست كل  
ارض داسها لما اظهر نفسه. وطلبت من عباده كل اشارة  
خارجية الى المهابة الكلية في وقت العبادة. وعند ما اظهر نفسه  
على اجلى منوال كان اصح الناس ينجلون ويصيرون كالاموات  
من اشعارهم بفساد طبيعتهم. والظاهر ان الجنود السمويين  
المخالين من كل دنس الخطية يندهلون ايضاً من قداسة الله.  
فلا يصرخ بعضهم لبعض فقط حينئذ يسجدون حول عرشه العلي



ويقولون قدوس قدوس قدوس بل يخرون سجوداً امامه  
ويسترون وجوههم من فرط المهابة. وجميع عبارات الكتاب  
التي ذكر فيها غضب الله ورجزه وسخطه وغيرته انما هي دلائل  
واضحة على قداسة الغير المتناهية. وجميع احكامه وهدداته  
الصارمة والعقاب الذي يعاقب به خلقه في هذا العالم وفي  
الآخرة وعلى الخصوص آلام المسيح الشديدة العظيمة انما تدل على  
قداسة الله

فوجود جميع ذلك في الكتاب المقدس يدل قطعاً على  
انه كتاب الله. لانه ان كان يوجد اله فلا بد من كونه قدوساً  
وان اعلن الاله نفسه فلا بد ان تكون قداسة ظاهرة في ذلك  
الاعلان. ولكنه ليس من شجرة المنورين الاشرار ان يهتموا باشهار  
مثل هذه الصفة بل باخفائها عن الناس بالكلية. ولا شيء اوضح  
لمن يتامل الطبيعة البشرية بانتباه من ان الناس طبعاً لا يحبون  
القداسة مع انهم يلتزمون ان يعترفوا بفضلها. وربما كان هذا هو  
السبب في ان اهل العالم يهملون الكتب المقدسة او بالحري  
يحبونها مع انها في لغاتها التي انزلت فيها تتضمن من الكلام  
افضل واسى ما يشعر به الذوق السليم. حتى لو وجد جزء من  
كتاب اخر قديم كُتب في زمان الكتب المقدسة لكان يطلبه  
بالرغبة الشديدة كل من كان من اهل الادب ولا سيما اذا كان  
فيه شيء مثل ما في هذا من صناعة الانشاء. وقد كنت اجهد

السبب في ذلك حتى اقتنعت الان بانه ليس الا قداسة الله  
العظيمة الموجودة في الكتاب المقدس والظاهرة في كل صحيفة  
منه. فانها تضرب في ضمير الانسان الغير الطاهر كما يضرب  
شعاع شمس الظهيرة في الاعين السقيمة. وعلى ذلك قوله تعالى ان  
الله نار آكلة. فيكون اهل الكتاب المقدس من اهل الدنيا  
برهاناً قاطعاً على انه من الله. لان المسئلة التي نحن في صددها  
هي ان الذين كتبوا هذا الكتاب هل كانوا ابراراً موحى اليهم من  
الله ام اشراراً مزورين. والذي ذكرناه من امارات القداسة  
الموجودة فيه يوافق كونهم اصحاب وحي وبناني كونهم اصحاب  
تزوير بل يوجب الاقرار بان المزورين لا يمكن ان يكتبوا كتاباً  
نكون القداسة اخصاً ما يمتاز به كما قد وجدناها في الكتاب  
المقدس

كذلك تذكر الكتب المقدسة جودة الله على اوجه كثيرة.  
منها ما يبديه الى خلقه من عنايته بحفظ جمع غفير هكنا من  
المحيوانات واشباعهم كل يوم طعاماً وعلى الخصوص الى الجنس  
البشري. والذي ورد في الكتب المقدسة من التسبج لله على  
جودة عنايته العظيمة كما في المزمور ٢٢ و ١٠٣ و ١٤٤ و ١٤٦ و ١٤٧ هو  
من اجمل واسمى ما يوجد من انواع الانشاء

وللجودة الالهية المذكورة في الكتب المقدسة وجه اخر  
يُعرف بالرحمة. وهي محبته للذين لا يستحقون شيئاً من الخير



واعطاءه المغفرة والخلاص للذين حكمت عليهم شريعته العادلة  
 بالموت. وذلك على طريقه لم يكن سبحانه بها اقل غضباً على  
 خطاياهم مما كان لو عاقبهم الى الابد. فهذا نوع من الجوده الالهيه  
 مختص بالكتاب المقدس ولم يكن العقل وحده يستطيع ان  
 يتصور شيئاً منه. بل هو صفة من الصفات الالهيه لم تُعرف الا  
 بالوحي. فباحق يقال ان اخص اغراض الكتاب هو اعلان  
 رحمة الله. ومعرفتنا بهذه الجوده الالهيه تكون قاصده جدّاً الى  
 ان نفق على طريقه ظهورها. وذلك لا يوجد كلاماً يُعبر به عنه  
 احسن من قول المسيح هكنا احب الله العالم حتى بذل ابنه  
 الوحيد لكيلا يهلك كل من يؤمن به بل ينال الحيوة الابدية  
 واما هذه المحبة فربما تكون غرابتها لكثيرين سبباً لاعتراض  
 على صحة الكتاب لا برهاناً على صحته. ولو كانت غرابه الامور  
 وعجائبها برهاناً على عدم وجودها لسلمنا بان هذا الوهم له  
 اصل. ولكن ما هو الامر الذي ليس مملواً من العجائب اذا  
 تأملناه بانبياء. فان وجود مخلوق مثل الانسان او جرم مثل  
 الشمس امرٌ عجيبٌ ولكن هل ننكر وجودها لذلك. وما الذي  
 في صفات الله واعماله لا يملأ العقل اندهاشاً وعجباً. فان ازليته  
 وعلمه بكل شيء وحضوره في كل مكان وقدرته الخالقه وعنايته  
 الشاملة كل ذلك عجيبٌ بحيث لا ندرى اي شيء منه هو  
 الاعجب ولا نعرف هل يمكن وجود شيء اعجب من هذه البدايع.

ولكن هل يكون ذلك برهاناً على عدم وجودها . وإذا كان الله  
عجيباً بهذا المقدار في سائر صفاته فهل ننتظر ان لا نجد شيئاً من  
ذلك في جودته وهي اعظم الجميع . نعم لا يوجد شيء من هذه  
الجودة بين الناس ولكن هل نجعل ظل الكمال الضعيف  
المحدود الذي فينا مقياساً فنحكم به على صفات الله الغير المحدودة .  
والاعتراض المبني على كون الانسان حقيراً بحيث لا يستحق  
هذه المحبة العظيمة هو ايضاً باطل . لانه مهما ارتقت قوى المخلوق  
لا يزال حقيراً بالنسبة الى الله الغير المتناهية صفاته لان جميع  
المخلوقات امامه على حدٍ سوى . ومن هذه الجهة كأنه يتلشى جميع  
ما يمتاز به بعضها من بعض . فعلى مبادي هذا الاعتراض ما سهل  
قيام البرهان على عدم صحة عناية الله . لانه لا يخفى انه يوجد الوف  
الوف من حيوانات حقيرة لا تراها العين بدون واسطة وهي  
كاملة التركيب ولا تنفى في الوجود الا اياماً بل ساعات قليلة .  
فقد يقول عنها المعترض انها لصغرهما لا تستحق العناية من  
المخالق الغير المتناهي وان اظهر مثل هذه الحذاقة في تركيب  
حيوانٍ عمره يومٌ واحد لا يوافق حكمة الله . فمهما كان ظاهر هذه  
الاعتراضات حسناً لا تخرج عن كونها مبنية على تعرضٍ لما  
لا يعيننا ولا تقدر ان نحكم عليه بالصواب . فان الانسان لانه نهاية  
لدرجات ما دونه من انواع الحيوانات كما لانه نهاية لما فوقه من  
درجات المخلوقات . وذلك على ان درجات المخلوقات ليست



غير متناهية على الاطلاق بل اننا لا نستطيع ان نجد حداً  
 لوجود حيوانات نتصاغر عن بعضها على الاستمرار كما اننا  
 لا نعرف حداً لوجود مخلوقات تتزايد على بعضها في المقدار. فانه  
 من حيث ان نقطة من السابلات تتضمن ما لا يحصى من  
 الحيوانات النامة التركيب من يقدر ان يقول ان كل جزء من  
 دم هذه الحيوانات التي لا تدركها ابصارنا بدون نظارة لا يتضمن  
 ما لا يحصى من حيوانات ادق واصغر منها الى ما لا نعرف حداً له  
 والحاصل انه ما لم يبين انه يستحيل وجود مثل الهبة التي  
 اظهرها الله في الانجيل او ان مثل هذه الهبة مغايرة لصفات الله  
 الاديبة لا يصح ان نؤخذ غرابتها برهاناً على عدم وجودها بل  
 الذي يقتضيه العقل ان الامر كما كان اعجب كان الاولى به ان  
 يكون من الله ويستبعد ان يكون من استنباط الانسان ما لم  
 يصحبه شيء من الضعف البشري

وقد خطر لي هنا نظراً بزيدنا معرفة في هذا الموضوع وهو  
 ان العجب طبيعي في عقولنا. فلا يسر الانسان شيء من  
 الاحساسات النفيسة اكثر من التأمل في الامور السامية المتسعة  
 بحيث تكون غير مدركة اصلاً. وهذا هو اساس تلك العبادة  
 الدائمة التي تشغل اهل السماء. فان الها غير مدرك لا بد ان  
 يكون موضوع التأمل والعجب لكل مخلوق  
 ثانياً ان الخبر الموجود في الكتاب المقدس عن اصل

الانسان وصفاته يوافق العقل والاختبار كل الموافقة . بل  
الكتاب المقدس هو وحده مصدر معرفتنا باحوال الانسان  
لما خرج اولاً من يد خالقه . ومنه نتعلم اصل امور كثيرة لم يكن  
ممكناً ان نكشف السبب فيها الاً منه . فبعلمنا كتاب الله مثلاً ان  
الشر الذي وجد في كل زمان وبين كل قوم كان من سقوط  
الانسان الاول . وبخبرنا عن السبب في لباس الجسد اثواباً وهي  
عادة كل القبائل مع ان بعضها لا تحتاج الى ذلك لحفظ الجسد  
من اضرار البرد . ومنه نعلم السبب في اخراج الارض شوكة  
وحسكاً من طبعها مع انه لا بد من حرثها لانتاج الحبوب والاثمار  
النافعة . ومنه نتعلم اصل الزواج واللعنة التي حلت على جنس  
النساء في كل زمان . وقد اخبرنا موسى ايضاً عن اصل ذلك  
النوع من العبادة الذي مارسه قديماً كل القبائل والذي لا يفيدنا  
العقل شيئاً عن سببه وهو ذبح الحيوانات على المذابح وتقديم  
الحب والخور الى غير ذلك . وقد اخبرنا ايضاً عن الطوفان  
العام الذي لنا عليه شواهد كثيرة نعاينها في كل ارض وجبل  
ونسبح عنه كثيراً من التقاليد القديمة

وقد ذكر ايضاً في الكتاب المقدس تشتت الجنس البشري  
على وجه الارض واصل كثير من القبائل القديمة . ومع ان اكثر  
هذا الخبر موجود في فصلي واحد صغير قال احد الفضلاء انه  
لو لم يكن لنا بيّنة على صحة كتب موسى الخمسة الاً الاصحاح العاشر



من سفر التكوين الذي ذكر فيه هذا الخبر لكان بحسبه بينة كافية  
 ويوجد ايضاً فيه خبرٌ عن اصل اختلاف اللغات ولا  
 يوجد ذلك في غيره . بل ان اصل اللغة الاولى الذي كان سبباً  
 لمناظرات كثيرة بين الفلاسفة هو ايضاً ظاهرٌ جلياً من كتب  
 موسى . وقد ذهب كثيرٌ من المحققين الى ان الكتابة باحرف  
 الهجاء استفيدت من العشر وصايا التي كتبها الله باصبعه على  
 اللوحين الحجرين . وعلى ما ارى ان البرهان بواسطة حجج صحيحة  
 على ان صناعة الكتابة باحرف الهجاء كانت موجودة قبل ذلك  
 امرٌ صعبٌ جداً . وعلى كل حال يلزم الاقرار بان اقدم ما يوجد  
 من هذا النوع من الكتابة باقياً الى الان هو الموجود في الكتاب  
 المقدس

وفيه ايضاً اخبارٌ عن القبائل والشعوب الذين ذكرهم اقدم  
 المؤرخين الغير الملمين من روح الله بزمانٍ طويل قبل ابتداء  
 تواريخهم . وحين تصل اخبار الكتاب المقدس الى الزمان الذي  
 يخبر فيه مورخون اخرون عن احوال القبائل تشهد اخبارهم  
 لصحة اخباره . وتعييننا ايضاً اخبار الكتاب المقدس على فهم امور  
 كثيرة كتبها هؤلاء المؤرخون بالاختصار

واما الخبر الموجود في الكتاب المقدس عن حالة الانسان  
 الادبية فهو اكثر موافقة لما نحن في صدده . فبعلتنا ان الجنس  
 البشري في كل الازمنة والاحوال فاسدٌ رديٌ في الغاية .

وَيُصْرَحُ بِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ خَاطِيٌّ وَإِنْ أَصَلَ هَذَا النَّسَادُ فِي الْقَلْبِ .  
 وَبَعْدُ كَثِيرًا مِنْ الذُّنُوبِ الْفَاحِشَةِ الَّتِي يَمِيلُ إِلَيْهَا الْجَمِيعُ وَيُرْتَكِبُهَا  
 كَثِيرُونَ . وَحَيْثُ تُجْتَنَّبُ هَذِهِ الرِّذَالُ أَوْ تُخْفَى يَصِفُ قَلْبَ  
 الْإِنْسَانِ بِالْمَكْرِ وَالْحَبِثِ الْجَسِيمِ . وَيُنَادِي بِأَنَّ الْكِبْرِيَاءَ وَالرِّيَاءَ  
 اللَّذِينَ يَطْرَحَانِ بَرَقَعًا غَاشًّا عَلَى سَجَايَا الْإِنْسَانِ الْحَقِيقِيَّةِ هُمَا مِنْ  
 أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ اللَّهِ . فَالْإِنْسَانُ لَوْ كَانَ هَذَا الْوَصْفُ يَنَاقِضُ  
 سِبْقَةَ الْإِنْسَانِ بِالْتِمَامِ أَوْ كَانَتْ صِفَاتُهُ مُخْتَلِفَةً جَدًّا عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ  
 الْكِتَابُ أَوْ كَانَ فِي هَذَا الْوَصْفِ مَبَالِغَةٌ لَكَانَ هَذَا الْإِخْتِلَافُ  
 بَرَهَانًا عَظِيمًا عَلَى عَدَمِ الْفَاءِ الْوَحْيِيِّ إِلَى الَّذِينَ كَتَبُوا الْأَسْفَارَ  
 الْمَوْجُودَةَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ . وَلَكِنْ إِذَا كَانَتْ صِفَاتُ الْإِنْسَانِ  
 الْمَذْكُورَةِ فِي الْكِتَابِ طَبَقَ مَا نَعْبُدُهُ بِالْإِخْتِبَارِ وَالْمُلَاحَظَةِ الْعَامَّةِ  
 يَكُونُ ذَلِكَ بَرَهَانًا قَاطِعًا عَلَى أَنَّ الصِّدْقَ الْكَامِلَ كَانَ هُوَ الَّذِي  
 لَاحَظَهُ الَّذِينَ كَتَبُوا الْكِتَابَ

أَنَّهُ بِحَسَبِ ارْتَادَةِ الْإِخْتِصَارِ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَطْبِئِلَ الْكَلَامَ فِي هَذَا  
 الْمَوْضُوعِ فَتَرْفَعُ دَعْوَى صِحَّةِ مَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ  
 إِلَى إِخْبَارِ التَّوَارِيخِ الصَّحِيحَةِ وَإِلَى مِلَاحَظَةِ كُلِّ إِنْسَانٍ وَبَصِيرَتِهِ  
 فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا . وَنَقُولُ أَنَّ كَلَامَ بُولَسِ الرَّسُولِ فِي رِذَالِ  
 الْوَسْطِيِّينَ مُثَبَّتَةٌ مِنْ أَقْوَالِ الْمُرُخِّينَ الَّذِينَ وَجِدُوا فِي ذَلِكَ  
 الزَّمَانِ . وَمَنْ هُوَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ أَنَّ كُلَّ مَا وُضِعَ مِنْ أَحْكَامِ  
 السِّيَاسَةِ وَكُلِّ مَا جُعِلَ لَهَا مِنَ الرِّسُومِ الَّتِي يَلْزَمُ لِقِيَامِهَا نَفَقَاتُ



جزيلة انما وضع لكي يكون مانعاً للتعدي والظلم والفواحش التي  
 تقع من الانسان . بل ان الحكومة السياسية نفسها لم تقم الا لدفع  
 شر الانسان . نعم ان هذه النتيجة محزنة والكبرياء ربما تصدنا عن  
 التسليم بها ولكن اذا جردنا انفسنا عن التعصب فلا بد ان  
 نعرف انها صحيحة فيكون الكتاب قد وصف الطبيعة البشرية  
 كما هي بالحقينة

ولكلمة الله تاثير عظيم في ضمائر الناس ربما يجهله الذين لم  
 يقرأوا او سمعوها . لكن عند الذين وقفوا عليها جيداً او تعودوا  
 ان يسمعوا الانذار بها ظاهراً ان لهذا الكتاب اكثر من غيره قوة  
 على الدخول الى النفس والبلوغ الى اعماق الضمير واشعاع  
 الانسان بشروق قلبه ونقايس حيوته . نعم ان بعض الناس  
 ينسب ذلك الى فعل التعليم في سن الحداثة . ولكن لو اخبرنا  
 الامر جيداً لوجدنا ان الذين تربوا من غير ان يكون لهم شيء من  
 ذلك التعليم يشعرون عندما يكبرون بتاثير في ضميرهم . ولهذا  
 تكون قراءة الكتاب المقدس بالوقار انفع علاج للكفر . وعلى  
 ذلك قول النبي دخول كلمتك بعطي نوراً وكذلك قوله شريعة  
 الرب كاملة تهدي النفس

ثالثاً يجب النظر الخصوصي الى كون الكتاب المقدس  
 يتضمن اخباراً صريحة عن النضايا التي الانسان في اشد  
 الاحتياج الى معرفتها . وهي تنقسم الى ثلاثة اركان . اولها المجازاة

في الآخرة على أعمالنا في الدنيا. والثاني التأكيد بان الخطية مغفرة وتعيين طريقة مناسبة لمخجها. والثالث الوسائط لترجيع طبيعة الانسان الفاسدة الى حال الصلاح. نعم انه لا يمكننا ان نعيّن ما يجب ان يتضمنه الوحي من التعليم كما تقدم الكلام. ولكنه يوافق العقل انه اذا انزل الله وحياً يوجد فيه شيء من التعليم عن هذه القضايا الجوهرية. وعند ما نبحث عما يعلم به الكتاب المقدس من هذه القضايا نجد ان ذلك يليق بصفات الله ويناسب احتياجات الانسان بحيث يكون برهاناً عظيماً على حقيقة انزاله من الله

فمن اظهر ما يعلم به العهد الجديد تحقيق وجود الانسان بعد الموت. فانه يبين بكل صراحة ما بين حالتنا الحاضرة وحالتنا المستقبلية من التعلق ويذكر كثيراً من الحقائق النافعة الضرورية المتعلقة بالآخرة على احسن ما يكون من الطرق للتأثير في العقل. فقد أعلن فيه ان ستكون دينونة نعم جميع الناس وان الله قد جعل يوماً لهذا العمل العظيم. وقيل ايضاً في العهد الجديد ليس فقط ان كل انسان يدان بل ان كل عمل من اعمال كل انسان خيراً كان او شراً يدخل تحت الحساب ويوجب تحقيق هذا الحكم الصارم بتعيين نصيب كل انسان الى الابد. فيؤخذ البعض الى الحيوة الابدية في النعيم ويُطرح الآخرون الى الشقاء الابدي في المكان المعد لابليلس وجنوده



وقد أُعْلِنَ في العهد الجديد أيضاً أمرٌ آخر عظيم وهو قيامةُ  
 عامة لأجساد جميع الناس قبل الدينونة الأخيرة. وذلك مما  
 لا يستطيع العقل أن يكشفه أصلاً لكنه من نفس الأمر ضرورة  
 لا يأتي الإنسان إلا من الوحي. نعم يمكننا أن نكشف مشابهةً ضعيفةً  
 للقيامة في ما يشبه الموت في النباتات وبعض الحيوانات  
 ورجوعها بعد ذلك إلى الحياة. لكن لا ينبع من ذلك أن أجساد  
 الناس بعد ما تترج بتراب الأرض تتركب ثانية وتجيها تلك  
 الأنفس التي كانت متعلقة بها قبل موتها. وهذا التعليم مفيدٌ جداً  
 ومن الضرورة أن يكون مسرّاً ومبججاً لكل إنسانٍ نقي كما نتعلم  
 من الكلام الحسن الذي وصف به القيامة بولس الرسول بقوله  
 كذلك قيامة الموتى أيضاً بزراعون بالفساد ويقومون بغير فساد  
 بزراعون بالهوان ويقومون بالمجد بزراعون بالضعف ويقومون  
 بالقوة بزراع جسد حيواني ويقوم جسد روحاني فإنه ينبغي لهذا  
 الفاسد أن يلبس ما لا يفسد ولهذا المائت أن يلبس عدم الموت  
 وأنه لا أمرٌ يستحق الاعتبار أن الكتب المقدسة وإن كانت  
 نصف نعيم السماء وشفاء جهنم بأبلغ ما يكون من الاستعارات  
 لا نستوفي وصف ذلك بالتفصيل. وفي هذا السكوت حكمةٌ  
 عظيمة لأنه أمرٌ لا يمكننا أن نتصوره جلياً ونحن في حالتنا الحاضرة  
 وأما طريقة الحصول على مغفرة الخطية المعلنه في كتاب الله  
 فغريبةٌ جداً ومع ذلك تصح مغفرة الخطية بها ويكون الله عادلاً

قد وسأ بحيث تخرج من دابة اكتشاف البشر. فان رسالة  
 شخص من السماء يقال له ابن الله واتخاذ الطبيعة البشرية على  
 نوع عجيب وسيرته الطاهرة الملوثة من عمل الخبير وموته باختياره  
 كفارة عن خطايا الناس انما هي حوادث عجيبة ومن هذه العجيبة  
 ذاتها لا يحتمل ان تكون من استنباط اهل المكر. فان موت  
 المسيح هو مركز الديانة المسيحية وهذا الموت لم يكن امراً عارضاً  
 او واقعاً بحسب طور الطبيعة الاعتيادي بل يشار اليه في جميع  
 الكتاب كالغرض المقصود في مجيء المسيح الى هذا العالم. وهذا  
 هو الوسيلة بحسب قول الانجيل لتحصيل جميع البركات من  
 اجل الخطاة. فانه ذبيحة مقدمة لله عن الناس بها يكون الله  
 عادلاً ويبرر كل الذين يؤمنون بيسوع المسيح. فمن عرف المسيح  
 مصلوباً فقد عرف الانجيل اجمع ومن انذر بالمسيح فقد انذر  
 بالانجيل كله لان جميع تعاليمه داخله في هذا الامر العظيم. فان  
 طريق الخلاص المعلنه في الكتاب مبنية على هذا المبدأ وهو ان  
 المسيح اليه يقبل كفارة عما اساء به المذنب من اخر يستطيع ان  
 يؤدبه للشريعة ما نطلبه من المذنب. وقد تمت هذه الكفارة  
 بواسطة طاعة المسيح حتى الموت التي يقبلها ديان الجميع عوضاً  
 عن طاعة نامة من الخاطي في جميع من تخصصت بهم. وهذه  
 الطريقة للحصول على الغفران تليق بشان الله لانه حين يسامح  
 الخاطي يظهر غضبه على الخطية بنوع اشد ما يكون ولا يزال



يطلب اجراء شريعته الطاهرة على التمام. وهي مناسبة لحال  
الانسان لانها تتنازل الى ضعفه وشقاوته وتقدم له خلاصاً تاماً  
مجانياً من غير اعمال او استحقاق منه. ولكيلا يتعاسر الانسان على  
ارتكاب الخطية مدعيًا بان خلاصه بواسطة النعمة المجانية قد  
شرط على كل من يرجو فوايد هذا الفداء ان يقدم موافقة  
صادقة للانجيل وبذلك يظهرون توبتهم عن خطاياهم ومحبتهم  
للخلاص. نعم ان الخطاة قد يحرفون هذا التعليم ويحولون نعمة  
الله الى السببات ولكن ذلك ليس له سند في الانجيل بل هو  
نتاج من اعوجاج ضمائر الخطاة

والامر الثالث من الجوهريات المذكورة آنفاً التي يحتاج  
الانسان الى معرفتها هو الوسائط التي بها ترجع الطبيعة الفاسدة  
الى الصلاح. والفلسفة عاجزة من اصلها عن معرفة ذلك بالكلية.  
ولا عجب في ذلك لان الحكمة البشرية مهما استطاعت ان تفعل من  
هذا القبيل فانما يكون ضبط وتهذيب مبادئ الانسان الاصلية  
واهو آية الطبيعة. ولكن لا يصدر من جميع ذلك اصلاح  
حقيقي. بل مهما حصل لا يكون الا انتقالاً من نوع الى اخر من  
انواع الخطية. فلاجل رجوع النفس الى الاستقامة الادية  
رجوعاً حقيقياً ولو جزئياً بدعو الامر الى ادخال مبدأ جديد في  
الانسان قادراً على اخراج ما يحركه الى الخطية. لانه من المحال  
ما يقول بعض الناس ان الرجوع الى الفضيلة قد يصدر عن

العقل . لان مجرد تصور الطريق المستقيم لا ينفع ما لم يوجد ميل  
الى اتباعه . ولا يخفى ان عدم وجود العواطف نحو الفضيلة  
والقداسة هو الآفة العظمى لطبيعتنا وبها يقوم فسادنا بحسب  
الاصل . والطريق الوحيد الذي يؤيد الانسان الى محبة الطاعة  
لشريعة الله واتباعها انما تم بغرس المحبة لله وللقداسة في قلبه .  
ومن حيث ان القدرة البشرية عاجزة عن ذلك وهو عمل  
متوقف على قوة اهلوية وقدرة خالقة لا يكون رجوع حقيقي عن  
سبل الخطية الا ما هو صادر من مساعة الله . نعم قد يكون  
اصلاح خارجي وكثيرا ما يكون ابدال في المبادي التي تحرك  
الانسان الى الاعمال . فالذي كان في صباه يميل كثيرا الى  
لذات الجسد قد يصير في شيخوخته عبدا للبخل او لطلب المجد  
من الناس . ولكن في جميع ذلك قد حصل التغيير بغلبة مبدأ  
طبيعي على غيره وتملكه مكانه . والحاصل ان كل ما يحدث من  
التغيير في صفات الانسان لا يتم الا بتحرك او تقوية شيء من  
المبادي الطبيعية التي تحركه الى العمل او بغرس مبادي جديدة  
بحيث تغلب على ما كان متسلطا عليه من قبل

والان فلننظر الى طريقة الاصلاح الموجودة في الكتاب  
القدس . فانها مما يطابق هذا المبدأ الذي قد وضعناه الان تمام  
المطابقة . لان العهد القديم والعهد الجديد يعملان على طرق متنوعة  
لزوم التجديد بقدمرة الله . وذلك ان القوة الالهية تضع في



الانسان قلباً جديداً اي مبادي جديدة تحركه الى الاعمال الادبية  
التي اخصها محبة الله والناس . فلو نظرنا على طريقه فلسفية الى  
طبيعة الانسان وما يوجد فيه من الحاسيات والاهواء والشهوات  
والعواطف ثم فرضنا دخول هذا المبدأ الجديد الطاهر الى النفس  
لرأينا قوى الانسان واهواءه قد انتظمت حالاً بحيث لا ينعدي  
شيء منها حدّه واقتلعت رذائل طبيعتنا . وربما يستهزئ الذين  
يدعون العقل والفلسفة بهذا التعليم على انه محال . مع انه موافق  
لاعظم الفلاسفة من كل جهة بل هو نفس الامر الذي يحتاجه كل  
فيلسوف حكيم لو اخذ على نفسه انه يحل المشكل المذكور اعني  
كيف يرجع الانسان الفاسد الطبيعة الى الصلاح . ولكن المبدأ  
اللازم لاصلاح الخاطي قد عجز عن معرفته العقل والفلسفة  
وكتاب الله هو الكتاب الوحيد الذي يعلم الطريقة الحقيقية  
لتطهير النفس من الخطية . انه قد احتال كثيرون من الفلاسفة  
 واصحاب الادب المختلفة بحيل لا تحصى لعلمهم يجدون طريقاً  
مستقيماً لذلك فلم يجدوا . ومن هذه الحيل الاجتهاد في اخراج  
النفس من تحت طايلة الجسد بطرق متنوعة من التشف  
لتعذيبه وتطهيره . ولكن هذه الطرق جميعها مبنية على ان الجسد  
اخص ما يوجد فيه الفساد وهو مذهب فاسد ولذلك لم ينجحوا  
البتة . لان المرض اعنى ما ظنوا فلم تصل اليه علاجاتهم . واما  
الانجيل فهو الذي يعلم الفلسفة الحقيقية في اصل الخطية

وعلاجها. وبحسب قول كتاب الله جميع الشرور تخرج من القلب. واذا اردنا اصلاح الثمر فعلينا ان نصلح الشجرة اولاً. والاحتياج الى قوة الهية لاصلاح الناس كما يجب لا يتعرض لاستعمال الوسائط ولا يُخرج فعل الاسباب الطبيعية. فعند ما يدخل المبدأ الجديد الى عقل الانسان تبقى النفس في استعمالها هذا المبدأ تحت حكم شرايع العقل والارادة العمومية كما كانت قبلاً. ولا ريب في ان مبدأ التفوى مبدأ بسيط الى الغاية في فعله. فيحب الانسان النبي الله لعظمته وصلاحه في نفسه ويفضل السماء على الارض لشرفها وابدئتها وهكنا يجرب في كل ما يشعر به الانسان الذي دخل الى قلبه هذا المبدأ واصح طبيعته الفاسدة وما يتعلق بهذا الموضوع الرسوم الادبية الموجودة في العهد الجديد. ونخص الكلام بالعهد الجديد لانه يعلم رسوماً في الواجبات الادبية غير الرسوم الموجودة في العهد القديم بل لانه يعلم ذلك باجلى بيان. ولا حاجة الى مدح رسوم الانجيل الادبية على وجه العموم لانها قد اغنصت المدح الجزيل من كثيرين من اشد اعداء الديانة المسيحية. ولم يستطع احد ان يرينا شيئاً يجعلها اصح مما هي في وجه من الوجوه. نعم قد اعترض بان هذه الرسوم لا تناسب الانسان لانها تطلب كما لا يستطيع الانسان ان يصل اليه. لكن هذا الاعتراض يُسلم بالنقض التي نريد اثباتها اعني وجود الكمال المطلق في رسوم



الانجيل الادبية . لا ريب في اننا لانحتاج الى برهان بوضع انه  
 اذا انزل الله قانونا لسيرة خليقته فلا بد ان يكون قانونا تاما .  
 ولا يصح ان القانون يتنازل لنقص الخليفة لان ذلك يكون  
 مغايرا لجميع الشرايع

وقد اعترض ايضا بانه قد ترك من وصايا الانجيل كثير  
 من الفضائل العظيمة التي كان يعترف بفضلها ادياة الوثنيين  
 كمحبة الوطن والمصادقة والشجاعة وما اشبه ذلك . والجواب  
 ان محبة الوطن والمصادقة من حيث هي فضائل ادبية فهي  
 داخلة في وصايا الانجيل العمومية التي تطلب منا محبة الناس  
 وعمل الخير لهم وان نعتبر كل شي حسن وكل امر ممدوح . ولكن  
 عند ما نتعرض لمحبة الوطن ومصادقة الاحباب للالتزام المطلق  
 بمحبة جميع الناس لا تكون من الفضائل بل من الرذائل

ويظهر فضل رسوم العهد الجديد الادبية اذا لاحظنا هذه  
 الظروف الاتية . اولاً انها بسيطة مع كونها جامعة الى الغاية .  
 فكل الواجبات الادبية التي نعتبرها ملزمة ترجع في الكتاب  
 المقدس الى مبدئين وهما محبة الله ومحبة الناس . فمقدار الاولى  
 ما نصل اليه استطاعتنا ومقدار الثانية ما عندنا من المحبة  
 لانفسنا . وقد قال السيد المسيح انه على هذين يتعلق جميع  
 التوراة والانبياء . فالواجبات المتعلقة بضبط الاهواء النفسانية  
 لانحتاج الى مبداء اخر لان النفس اذا كانت مملوءة من المحبة

للاخرين تكون محبة الذات فيها مضبوطة بحيث تكون موافقة  
 من كل وجه لتحريكنا الى عمل الواجبات الذاتية  
 ثانيًا ان وصايا الاداب الموجودة في العهد الجديد مع انه  
 يُعبّر عنها بكلامٍ جامع يُصرّح ايضًا فيها مراتٍ كثيرة بتعلقات  
 الانسان الواقعة واحواله المتنوعة. فلم نتركنا نستنج واجبات  
 خصوصية من مبادئ عمومية بل نجعل واجبات كل واحدٍ  
 بحسب ظروفه صريحة لديه. فواجبات الوالدين والاولاد  
 والازواج والزوجات والرعاة والرعايا والموالي والخدم والفسوس  
 والشعب والاغنياء والفقراء والصدّيق والغريب موضوعة فيه  
 باجلى بيان

ثالثًا الواجبات الادبية التي غفل عنها وغلط فيها معلمون  
 اخرون توجد في هذا الكتاب على طريقة واضحة ويؤمّر فيه  
 بالعمل بموجبها. فان ادباء الوثنيين مثلاً لم يسلموا بفضيلة  
 التواضع والوداعة والحلم والصّغ عن الذنوب. واما العهد  
 الجديد فهي مأمورة فيه صريحًا ويذكر فيه ان كثيرًا من الصّالح  
 الخفي يقوم بممارستها. انه في عهد نزول المسيح الى الارض كان  
 الناس يعتقدون بكثير من التوانين الفاسدة في الاداب. فالذي  
 يجب على الانسان من المحبة لجميع الناس كان محصورًا عندهم في  
 حدود ضيقة. فكان يجوز عند اليهود مثلاً اخراج الارائفة كالسمرق  
 والخطاة المشهورين كالعشارين من دائرة المحبة والاحسان.



وهل يجب الخضوع لولاية غريبة استولت عليهم والطاعة للحاكم  
 الردي الظالم امر لا يجب فقد كان ذلك عندهم مسألة تحتاج  
 الى حكمة عظيمة في الحكم بها على الصواب. وكان خلاف فيها  
 بين الجمهور حتى ان الجميع اتفقوا على تقديمها الى المسيح لعلها تكون  
 فتحاً يقع فيه بحيث يوجب عليه حكمة سلباً كان ام ايجاباً مقاومة  
 احد الفريقين. فلما سألوه هل يجوز دفع الجزية لقبصر ام لا يجوز  
 طلب ديناراً ونظر الى الصورة المرسومة عليه وقال لمن هي  
 فقالوا لقبصر. فاجابهم بهذا الجواب النفيس اعطوا لقبصر ما  
 لقبصر والله ما لله. فكان حكمه انهم اذ كانوا يرضون ان تجري  
 معاملة قبصر بينهم وذلك علامة تسلطه عليهم فلا مانع من  
 اعطائهم لقبصر ما كان حقاً له وايضاً لم يكن ذلك مغابراً  
 لطاعتهم لله. فوضح في جوابه هذا الفريقين والهيروديين اذ كان  
 الفريق الاول منهم يتعللون بان واجباتهم لله حجة على امتناعهم  
 عن دفع الجزية لقبصر والفريق الثاني يتغافلون عن واجباتهم  
 لله استعطافاً لقلوب الولاة المتسلطين

وبولس الرسول ايضاً اذ كان تحت ولاية نيرون المشهور  
 بالظلم يامر باطاعة لارباب الولاية لا خوفاً من غضبهم ولكن لاجل  
 مسالمة الضمير. فهذا هو الضابط العمومي في ما يجب على الانسان  
 في هذه المسئلة العسيرة ولا يمكن ان يكون اصوب منه. فان  
 الديانة المسيحية الحقيقية لا تتعرض للاحكام السياسية مهما كانت

ولكنها تناسب الانسان كيفما وجدته في تعلقات هذه الحيوة وتعلم ما يجب عليه. ولهذا لا يمكن ان تكون سبباً للخيانة والعصيان على الاحكام. بل هي تعتبر اهل السياسة كخادم الله لاجل سلامة الجمهور وحسن نظامه ولاجل ردع اصحاب الشر والتعدي. وفي ذلك يقول الرسول انه يجب على المسيحيين ان يخضعوا للسلطين العظماء فانه ليس سلطان الا من قبل الله. والله قد اقام هولاء السلطين. فمن قاوم السلطان فانما يقاوم الله ويقع في الخسارة لنفسه. لان الروساء ليسوا خوفاً للاعمال الصالحة بل لاعمال الشر. تريد ان لا تخاف السلطان فاعمل صلاحاً فيكون لك من عنده مدحة. لانه خادم لله ولك الى الخير. وانت ان عملت سوءاً فخفت فانه لم يتقلد السيف باطلاً. وانما هو خادم الله منتقماً بالغضب من الذي يعمل سوءاً. ولذلك ينبغي ان تخضعوا له ليس من اجل الغضب فقط بل من اجل النية ايضاً. ولاجل هذا تودون الجزية فانهم قدام الله متولون هذا الامر. فلها ادوا الى كل امره حقه. الى الذي تجب له الجزية جزيته والى من تجب له العشور عشوره والى من تجب له الكرامة كرامته<sup>(١)</sup>

رابعاً ان العهد الجديد ينسب جميع الفضائل الى القلب ولا



يعتبر افضل الهدايا واثنها او افضل ما يكون من القيام بالواجبات  
الدينية حينما لا تكون نية القلب في ذلك نية. فقد صرح فيه  
بان اول ميل العقل الى ما حرم انما هو مخالفة الشريعة وبان  
كلام الشتيمة والكلام الباطل من الخطايا التي لا بد من اعطاء  
الحساب عنها في يوم الدينونة. وقد صرح ايضا فيه بان الصلوة  
والصدقات التي تصدر عن طلب المجد لا ثواب لها من الله ولو  
مدحها الناس باحسن المدح. وقيل فيه ايضا ان محبة العالم  
ومحبة المال من الخطايا الاصلية يتفرع منها كثير من امثالها.  
وايضاً ان الكبرياء والانتقام لا يمكن اجتماعهما مع النعمة الالهية.  
واما نقاوة القلب وميله نحو الاشياء السماوية والانتقال على الله  
والتسليم الى ارادته فيحسبها الانجيل فضائل اصلية

خامساً ان وصايا العهد الجديد الادبية تمثلت في حياة  
الرسل والمسيحيين الاولين وعلى الخصوص والى الغاية القصوى  
في حياة يسوع المسيح. فلا يمكننا ان نتصور صفات هي اكمل في  
الصلاح من الصفات التي ينسبها اصحاب الاناجيل الى واضع  
الديانة المسيحية. وقد سبق الكلام في ان سيرته التي كانت مشتملة  
على جميع انواع الفضائل ظاهرة بين ظروف عسرة لا توافقه  
قد اُخبر عنها في الاناجيل باخبار بسيطة تخبرنا مجرداً بما قال  
يسوع وما فعل وما احتمل خالية من التعظيم له ومن تنبيق  
الكلام لاستجلاب المدح اليه. فمن هذه الاخبار نعلم انه لم يتبع

حزباً من احزاب اليهود ولم يطلب نظر الغني او الفقير ولم يتمسك بشيء من غلط طابفته وهوى انفسها. لكنه اظهر من كلامه ان الغايات التي اعتبرها في ما عمل كانت اعظم من التعصب الجنسي. ولم يخف ان ينسب قداسة الفريسيين الظاهرة الى الرياء وان يحكم على نقاليد الشيوخ انها مغايرة لشرعة الله وعلى آراء الزنادقة المستريين انها كانت ناشئة عن الجهل بمعاني الكتاب المقدس الحقيقية

وكان يسوع المسيح دائماً يحول افكار الذين يسمعون كلامه عن الامور الارضية الى الامور السماوية بناءً على انها وحدها تستحق اهتمام وعنايتهم. ومع انه لم يملق احداً كان اهتمامه متجهاً على الخصوص نحو الفقراء. فكانت احبباجانهم الروحية والجسدية تحرك اشد ما يكون من الشفقة في قلبه. وكان يخاطبهم بكلام لطيف ينهض عزائمهم. واما قدرته على الشفاء فكان يستعملها نحو كل طالب غنياً كان او فقيراً من غير التفات الى كونه من امته او غريباً. فكان يتحنن على اليهود والسمره والوثنيين والعشارين والخطاة. ولم يمنع تعصب مثل ما في الكنيسة والفريسيين عن معاشره التائبين ولو كانوا قبلاً من اشد العصاة الاديان. بل كان يقبل بالشفقة الخطاة التائبين ويعزبهم بتحقيق المغفرة وكان يسمع لهم ان يدنوا من شخص بعلامات الشكر والمحبة. وكان يرثي لاصحابه في احزانهم باكيامع الباكين ويفهم



بقوته من المرض او من الموت كثيرين من الاعترآء عندهم . ومع  
انه كان يوتخ المصربن على خطاياهم اشد التوبخ وكان احياناً  
يغضب عليهم كان لا تزال شفقتة نحوهم دائمة . وعند ما فرغ يوم  
نعمتهم بكى عليهم باشد ما يكون من الرقة القلبية

وكثيراً كانت تقع المناظرة بين يسوع المسيح وجماعة من  
العلماء ذوي الخبث والدهاء . فكانوا يتعصبون عليه بمكر  
وسالونه مسابيل عسرة طالبين منه الجواب حالاً . لكنه لم يرتبك  
مرة في شيء من المسابيل ولم يتغير من مكر اعدآيه الخبثاء . بل كانت  
اجوبته سديدة ومملوءة من الحكمة بحيث ترتبك اخصامه غالباً  
ويبتلي الحاضرون عجباً ومدبحاً

واما امثال المسيح فلا نظير لها في الحسن والاصابة . فانها  
تضمن كثيراً من الحقايق الجوهرية وكانت شديدة المناسبة  
للموضوع ولواقعة الحال حتى ان الذين قصد توبيخهم بها التزموا  
كثيراً ان يقرؤا بصحتها . وفيها يوجد اخص تعاليم الانجيل ظاهرة  
ومزينة بتشاييه والفاظ حسنة نسر الفاري وتعينه على معرفة كمال  
نعمة الانجيل وحقيقة عرضها علينا عجائناً . وفيها ايضاً نبوات عن  
رفض اليهود ودعوة الامم وعن كيفية قبول الانجيل المختلفة  
عند الذين يسمعون وعن وجود المسيحيين الصادقين والغير  
الصادقين في الكنيسة وعن الاضطهاد الشديد الذي كان  
الذين امنوا بالمسيح عنيدبن ان يقاسوه وعن سقوط اعدآيه

وهلاكهم اخيراً

وفي جميع مخاطباته كان يتكلم بما لم يتكلم به احد من الناس  
قبلاً. فرغ النفاسير التي كانت قد زبدت على الشريعة وظهر  
رسومها على ما هي. ولم يدخل عليها شيئاً من مبادي بعض  
النظريات الفلسفية في تعاليمه. ولم يتداخل في اجاث العلماء  
الغويصة بل علم الحق بالبساطة والسلطان

واما غيرته على وجوب تقديم الاكرام الى الله والعبادة له  
بالطهارة والقداسة وكراهته لما وضعه الناس في امر الدين  
والعبادة فظاهران من جميع سيرته. وكان روح العبادة الحارة  
السامية سمة كثيرة الوضوح فيه. فكان قبل طلوع النهار بنفرد  
لاجل العبادة وبصرف ليلالي باسرها في الصلوة. وكان من عاداته  
الصلوة وتقديم الشكر في جميع الاحوال مع كون عبادته خالية  
من كل وسواس وهوس. وكان يعلم ان المقبول في الصلوة  
عند الله هو القلب لا اللسان وروح الصلوة لا طولها

وكان جوده ووداعته وجهته في نمو خير البشر امراً  
ظاهراً كل يوم من حيوته مع عدم الافتخار في اعمال الرحمة وفي  
اعجب المعجزات التي كان يعملها. فكان يصنع الخير في جولانه  
بين الناس ولا يطلب المجد منهم بل كان متواضعاً قانعاً بادنى  
ما يكون من حالة الفقر. وعند ما كان الناس يمدحونه كان  
يقول عنهم ولما ارادوا ان يقيموه ملائكة هرب من بين ايديهم وحينما



سألوه مسابيل خارجية كان بوجه افكارهم الى ما هو اهم منها واذ كانوا يتفوهون بما لا معنى له من المدح كان يعلمهم شيئاً من الحقائق الجوهرية. وربما لم يُظهر في اعماله حكمة أكثر من عدم تعرضه للامور العالمية. وبذلك اظهر في سيرته ما قاله اذ حاكوه اخيراً ان ملكوته ليس من هذا العالم

وفي معاشرته تلاميذه نرى الهيبة مزوجة بالوداعة والصدق بالتنازل لضعفهم. فلا عجب من محبتهم لمثل هذا المعلم. فانه لا نظير لمخاطباته الاخيرة لم قبل آلامه وللصلوة التي قدمها من اجلهم المملوءة من المحبة والتعزية. فإراك وافرغ مخاطبات سقراط لاصحابه بالنسبة الى مخاطبات المسيح لتلاميذه المذكورة في الاصحاح الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من الانجيل يوحنا. ولا ريب انه لا يمكننا ان نجد خطباً في اي لغة كانت نستحق ان نقابل بخطب المسيح هذه الاخيرة. ومحبتة الخالصة تبين لنا على افضل نوع اذ تذكرنا انه كان حينئذ عالماً بان آلامه قريبة وانها تكون قاسية شديدة في الغاية ومع ذلك لم يهتم الا بامر تلاميذه الممتليين من الاحزان وكان كل ما قاله متعلقاً بهم. ثم كان وضع العشاء السري المقصود به ذكر موته مصحوباً بظروف بوقف منها على صفات المسيح باحسن وانفع طريقة. ومن يريد الوقوف على ذلك فعليه بالاطلاع على اخبار اصحاب الانجيل

والامر الاخير في صفات المسيح الذي نذكره الان هو  
الصبر والجملد اللذان بهما احتمل من الآلام الشديدة المفرطة ما  
يفوق الادراك. ففي جميع ذلك شي من السر. لان اشد هذه  
الآلام لم يكن لها في الظاهر تعلق بالظروف الخارجية. فلما سأله  
الخاين من تلاميذك وفارقه الآخرون واخذته الجنود لم يلع عليه  
شيء من الخوف والقلق. بل سلم نفسه وخضع بكل سكون لجميع  
اصناف الاهانة والهزء. ولما جرى البحث في امره امام شيوخ  
اليهود وبيلاطس الحاكم الروماني كان على الغالب صامتا لا يوج  
احدا ولا يشكو شيئا حتى لم يتكلم شيئا في حق نفسه. ولما سأله  
القضاة اجابهم علانية عن مسألتهم واقربا انه المسيح ابن الله  
وملك اسرائيل. وعند ما تراكم عليه الهزء والشتيمة كان هاديا  
في الغابة ولم ينطق بكلمة تدل على الضجر او الغضب. والى ذلك  
يشير النبي بقوله كما ان النجعة صامته امام الذي يجرها هكذا  
ينفع فاه. ولما ناحت عليه بنات اورشليم وهو ذاهب الى المكان  
الذي صلب فيه حاملا صليبه طلب منهن ان لا يبكين لاجله  
بل لاجل نفوسهن ولاجل اولادهن لعله بما باتى على المدينة من  
الشدايد. ولما كان معلقا على الصليب نظرا امه المباركة بين  
الواقفين واذا كان عالما بانها تحتاج من بلتفت اليها طلب ذلك  
من التلميذ الذي كان يحبه. ومع انه لم يكن يمازج الغضب شيئا  
من الرحمة في قلوب الذين اضطهدوه اعطانا قدوة جليمة في



اصعب ما يوجد من الواجبات علينا وهو محبة الاعداء. كما يقول  
 بطرس الرسول ان المسيح ايضا تألم بدلنا وابقى لكر مثالا لكي  
 نتبع خطواته. ذلك الذي لم يعمل خطية ولم يوجد في فيه غدر.  
 ذلك الذي كان يُسب ولا يسب. أُصيب فلم يتهدد. لكنه كان  
 يسلم نفسه للذي يقضي عليه ظلماً<sup>(١)</sup> ومن كلماته الاخيرة قبل موته  
 كانت صلوة لاجل الذين كانوا يصلبونه. فقال يا ابي اغفر  
 لهم لانهم لا يدرون ماذا يصنعون. والصلب مصلوب معه قد تاب  
 وطلب منه ان يذكره حين يدخل الى ملكوته قال في هذا اليوم  
 تكون معي في الفردوس. ثم قال اخيراً يا ابي في يدك اسلم  
 روحي ثم امال راسه ومات

وكان فضل صفات المسيح غريباً في احنوايها من السجايا  
 على ما يعده الناس متناقضاً. فكان بزهد في املاك العالم ومجد  
 وبحسن التعبد والتفوق بدون شيء من العبوسة والتعسف.  
 وقد اجتمعت فيه المهابة والتواضع. وكان يظهر الغضب  
 الشديد على كل نوع من الخطية وعلى الخطاة المصريين على  
 خطاياهم مع الرقة القلبية نحو كل تائب صادق. وكان يقرن  
 روح العبادة الفايقة بحيوة مملوءة من الحركة والعمل. واذ كان  
 يعاشر اناساً من كل رتبة لم يتخذ شيئاً من احوالهم المنخرقة ولم  
 يسكت عن رذائلهم. وفي هذا الموضوع يقول احد الفضلاء

(١) رسالة اولى ص ٤٤ الى ع ٢

قد امتازت حيوة المسيح بخصايه بقوم بها الكمال الادبي اكثر من غيرها وهي اجتماع الشيء وتقبضه اليه اجتماع فضائل بعسر اجتماعها بل يشعر ظاهرها بالتناقض ولكنهما متى اجتمعت على حنفها يوجد فيها مناسبة ادبية وتجذب المحبة والاحترام بقوة متساوية. فنرى مثلاً في يسوع المسيح من الاخلاق المهيبه وسمو الفضيلة ما لم يظهره او يصل اليه شخص اخر على مدى الزمان وذلك ممزوج بتنازل ولطافية وبساطية كلية لا يظنها احد انها تليق بعظمته. وهكذا قرن رفض العالم مع نعيمه وخبراته بالسيرة اللطيفة والبشاشة الانيسة. واقترن فيه شدة الحاسية بالحكم على النفس. والكراهة الشديدة للخطية بالشفقة على الخاطي. والانعكاف الكامل على عمله بالصبر الهادي على المقاومة وعدم النجاس. والمحبة العمومية بالمحبة الخصوصية. والسلطان اللابق بخلص العالم برقة الابن وشكره

واما منافع الديانة المسيحية في الجماعات والافراد فهي مدخل عظيم لكلام مفيد في هذا الشأن. ولكنه موضوع لا يسعنا الان الكلام فيه ولا يمكننا ترك ذكره بالاختصار. فنقول ان البرهان من هذا القبيل يقتصر على مسئلة واحدة وهي اننا لو نظرنا الان الى جميع العالم من حيث احوال شعوبه وحكمنا بالانصاف لوجدنا احوال الشعوب المسيحية احسن من احوال من سواهم بما لا يقاس. ولو نظرنا من ثم الى الشعوب المسيحية وقابلنا الذين



يكون كتاب الله شايعاً بينهم وهم بطالعونه ويتعلمون تعاليمه  
بالذين يعارضون قراءته ولا يطالعونه لوجدنا حال اوليك  
احسن من هولاء. واذا كان ذلك كذلك فنسال كيف يمكن  
ان الكذوبة تكون واسطة هكنا لاصلاح العالم ونافعة على قدر  
ما تُعرف وتُطاع

وفضلاً عن ذلك قد راينا في ايامنا هذه نجاح الانجيل في  
تهذيب اغلظ قبائل الارض الذين كانوا على قرب من درجة  
الوحوش. فانهم قد تنوروا وارفقوا الى التمتع ببركات الحياة  
المتدنة وتلطفت اخلاقهم الوحشية في الغاية. وذلك مشهور  
في كرنيلاند وافريقيا وجزاير البحر المحيط وبين هنود اميركا  
وغيرهم. ولا اعلم ماذا يقول الكافرون في هذه الامور غير اني  
بالنظر الى نفسي لو قام واحد من الاموات او جاء صوت من  
السماء لما كان ذلك عندي برهاناً على صحة الانجيل اقطع من  
هذه المنافع المشهورة العظيمة. فهل يمكن ان الاكاذيب المتتابعة  
يصدر عنها مثل هذه المنافع

نعم قد اعترض على الديانة المسيحية بانها قد دعت الى  
حروب عظيمة واضطهادات ظالمة. ولكن ذلك من المستحيل  
لان الديانة التي لا تامر الا بالاحسان والسلامة وتنهى عن  
مقاومة الشر بالشر وتوصي بمسامحة الاعداء لا يمكن ان تدعو  
الى الحرب والاضطهاد. نعم قد يُتخذ منها فرصة لمثل هذه

الشرور. ولكن نسبة ذلك الى الديانة المسيحية كما قد دعت  
 اليه جهلٌ عظيم بعد النظر الى كون روحها مصادراً لهك الشرور  
 على الخط المستقيم. فلو كان الاعتراض صحيحاً لصح ان ينسب الى  
 الاحكام المدنية جميع الحروب والفتن التي حدثت عن اجراء  
 شرايعها. ولصح ايضاً ان نشكو الحرمة بكونها دعت الى جميع  
 فواحش الحركة الفرنسية في الجيل الماضي. واما السبب  
 الحقيقي في هذه الشرور فليس هو الا الشر الموجود في طبيعة  
 الانسان. وفضل الاشياء في العالم قد تكون سبباً لتهميج هذا  
 الشر. وقد تنبأ المسيح بان ديانته تكون سبباً للمخاصمة بين  
 الاهالي. ولايضاح حقيقة ما تنبأ به قال لا تظنوا اني جيت  
 لالقي سلاماً على الارض. لم اجي لالقي سلاماً لكن سيفاً. وقد  
 عوج هذا القول الذين يتخذون ظاهر الكلام بان المعنى المقصود  
 هو ان ديانته تميل الى تهميج الخصام بين الاحباب. ولكن  
 لا يضل في هذه القضية من يقرأ العهد الجديد. ولا ريب في انه  
 حالما يتسك جميع الناس بالديانة المسيحية على حقها تنقطع  
 الحرب الى اقاصي الارض. ويحولون اذ ذاك سيوفهم الى سكك  
 ورماحهم الى مشاذب ولا يتعلمون الحرب بعد ذلك. هذا قول  
 كتاب الله على سبيل النبوة وهذا ما نعتقد به

واما منافع الانجيل في الافراد الذين قبلوه بقلوبهم فهي  
 اعظم برهان على انه من الله. فكم صار المتكبر متواضعاً



بواسطة النجس طاهراً والمآكر نصوحاً والظالم عادلاً والمحاذ  
 غفوراً والسكير صاحباً والشاتم ادبياً والكذوب صادقاً وهم  
 جراً. فإبى ديانته تؤثر مثل هذه المنافع العظيمة. وإن قيل ان  
 كثيرين ممن يدعون هذا التغيير هم من اهل المكر والخباثة  
 فالجواب ان ذلك لا يدل على ان الذين تحقق صدقهم مدة  
 حياتهم يكونون من اهل المكر ايضاً. ان جميع الناس يريدون  
 حسن الظن في صدقهم. فان وجد بعضهم مآكراً فهل يكون  
 ذلك برهاناً على انه لا يوجد انسان صادق في العالم  
 ومهما كان تأثير هذا البرهان في الذين لم يشعروا بقوة الانجيل  
 في نفوسهم فلا ريب ان يكون له اعتبار كلي عند الذين قد رجعوا  
 بواسطة عن ضلال طرقهم. فمن هؤلاء يوجد الوف يشهدون  
 بانهم قد اخبروا قدرة كتاب الله على ترجيعهم عن خطاياهم  
 واضرار محبة الله والفضيلة في قلوبهم. فلا يستطيعون الا ان  
 يؤمنوا بان الديانة المسيحية من الله ويعتقدوا بان لاشيء من  
 الاكاذيب والخداعات بنور العقل وبقدرته هكذا. ولا شيء من  
 استنباط البشر له من التأثير في القلب ما لهذا الكتاب الالهي.  
 ولهذا يقال بالحق عن هؤلاء ان لهم شهادة الحق في انفسهم  
 وفي حقايق الكتاب قوة ليس للارشاد والتفديس فقط  
 بل لتعزية المحزونين ايضاً. فباني الانجيل بالسلام والراحة الى  
 كل صدر يقبله بالمحبة. وحينما يُنخس الضمير من تذكر فعل

المحرّمات وتنالم النفس من جرح لا يشفيه علاج بشري تكون  
 مواعيد الانجيل كبلسم جلعاد علاجاً قاطعاً لهذا المرض الاليم  
 المتمكن. ومن فعله المنعش يشفي القلب المنكسر ويرفع ثقل  
 اليأس بالكلية. فالانجيل كلاك الرحمة يأتي بالتعزية الى اظلم  
 اماكن الضيقة. ويدخل الى السجن ويحمد احزان التايبين  
 الموثوقين فيه. ويشجع قلب الانسان الذي يلاقي الموت على  
 المشقة اذا كان يقبل في قلبه دعوته لأكبر الخطاة. ويسلي احزان  
 الذين ينوحون على الموتى ويمسح الدموع من اعين الذين يبكون  
 فراق الاحباب والاهل. وبوعده الذين يقبلونه بالخير بعد  
 الموت ينهض رجاءهم ويجول ظلام القبر الى نور. فيصبح  
 المسجونون الحقيقيون من قوة ايمانهم بقيامة الجسد في يوم البعث  
 يسلّمون اعزّ الاحباب الى حفظ القبر وهم ينتقون انهم بعد نوم  
 قصير يقومون الى حيوة ابدية

وكثيراً تُبارك أكواخ الفقراء بتعزية الانجيل. فانه يناسب  
 ذوي الضيقة والمسكنة على الخصوص وقد سبق قول النبوة عن  
 يسوع المسيح بان المساكين يبشرون منه. فيضع الانجيل فيهم  
 القناعة بحالم والتسليم لامر الله والمحبة من بعضهم الى بعض  
 والشوق الى نعيم السماء. والشيوخ العاجزون الذين يفقدون  
 قواهم وينقطعون عن اشغال العالم وسروره بسبب المرض او  
 الهرم قد يجدون فيه نبوعاً للتعزية. واذ هم ممتليون من روحه



السماوي ينظرون الى ذهابهم من العالم بدون حزن بل بفرحون  
 بما ينتظرونه فرحاً لا يوصف. ويجعل الانجيل نير العبودية وقيود  
 الظلم تحت الطاقة والاحتمال. فكم من مرق نرى العبد النقي  
 بسبب ما يوشع فيه كلام الله يفوق مولاه في السعادة بما لا يحد.  
 فلا يبالي بسلب حرته منه الى مدى يسيرة لانه يعلم انه عتيق المسيح  
 ويعتقد ان جميع الاشياء تأول الى خير وان هذه البلايا الخفيفة  
 التي دوامها لحظة تصنع له كثيراً من المجد الابدي بل ان هذا  
 الانجيل الشريف تريق للموت نفسه. فان الذبي يتبع اقوال  
 المسيح لا يذوق الموت اي لا يجده لعنة ولا تصيبه حرمة الموت  
 المسمومة بالخطية. فكم من مرق يملأ الانجيل قلب النقي من  
 السلامة وهو في حالة الموت. وكم يُعيش النفس بالفرح السماوي  
 عند فراقها هذا المسكن الارضي. وكم يحول فراش المايت الى  
 مكان راحة ناعمة. فنراه لا يعتبره شي من الخوف ولا تمرر الآلام  
 نفسه ولا يثقل عليه حزن. بل له في تلك الساعة الهائلة كمال  
 الرجاء والسرور والتهلل

فالمسئلة التي نحن الان في صدها عن هذا الكتاب  
 الذي يتضمن مثل هذه التعاليم الصحيحة السامية في اللاهوت.  
 الذي يخبر عن تاريخ الانسان الصحيح وصفاته الحقيقية من غير  
 تعويج ولا مبالغة. الذي له قوة عجيبة في الدخول الى القلب  
 البشري والتاثير في ضميره. الذي يخبرنا عن نفس القضايا التي

نحن في اشد الاحتياج الى معرفتها. الذي بوضع لنا الاخرة ويعلمنا كيفية الوصول الى سعادتها ومجدها. الذي يتضمن رسوماً كاملة في الواجبات الادبية مناسبة لطبيعتنا وحالنا سالمة من النقص الذي يقع في غيرها من مذاهب الآداب. الذي لا ينهي عن شيء هو من الحلال ولا يطلب امراً غير موافق للعقل السليم ورسوم الفضيلة. الذي يجمع جميع الواجبات في بعض مبادئ عمومية لكنه يجربها في اوامر كثيرة جزئية تناسب حال كل انسان في مهمات الحياة واضعاً امامه امثلتها من سيرة اناس صالحين مذكورة فيها بصدق مع نقابهم التي لا تخلو منها سيرة افضل الناس. الذي يرسم لنا صفات يسوع المسيح واضع الديانة المسيحية بكامل النضل الادبي الذي لا يقبل الزيادة او النقصان وجميع ذلك بمجرد ذكر كلامه واعماله وآلامه. الذي يتضمن اخيراً المصادر الحقيقية للتعزية في كل انواع المصائب البشرية وللراحة في حال الموت نفسه. ومضمون المسئلة هو هل يمكن ان يكون مثل هذا الكتاب تاليف اهل المكروه صيادون اميون. أما كان يقع مثل هؤلاء في غلطٍ بشيء من اللاهوت او الآداب. هل كان يمكنهم ان يحفظوا مثل هذه المناسبة الحسنة والموافقة الكاملة بين اجزائه. هل كان يمكنهم ان يتصوروا سيرة كسيرة الرب يسوع الذي حين يخبرون عما صنع وقال تحت ظروف مختلفة صعبة لانراهم يقعون في ضلال او سقطوا من الضعف البشري. هل كان



اصحاب المكر بجرمون الكذب والخداع قطعاً كما حرّم ذلك  
 العهد الجديد . هل كانوا يشددون في طلب القداسة كما نرى في  
 الانجيل . هل كانوا يفترون ان يجعلوا مكرهم في الكتاب موافقاً  
 على التام لمزاج العقل البشري واحوال الناس . هل يُجتمَل  
 انه كان لهم من الحكمة ما يحذرهم من التخرّب باحزاب ائمتهم  
 والتعلق ببعض مذاهب زمانهم او بعض الاحكام المدنية . هل  
 كان في طاقتهم ان يقدموا التعزية المحزونين ما يوجد في الانجيل .  
 ابن الناس على وجه الارض الان الذين يستطيعون ان يولّفوا  
 مثل هذا الكتاب

فتقول انه اذا اقع احد نفسه بعد فحص الكتب المقدسة  
 من غير هوى نفس ان الذين كتبوها كانوا من الماكرين الخبيثاء  
 فيمكنه ان يعتقد ان رجلاً وحشياً بصطنع ساعة او ان طفلاً  
 يكتب كتاباً كمقامات الحريري او ان الاجرام السموية هي خلقه  
 مخلوق . لكن هيهات ان يكون كتاب الله تزويراً . انه لم يوجد  
 لانسان او لجماعة من العقل والعلم ما يكفي لكتابته . ويد الله  
 ظاهرة فيه فهو ينير بنور يعرف من بهائه انه من الله . وله من  
 قوة التأثير في القلب ما يدل على قدرة واضعه الفايقة وعلوه  
 المحيط بكل شي . وهو ينير ويطهر ويرشد ويعزي جميع الذين  
 يقبلونه بقلوبهم . فلا ريب انه كلام الله وافضل انعامه تعالى على  
 البشر

فيالسمو هذا الانجيل الشريف وما اظلم تلك البد التي  
 نخطفه منا وهو اشهى التعزية واحلاها لقلوبنا . هل يريد احد  
 ان يظلم الباب الوحيد الذي منه ياتينا نور الرجاء وان يتزع من  
 الضعفاء والمساكين العاجزين السند الوحيد الذي نستطيع  
 انفسهم ان تستند عليه بالسلامة وان يسلب من الذين يموتون  
 الوسطة الوحيدة لتعزيتهم وان ينهب من العالم اغنى كنوزه وان  
 يفتح ابواب الفواحش وبرجع الخرافات وخبث الكفر على  
 الارض . هل يريد ذلك احد فعليه ان يجتهد في ملاءمة الانجيل  
 وجعل الديانة هزما والاخرة اضحوكة . ولكن ليعلم يقينا ان الله  
 سيدينه على جميع ذلك في يوم البعث . الا اني لا اظن ان مثل  
 هذا الفكر الخبيث بداخل احد من بطالع ما قيل من الكلام  
 السابق في هذا الكتاب . بل الارجح ان الاعتبار لخبير ان كان  
 من اهل الدنيا يحثه على اعتبار الديانة المسيحية . وان  
 كان من اهل التقوى فلا ريب ان قلبه الصالح  
 يقول **أحب الي انقطاع ضوء الشمس**  
 من انقطاع نور  
 الانجيل



## الفصل الرابع عشر

في ان الكتب المقدسة وعلى الخصوص العهد العتيق قد  
كان للذين كتبوها الهام من الله بصونهم من الغلط في  
افكارهم واقوالهم

قد سمعنا في ما تقدم من الكلام ان ثبت صدق الكتب  
المقدسة . والان ناخذ في الكلام عن الهام الذين كتبوها . نعم ان  
هذين الموضوعين متداخلان احدهما في الاخر وكثير من الادلة  
على الاول منها يثبت الثاني ايضا . ولكن يوجد بينهما فرق يُعتبر .  
فانه قد يكون كتاب صادقاً من غير ان يكون له شيء من الوحي  
اصلاً . كالاخبار الصادقة التي كتبها اناس من اهل الصدق  
بمجرد استعمال قوَى انفسهم . وقد يبرهن على صحة تاريخ الانجيل  
بواسطة المبادي المقبولة في الامور الدارجة بين الناس كما يبرهن  
على صحة تاريخ اخر . وبالْحَقِيقَةُ لا بد من ذلك في نظام البراهين  
قبل ان يتكوّن برهان قاطع على صحة الوحي الالهي . وبناءً على  
ذلك قد كان لكل الذين كتبوا من الفضلاء في الادلة على  
الديانة المسيحية عادة ان يثبتوا اولاً الحوادث المذكورة في الانجيل  
باسنهاد مجرد الشهادة البشرية . وربما بصدق البعض من

الناس ايضاً الحوادث المذكورة فيه حتى المعجزات ايضاً من دون  
 النفات الى انه هل كتب خبر هذه الحوادث بوحي من الله . فقد  
 ذهب البعض الى ان لاشي من الوحي للذين كتبوا الانجيل مع  
 الاعتراف بانهم كانوا من ذوي الصدق ويجب قبول شهادتهم  
 كما يجب قبول شهادة غيرهم من المؤرخين الصادقين . فتكون  
 صحة الحوادث كافية للبرهان على ان الديانة المسيحية بعمومها  
 صادرة من الله . ولكن لا يتنج من ذلك ضرورة ان المؤرخ الذي  
 يخبر عن تلك الحوادث كان له الهام من الله بحفظه من السهو  
 في الجزئيات . فهذه قضية قائمة بذاتها وهي امر عظيم الشأن  
 يستحق البحث الراهن من غير تعصب

وهنا محل للكلام في التمييز بين الالهام والتنوير الذي هو  
 في كل مسيحي حقيقي اساس الايمان الحاصل من فعل الروح  
 القدس . والفرق بينهما ان غاية الالهام غالباً تكون اعلان حقائق  
 جديدة او اظهار ما كان غير واضح فيما قد علم سابقاً . فيكون  
 الالهام يرشد العقل على نوع غير طبيعي الى كتابة بعض اشياء  
 او التكمّل بها وهو يحافظ على قواه او يقويها بحيث يستطيع  
 العقل ان يوضح بالصواب ما لم يكن معروفاً من قبل او ان  
 يتصور افكاراً ويستعمل كلاماً نفيساً تعجز القوّة الطبيعية  
 عن الوصول اليه . واما التنوير من الروح القدس فلا يعلن  
 حقائق جديدة بل انما يضع في النفس امكاناً لفهم على طريق



روحية حقائق معلنة من قبل. وعلى هذا يبنى الفرق العظيم  
الواقع بين الحركات الروحية التي يشعر بها جميع المسيحيين  
الحقيقيين وبين الوسوسة التي تدعي بشيء من الالهام. فالمسيحي  
العاقل يستطيع ان يستشهد كتاب الله لاثبات جميع الافكار  
التي تلوح في عقله وهو في اعلى درجة من الفرح والمحبة الروحية.  
واما ذوو الوسوسة فيتركون الكتاب ويتكلمون على حركات  
القلب الداخلية والمؤثرات في الخيالة وما يحرك اليه العقل بديها  
والاحلام او المناظر الموهومة وما اشبه ذلك. فلو كانت هذه  
التحريكات من روح الله لاشتركت مع الالهام بحقيقته. ولهذا نرى  
اكثر ذوي الوسوسة يعتقدون انهم من اهل الالهام. ولكن مهما  
كان اعتقادهم قويا في ذلك فلسنا ملتزمين ان نصدق دعاوهم  
ما لم ياتوا بالبراهين الخارجية التي يستعملها الله شهادة لصحة  
ما يعلنه للانسان

ويوجد ايضا فرق بين الالهام والاعلان. فان الاعلان  
لم يات الانسان دائما بوضع الروح القدس حقائق في العقل  
بتلفين داخلي. بل كان الله يخاطب الناس قدما في اوقات كثيرة  
باصوات مسموعة او يعلن ارادته برسالة الملائكة وبوسايط  
اخرى خارجية. وعلى ذلك جاء الاعلان الى كثيرين لا بدعون  
بالالهام. فجميع بني اسرائيل الذين وقفوا امام الله عند طور سيناء  
قد سمعوا الوصايا العشر من فم تعالى لكن ليس احد يقول انهم

كانوا جميعهم ملهمين . وهكذا لما كان المسيح على الارض سمع  
 كثيرون اكثر من مرة صوتا من السماء يقول انه ابن الله الحبيب .  
 وبالحقيقة يقال عن جميع الذين سمعوا كلام المسيح ان اعلانا  
 انهم من الله . ولكن لا يقال انهم كانوا جميعهم ملهمين .  
 وقد قسم المحققون الالهام الى ثلاثة اقسام . الالهام العصمة  
 والهام التلقين والهام الترقية . اما الاول فهو ما اذا حرك الروح  
 القدس مورخا ان يكتب وفي كتابته برشد في اخبار الحوادث  
 والظروف ويساعد في سرد الاخبار بحيث يحفظ من السهو  
 والغلط . فليس من الضرورة ان توحى اليه الحوادث لانها  
 قد تكون معروفة عندك وراسخة في ذهنه . ولكن ليس في طاقة  
 الانسان ان يكون سالما من الغلط في قص الحوادث القديمة .  
 فان كان من الضرورة ان يكون التخيير خاليا من الغلط فلا بد  
 من الهام الكاتب . واما الثاني فلما كان اخص الاغراض من  
 الالهام اعلان حقائق لم تُعرف قبلا كان الهام التلقين لازما عند  
 الحاجة اليه . كما لما اتى الانبياء بنبوقة على خراب مملكة او برسالة  
 من الله الى امّة او الى شخص كان من الضرورة ان الافكار  
 يتناولها ذهن النبي من الروح القدس . واما النوع الثالث  
 الذي هو الترقية فيكون في الذين يستطيعون بوحى من ربهم ان  
 ينطقوا او يكتبوا ما لا يصل اليه بمجرد قواهم . وعلى ذلك قد  
 نطقت النساء الملهيات من الله بديها بافصح كلام الشعر مما لا تصل



اليه قواهن بدون مساعده. وقد يكون هذا الكلام خالياً من  
اعلان تعليم جديد ويُقتصر فيه على اعتصام القوى البشرية عن  
الغلط كما اوضحنا ذلك في محله. ولكن تُرقي قوى العقل ترقية  
عجيبة بحيث نصير الافكار اكثر اشراقاً وسمواً ويعبر عنها  
بكلام اكثر مناسبة وبلاغة مما لو كانت القوى على الحالة  
الطبيعية. وبمثل هذا الالهام كتب داود بعض الزبور وسليمان  
الامثال وصاحب سفر ايوب ما يوجد فيه من الكلام البليغ  
والانبياء كثيراً مما يوجد في كتاباتهم

وعلينا هنا مسألة اخرى. وهي هل لهم بكلمات الكتاب كما  
أهم بالافكار. فمن الناس من يقول انه لا يلزم ان نعتقد بان  
الكلمات المستعملة في التعبير عن الحقائق الموحى بها قد أهم بها  
من الروح القدس ويشهد لذلك اعتبار اختلاف اسلوب الكلام  
بين الكاتبيين. فان لكل واحد منهم اسلوباً مختصاً به على حسب  
علمه ومزاج عقله. ومنهم من يقول رداً على ذلك انه ما لم يلهم  
بالكلمات كما أهم بالافكار لا يمكننا ان نتحقق ان الكاتب قد اظهر  
ارادة الروح القدس بالتام. لان الناس بمعرض الغلط في اختيار  
كلمات مناسبة للمعاني المقصودة كما هم كذلك في بقية الامور. وكما  
ان الناس يعجزون كثيراً عن التعبير عن افكار عقولهم بكلام  
يطابق المقصود كذلك قد يقعون في مثل هذا العجز عند ما  
يعبرون عن الافكار المنزلة عليهم من الله لو تركوا الارشاد مجرد

قوام . وفضلاً عن ذلك لا يمكننا ان نتصور اعلان حقائق  
 للعقل من غير ان يكون معبراً عنها بكلمات . لانه قلماً نستطيع  
 ان نتفكر فكراً بيننا عن امرٍ من الامور من غير توسط كلمات  
 فكيف يستطيعون ان يكتبوا شيئاً بيننا بدون ذلك

فنقول ان الارجح في هذه المناظرة ان يكون كل واحدٍ من  
 الفريقين مصيباً من وجهٍ كما يكون في كثيرٍ من المناظرات . او  
 بالبحري اننا نحصل على الحق باقتضاد آراء الفريقين والاجتهاد في  
 موافقتها . فان المبادي المذكورة آنفاً التي تجري في الافكار تجري  
 ايضاً في الكلمات من غير خلاف . فمتى كانت الحقائق المعلنة  
 مجهولة قبلاً عند الذين أنزلت عليهم وعلى الخصوص متى لم يفهموا  
 معنى ما أعلن كما يظهر كثيراً في امر الانبياء نعتقد ضرورة ان  
 الكلمات كلافكار قد أُلهم بها من الروح القدس . ولا بد ان  
 ذلك كان ايضاً في قضية الرسل وغيرهم ممن أنزل عليهم موهبة  
 الالسنه التي لم تكن الا الهاماً بكلمات لاجل التعبير عن حقائق  
 الانجيل

ولكن كما ان الكاتب لا يجناح في قص الاخبار المعهودة الى  
 الالهام بكل فكير بل الى عصمة تصونه من الضلال هكذا في  
 استعمال كلمات للتعبير عما كان معروفاً عنده لا يجناح الى الالهام  
 بكل كلمة بل الى ملاحظه وهداية فقط . فعلى هذا المذهب يُصان  
 كلام الذين كتبوا الكتاب من الغلط والالتباس وتبقى لوايج روح



الانشاء المخلص بكل واحد ظاهرة منهم . ومثال ذلك في الاب  
الذي يرشد يد الولد في الكتابة بحيث يترك الولد قلمه ولكن  
بهداية الاب وارشاده لكي لا يتجاوز الحدود المفروضة . وايضا قد  
يمثل هذا الاعتصام من حيث الافكار والكلمات بأب يمسك  
بيد ولده في طريق ضيق فالولد يمشي بنفسه وياخذ في خطواته  
ما يستطيع واما ابوه فيحفظه من الوقوع ويتكفل بشيئته في  
الطريق . وكذلك الحال في من كان يصونهم الروح القدس  
في امر الانشاء . فانهم لم تكن قوى عقولهم باطله بل انما كانت  
مرشدة ومصونة عن السهو والضلال وكل واحد منهم باق على  
طريقته في افكاره والفاظه . فهو يتكلم او يكتب بما عنده من  
الكلام ويستعمل اساليب الانشاء التي من دأبه ان يستعملها .  
وهكذا على هذا المذهب لم يتجرد الملمهون من قرايجهم والفاظهم  
الما لوفة ولكن كانوا كأنهم يكتبون او يتكلمون من غير الهام بهذا  
الاعتبار

وللبعض اعتراض على هذا المذهب في الهام الاعتصام بانه  
اقل كما لا مما لو قرر الروح القدس كل كلمة في ذهن الذي كتبها .  
والحق ان هذا الاعتراض لا وجه له اذ كانت كيفية حصولنا على  
المعرفة امرا لا طائل تحته بشرط ان لا يكون ريب في صحتها .  
فان امورا كثيرة لا يزيدنا ابي وحي كان شيئا من التحقيق على  
صحتها . والمعرفة التي وصلت اليها باستعمال العقل ليست

باقل قيمة من حيث وصولها اليها على طريقه طبيعية. بل بالحقيقة  
 هذه القوى الطبيعية التي بها نستطيع ان نتحقق مبادئ الحق  
 الاولى انما هي عطية الله كالوحي. فالمعرفة البديهية البقينة التي  
 عندنا ببعض الحقائق قد تُحسب من وجه كالهام ملازم. فلو فرضنا  
 ان انسانا بواسطة وحي ملازم يتحقق صحة بعض قضايا بحيث  
 لا يشوبه ريب فيها البتة فما الفرق والحالة هذه بين ذلك وبين  
 الاشعار البديهي بمبادي بينة بالطبع لكل انسان عاقل. واذ  
 ذاك لا يزيدنا وحي التلقين شيئا في معرفتنا الاشياء التي نحن  
 متحققون صحتها طبيعيا. فلا نحتاج في كل ما يتعلق بمعرفتنا  
 المستفادة من الاخبار او المشاهدة الا الى مساعدة نعطينا قدرة  
 على التعبير عما يجب ان يدون لمنفعة الكنيسة خلوا من الضلال  
 في الماهية والكيفية

ثم قد ظن بعض الذين لا ينكرون الهام الذين كتبوا  
 الكتب المقدسة بالعموم انه من الواجب ان نسلّم بامور في هذا  
 الموضوع لان تدعو حقيقة الامر الى التسليم بها وبذلك قد اوقعوا  
 ما يجاهدون به في صعوبات عظيمة. فمع انهم يصرحون بان  
 الالهام التام قد ارشد الذين كتبوا الكتاب المقدس في جميع  
 الامور العظيمة الضرورية يسلمون انهم قد تركوا مجرد قوام  
 العقلية في الامور الجزئية واذ ذاك قد سهوا في بعض قضايا  
 عرضية. ويرد عليهم بانه لو امكن ان يفصل بالتدقيق بين ما



كُتِبَ بالالهام وبين ما لم يُلَمَّ به لما نتج من هذا المذهب شرًّا أو ضررًا. ولكن لا توجد حكمة بشرية كافية لوضع هذا الفصل فلذلك تكون نتيجة هذا المذهب دخول الشك في هذا الامر العظيم الذي تحفته من اشد الضروريات. وايضاً يبعد من العقل ان روح الله يعصم كاتباً من الغلط في بعض ما يكتبه ويتركه في البعض الاخر. لانه حينئذ يكون كالشاهد الذي ان وجدناه قد غلط في بعض الاوجه تضعف ثقتنا بجميع شهادته. ولو استطاع احد ان يبرهن على ان اصحاب الاناجيل قد غلطوا في الامور الجزئية لكان البرهان على انهم كتبوا شيئاً من الاشياء بالالهام ضرباً من المستحيل

وكثيراً ما نون بكلام بولس برهاناً على ان الكاتب الذي كان على الغالب ملهماً قد يترك في بعض الاحوال سالكاً طريق آرائه. ولكن اذا سلمنا بالمعنى المنسوب الى الرسل في هذا الفصل لا ينتج من ذلك ما نحن فيه من هذا المذهب. بل الناتج انما يكون ان بولس في هذه الاحوال المعينة لم يكن ملهماً. فنبتغي في ثقة كاملة بما قاله في جميع الاحوال الاخر على انه كان ملهماً من الله. ولكن في كون ذلك هو معنى الرسول نظر. لان الاقرب الى العقل ان ما قصده هنا لم يكن الا ان يعلمنا ان ربنا يسوع المسيح لم يفرض شيئاً في القضية التي كان كلامه فيها ولكنه

بمساعدة الروح الذي كان فيه اعطى حكماً اراد ان يكون مسموعاً  
 مطاعاً. ويشير واضحاً الى انه كان يتكلم بالهام بقوله واضن ايضاً  
 ان في روح الله. فان قوله اضن لا يجب ان يؤول بالدلالة على  
 الشك لان ذلك بعيد عن معنى اللغة التي كتب بها بل هو  
 عبارة عن اعتقاد ضمير. ولهذا لا حاجة الى اعتقاد ان بولس  
 قد اقر بانته كتب شيئاً من غير مساعدة الالهام الالهي. وانه بعيد  
 جداً ان ذلك الذي اُلهِم في بقية الامور يُترك الى نفسه في هذا  
 الامر الوحيد الذي لا يُحسب من الامور الاقل اعتباراً  
 فيكون تعريف الالهام على الصحيح انه قدرة الهية اُثرت في  
 عقول الذين كتبوا الكتب المقدسة بحيث عصمتهم من الغلط  
 في المعاني والالفاظ. وهذا هو الذي يقال له الالهام التام. وهو  
 اتم المطلوب لان اليقين الخالي من كل شك هو غاية ما يُطلب  
 في اي خبر كان. واذا كان لنا ذلك في الكتب المقدسة فلم يبق  
 لنا شيء نطلبه من هذا القبيل

واما كتب العهد القديم فلنا اصرح البراهين على ان كلام  
 المسيح ورسله فيها كان دائماً يدل على الاعتقاد بانها اُلهِم بها  
 وخالية من الضلال. من ذلك قول المسيح لليهود فتشوا الكتب  
 لانكم تظنون ان لكم فيها حبة ابد وهي التي تشهد من اجلي.  
 وقوله ايضاً لانكم ان امنتم بموسى كنتم تؤمنون بي لانه كتب من  
 اجلي. وقال ايضاً ضلتم اذ لا تعرفون الكتب يشير صريحاً الى



ان الكتب المقدسة دستور لا ضلال فيه . وفي الفصل المتضمن  
 هذه العبارة قد ذكر ان يسوع اوقع الفريسيين في الارتباك اذ  
 سألهم كيف يستطيع داود بالروح ان يدعو المسيح ربّه وهو  
 ابنه . فيشير بقوله بالروح الى انه كان ملهماً من الروح القدس  
 في كتابته الزبور . وبعد ان قام المسيح من الموت يشير الى ذلك  
 باجلى بيان حيث يقول هنا هو الكلام الذي كلمتم به اذ كنت  
 معكم انه لا بد من ان يكمل كل شيء مكتوب في ناموس موسى  
 والانبياء والمزامير من اجلي . حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب  
 وقال لهم انه هكذا مكتوب وهكذا كان ينبغي ان يولم المسيح ويقوم  
 من الموتى في اليوم الثالث . وفي ما سبق من كلامه هذا اشار  
 ايضاً صريحاً الى هذا المعنى بقوله يا غير فاهمين وثقيلي القلوب  
 في الايمان بكل ما نطقتم به الانبياء . أما كان ينبغي ان يقبل  
 المسيح هذه الآلام وهكذا يدخل مجد . وبدأ من موسى وجميع  
 الانبياء يفسر لها ما كتب في جميع الكتب من اجله . فقال  
 احدهما للاخر أما كانت قلوبنا ملتهبة اذ كانت بتكلم معنا في  
 الطريق وفسر لنا الكتب . وكذلك في بستان الجسمانية قال  
 الرب لبطرس اظن اني لا استطيع ان اصلي الى ابي فيرسل لي  
 حالاً اكثر من اثني عشر جوقاً من المليكّة . ولكن كيف تكمل  
 الكتب لان هكذا ينبغي ان يكون . وهذه العصمة من الغلط  
 تنسبها بنسبها المسيح الى العهد القديم في مناظرته مع اليهود



المذكورة في الاصحاح العاشر من انجيل يوحنا حيث يقول  
 اليس مكتوباً في ناموسكم اني قلت انكم الهة . فان كان قال الهة  
 لاوليك الذين كلمة الله كانت اليهم ولا يمكن ان تُنقَضَ الكتب  
 الى اخرى . وتوجد ايضاً آيات كثيرة يصف فيها اصحاب الاناجيل  
 الكتب المقدسة بانها دستورٌ للحق لا شيء فيه من الضلال  
 والغلط . من ذلك ما قيل فيها واذ صنع هذه العجايب الكثيرة  
 امامهم لم يؤمنوا به لتكامل كلمة اشعيا اذ قال يارب من صدق  
 بسمعنا ولمن استعلنت ذراع الرب . وقيل ايضاً ولهذا لم  
 يستطيعوا ان يؤمنوا لان اشعيا يقول ايضاً قد اعى عيونهم الى  
 اخرى . وايضاً لان هذا كان لبتم المكتوب لا ينكسر منه عظم .  
 ولا يخفى ان المعبر عنه بالكتب في جميع هذه العبارات هو العهد  
 القديم اذ لم يكن حينئذ العهد الجديد قد كتب

واما شهادة الرسل في رسايلهم للالهام في كتب العهد القديم  
 فليست اقل دلالة على ذلك من شهادة المسيح واصحاب  
 الاناجيل . فان بولس في رسالته الثانية الى تيموثاوس يذكر  
 بانه منذ صبا يعرف الكتب المقدسة القادرة ان تحكمه للخلاص  
 بالايمان الذي يبسوع المسيح . ثم يقول ان كل كتاب اوحى به  
 الروح من قبل الله مفيد للتعليم والتوبيخ والتفويم والتاديب  
 بالبر لكي يكون رجل الله كاملاً مستعداً لكل عمل صالح . فلا  
 ريب ان الكتب التي عرفها تيموثاوس منذ صبا هي كانت كتب



العهد القديم اذ لم يكن غيرها حينئذ قد كتبت . ولكن حينما يتكلم  
 بولس عن كل كتاب قد أُعطي بوحى من الله ربما بدخل في  
 هذه العبارة جميع كتب العهد الجديد التي كتبت قبل حيسه  
 المرة الثانية في رومية . ولعل تلك الكتب احنوت على الاناجيل  
 الثلاثة الأولى وأعمال الرسل وسائر رسائل بولس . لان الظاهر  
 ان الرسالة الماخوذة منها هذه الآية كانت اخر كتابات بولس  
 لانه يقول فيها وانا حاضر الان ان اتقدم وقد قرب وقت  
 ذهابي . وان الكنيسة كانت تعد كتابات بولس من الكتب  
 المقدسة نعلم من رسالته بطرس الثانية التي ربما كتبت في ذلك  
 الوقت او قبل ذلك قليلاً . ويحق لكلامه في هذا الشأن النظر  
 الخصوصي لانه يتضمن الشهادة الوحيدة التي لنا صريحة من رسول  
 الى اخر في شان كتاباته . فيقول واحسبوا امهال ربنا خلاصاً لكم  
 كما ايضاً اخونا الحبيب بولس قد كتب اليكم بما أُعطي من الحكمة  
 وذلك كما كتب ايضاً في الرسائل كلها قابلاً فيها عن هذه الامور  
 وفيها بعض اقوال عسرة الفهم التي اولئك الذين ليسوا علماء  
 ولا ذوي ثبوت يعوجونها كما سائر الكتب ايضاً هلكة لانفسهم .  
 فيظهر من هذا الكلام ان رسائل بولس كانت حينئذ مشهورة  
 وان بطرس الرسول كان يعدها من الكتب المقدسة . ولهذا  
 يَحْتَمَل ان بولس نفسه اراد ادخالها مع سائر كتب العهد الجديد  
 بقوله كل كتاب أُوحى به الى اخره . واذا كان ذلك كذلك فيكون



في هذه الاية شهادة على ان جميع العهد القديم وجانباً عظيماً من  
العهد الجديد قد كتبنا بالهام من الله . واذا اعتبرنا الاخبار عن  
نوبة بولس العجيبة ورسوليتو من الله وكونه مفعماً بموهبة اللغات  
والشفاء والنسوة الى غير ذلك فلا نقدر ان ننكر والحالة هذه انه  
شاهدٌ بوثق بشهادته كل الثقة

وقد شهد لنا بطرس الرسول ايضاً على الهام انبياء العهد القديم  
بكلام لا يحتمل التأويل . فاذا كان يتكلم عن المنظر العجيب الذي  
شاهده على طور التجلي يزيد على ذلك ويقول وعندنا كلام الانبياء  
اثبت فنعلمت جميلاً اذا نصم له كأنه لسراج منير في موضع مظلم  
الى ان يظهر النهار ويشرق الكوكب المضي في قلوبكم . واعلموا  
هذا اولاً ان كل نبوة في كتاب ليس من تأويل المأقول وما  
جاءت قط نبوة من مشية البشر بل من وحي الروح القدس  
تكلم اناس الله المقدسون . ومن هذا الرسول شهادة اخرى في  
رسالته الاولى حيث يتكلم صريحاً عن الهام الانبياء اذ يقول  
ذلك الخلاص الذي التمسهُ الانبياء وفحص عنه الذين تنبأوا  
بالنعمة التي تكون فيكم باحثين عن الوقت والزمان بدل روح  
المسيح فيهم متقدماً بالشهادة على الآلام التي في المسيح والتكرامات  
التي تكون بعد ذلك . وقد أوحى اليهم انهم ليسوا خداماً لانفسهم  
بل لكم بهذه الاشياء التي اخبركم الان اوليك الذين بشروكم بها  
بروح القدس الذي أرسل من السماء



وانه لظاهر ان جميع الرسل كما ذكروا كتب العهد القديم  
ساق كلامهم الى انهم كانوا يعتقدون بانها قد اوحى بها من  
الله . ففي الرسالة الى العبرانيين توجد شهادات مثل ذلك  
كثيرة وصریحة تذكر البعض منها . فنقول انه قد قيل في اولها  
بانواع كثيرة واشباه شتى كلم الله اباؤنا على السن الانبياء من  
قديم الدهر واخيراً في هذه الايام كئنا بابن . وكل ما قاله الانبياء  
يُشار اليه في هذه الرسالة كانه قول الله نفسه . من ذلك ما ذكر  
في الاصحاح الماخوذ منه الكلام السابق وهو قوله وعند ادخاله  
البكر الى العالم قال فلتنسجد له جميع مليكة الله . انما قال في  
المليكة هكذا انه صنع مليكته ارواحاً واما في الابن فقال كرسيك  
يا الله الى ابد الابد . فجميع هذه العبارات التي ذكر فيها  
ان الله قال كذا وكذا انما هي ماخوذة من المزامير . ومن ثم يلزم  
ان ما قيل في المزامير قد قيل باهام من الله . وهكذا في الاصحاح  
الثاني من هذه الرسالة قد نُقل جانب من المزمور الثامن متجهاً  
الى المسيح . وهكذا ايضاً ذكرت فيه اقوال من العهد القديم كانت  
اقوال الرب يسوع . من ذلك العدد الثاني عشر المنقول فيه  
اني ابشر باسمك اخوتي والعدد الثالث عشر الذي يقول فيه  
وقال ايضاً اني اكون عليه متوكلاً . وفي الاصحاح الثالث من  
هذه الرسالة أُورد شيء من المزامير منسوبة الى الروح القدس  
وهو قوله فلماذا كما قال الروح القدس اليوم ان اتم سمعتم صوتي

فلا نفسوا قلوبكم الى اخره . وفي الاصحاح الرابع قبل مثل ذلك  
فانه قال في بعض المواضع في اليوم السابع هكذا ان الله استراح  
في اليوم السابع من جميع اعماله الى اخره . وفي الاصحاح الخامس  
يقول لكن له قال انت ابني وانا اليوم ولدتك كما يقول ايضا في  
موضع اخر انت الحبر الى الابد كدرجة ملكيزاداق . ولم يقل ان  
الله كان المتكلم في ما كتب في المزامير فقط بل ايضا في ما كتبه  
الانبياء . فمن الاصحاح الثامن اورد كلام طويل من ارميا النبي  
قبل فيه انه كلمة الله وهو قوله هوذا تاتي الايام يقول الرب الى  
اخره . ولنكتب بشهادة اخره من هذه الرسالة وهي قوله في  
الاصحاح العاشر ويشهد لنا ايضا الروح القدس بعد ما قال هذا  
هو العهد الذي اصنع معهم بعد تلك الايام يقول الرب الى اخره  
وبالاجمال نقول انه كما ان الذين كتبوا العهد القديم قالوا  
انهم كانوا يتكلمون بما انزل الله عليهم كذلك قد استشهدت جميع  
كتب العهد القديم في العهد الجديد واعتبرت كاتبها من الله  
ومكتوبة بالهامه . ويعسر وجود آية واحدة ذكرت فيها  
هذه الكتب المقدسة ولم يكن فيها اشارة الى

الالهام بها على سبيل التصريح

او التلميح



## الفصل الخامس عشر

في الالهام بكتب العهد الجديد

إذا كان العهد القديم قد كُتِبَ بالهام كما انضح فيما سبق من الكلام وإذا كان العهد الجديد يتضمن إعلاناً من الله يحتاج إليه الإنسان كما احتاج إلى ما أُعْلِنَ في العهد القديم بل هو بالحقيقة تكملة فهل يمكننا أن نصدق أن الله إذا ألهم الأنبياء في كتابة الأول منها يترك الثاني إلى ضعف مؤلفين لا الهام لهم فلا ريب أنه يلزم لتتيم المقصود من الإعلان أن الالهام يرشد الذين يكتبونه. لأن المقصود من الإعلان إنما هو تادية معرفة صحيحة بالحق لارشاد الناس في الايمان والاعمال. ولكن إذا كان الكتاب الذي يتضمن مثل هذا الإعلان من تأليف البشر وهم في حال التصور والغلط فلا يمكن أن تحقق في امر من الامور المكتوبة ان عندنا الحق المعلن خالياً من الضلال. وقد يكون الذين كتبوه من اهل الصدق والامانة ولا نأمن انهم لم يكونوا مثل ساير الناس محل الغلط والضلال وتحت طائلة الغرض والتعصب. واذ ذاك يكون من الواضح ان المقصود من الاعلان يبطل على الاكثر ما لم يلهم الناس الذين يكتبون

الكتاب الذي يتضمنه

وايضاً اذا تأملنا بالانتباه نحوى كتب العهد الجديد لانستطيع  
 ان نثق بها ثقة كاملة ما لم تكن لنا بينات على ان الالهام قد ارشد  
 الذين كتبوها. نعم ان العقل عند النظر الاول في تدوين كلام  
 يسمعه انسان او حوادث يراها يتبادر الى ان الامر انما يحتاج  
 الى صدق المورخ واستقامته فقط. فقد يسلم بذلك على نوع اذا  
 كتب الشاهد حالاً ما سمعه او رآه. ولكن من يصدق انه بعد  
 مضي عشر سنين او خمس عشرة او خمسين استطاع اصحاب  
 الاناجيل ان يكتبوا بالتحقيق التام خطباً طويلة للمعلم وان يذكروا  
 بالصحة جميع ظروف معجزاته التي اخبروا بها. نعم قد يقال انهم  
 يستطيعون ان يخبروا بجوهر القضايا التي عاينوها. ولكن ذلك  
 لا يشفي غليلاً بل كان مثل هذا التاريخ يفقد جزءاً من الاحترام  
 الذي يجب ان يكون له لكي يتسلط على ضمائر الناس ويكون  
 اساساً لثقتهم الكاملة. واما من جهة التعاليم السامية التي يعلم  
 بها الرسل في رسايلهم فاذا سلمنا بانهم كانوا فيها كغيرهم في محل  
 الغلط فلا بد ان نسقط دائماً في الرب خابئين انهم لم يفهموا ما  
 سمعوه او نسوه او انهم لتاثير الميل والتعصب عوجوا الحقائق  
 التي كتبوها وهم لا يعلمون

ولكننا لم نترك لنستفيد من مجرد مقتضى الحال ان الذين  
 كتبوا العهد الجديد كانوا ملهمين من الروح القدس. بل لنا



براهين كثيرة صريحة على ان الرب قد وعد بالارشاد المعصوم  
 من الغلط تلاميذ الذين اختارهم شهوداً له امام العالم وسلمهم  
 اذاعة ديانته بين جميع الشعوب وفي جميع الاعصار. من ذلك  
 قوله واطلب الى الاب فيعطيك معزياً ليثبت معكم الى الابد روح  
 الحق الذي لا يطيق العالم ان يقبله لانه لا يراه ولا يعرفه. واما  
 اتم فتعرفونه لانه حال فيكم وسيكون فيكم. وان الروح القدس  
 الموعود به ههنا كان ارساله لكي يرشد الرسل في تأدية شهادتهم  
 يظهر مما ورد في الفصل الخامس عشر من انجيل يوحنا حيث  
 يقول فاما اذا جاء الفارقليط الذي ارسله انا اليكم من الاب  
 روح الحق الذي من الاب ينبثق فهو يشهد لاجلي. واما الوعد  
 بالالهام التام فموجود على اجلي بيان في الفصل السادس عشر  
 حيث يقول واذا جاء روح الحق فهو يعلمكم جميع الحق لانه  
 ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سياتي وهو  
 يجديني لانه ياخذ مما لي ويخبركم. جميع ما هو للاب فهو لي فمن اجل  
 هذا قلت انه مما لي ياخذ ويخبركم. وايضاً وعد المسيح تلاميذ بالهام  
 التلقين عند ما يدعون الى الجواب امام الملوك والروساء وامرهم  
 ان لا يهتموا سابقاً بما يقولون لانهم يعطون ما يجب ان يقولوه في  
 وقت الحاجة. من ذلك قوله لانكم لستم اتم المتكلمين بل الروح  
 القدس هو الذي يتكلم فيكم. فاذا كان الرسل قد أعطوا الهام  
 التام لكي يستطيعوا ان يدفعوا عن انفسهم امام المحاكم المدنية

فلا يُظَنُّ انهم تركوا بدونه عند ما كتبوا كلام المسيح واعماله  
 مقصوداً بكتابتهم ان يكون دليلاً للكنيسة الى اخر الزمان. واذا  
 كان الرسل قد اتاهم الالهام مرة ما فلا شك ان يكون ذلك  
 حينما أمروا بختم تدوين شهادة الله. ولا يوافق العقل ان نعتقد  
 بان كل كتاب من كتب العهد القديم أُعطي بوحى من الله وان  
 كل كتب العهد الجديد كُتبت بدون هذه المساعدة. وعدم  
 موافقة ذلك للعقل يظهر باجلى بيان اذا نظرنا الى ان نور العهد  
 الجديد اشرق من القديم باضعاف كثيرة. ان الذي سبق المسيح  
 وبشر مجيئه كان اعظم الانبياء الذين تقدموه ولكن الاصغر في  
 ملكوت السموات هو اعظم منه. فلذلك اذا كان جميع الانبياء  
 قد تكلموا كما الههم الروح القدس فلا يُصدَّق ان الرسل الذين  
 كانوا شهود المسيح المنتخبين واعظم رساء ملكوته تركوا خالين  
 من هذه الهداية العاصمة من الغلط وهم مشتغلون باعظم ما تعين  
 لهم من الواجبات المهمة. وعلى ذلك يدعى الرسل بالالهام ويتكلمون  
 بسلطان يحسب من الاستكبار لو لم يكونوا تحت هداية مرشد  
 لا يغلط. فلا يكتبون مجرد آرائهم الشخصية ويثبتونها بالبرهان  
 ولكن يكتبون كانهما يعرفون حق ما يكتبونه ويحكمون في مسايل  
 لا يعرفها بالتحقيق غير الذين يتدبرون بالهام من الله  
 وفضلاً عن ذلك ان بعض العهد الجديد من باب النبوة  
 ككثير من العهد القديم. واذا كانت صحيحة فيستحيل ان يكون



قد كُتِبَ بدون الالهام. فالروبا التي رآها بوحنا اما ان تكون  
 خرافة باطلة واما ان تكون قد كُتِبَت بالهام. وقد التزم بعض  
 الذين ينكرون الوحي بالافرار ان عليها سمة القدرة الالهية لما  
 فيها من عظمة الافكار والطبقة العليا في الكلام. ولو كان لنا  
 فرصة لكي نقابل بالتاريخ الصحيح ما يوجد في هذا الكتاب الفريد  
 من النبوة لحصلت لنا بينة على الهام كاتبه لا يسهل دفعها. وقد  
 وجد فيها كثيرون من ذوي الدراية والتحقيق اقوى البراهين  
 على الالهام الالهي. ومثل ذلك يقال في جميع نبوات العهد  
 القديم والعهد الجديد على انه ان كان فيها شيء من الصحة فلا  
 بد من كونها بالهام الله. اذ من الحق الواضح انه لا يستطيع  
 احد ان يتنبأ بالحوادث المزمعة الوقوع الا من كان ملهما من  
 روح الله. وبالْحَقِيقَةِ يجب ان نعتقد ان موسى وامثاله كانوا  
 ملهمين عند ما اخبروا ان الله كلمهم واعلن لهم الاوامر والسنن ما  
 لم نتكر صدقهم. ولكن كلامنا الان مبني على افتراض كون هذه  
 الكتب صحيحة وقد كتبها اناس من اهل الحق والامانة  
 وكثيرا يجعل اسلوب كلام الانجيليين برهانا على الهامهم.  
 لالانهم كتبوا بنصاحة معجزة بل لانهم كتبوا كاناس مجردين عن  
 العواطف البشرية. فانهم يكتبون ببساطة غير مصنعة وباعتبار  
 للحق خال عن كل ميل وهوى نفس على نوع لانظير له في مولفات  
 البشر. وكيف استطاع اناس اميون ان ينشئوا كتباً مثل هذه من

دون الهام من الباربي تعالى . فلو اخير الف رجل من العقلاء  
غير معتادين على الانشاء ليكتبوا تاريخاً بسيطاً في اغرب ما  
اطلعوا عليه من الوقائع لما وُجد في واحد من مؤلفاتهم شي لا يشبه  
اسلوب كلام الاناجيل . وقد شرع اناس كانوا اكثر علماً من  
الرسل في ان يكتبوا اناجيل من غير الهام ونسبوها الى بعض  
الرسل . ولكن احسن البيّنات على وجود الهام في كتابة  
الاناجيل الحقيقية يستفاد من مقابلتها مع هذه الكتب الغير  
القانونية المنسوبة الى الرسل زوراً

ولكن لاحاجة الى اعادة ما قد ذُكر في باب البيّنات  
الداخلية . بل انما نقول بالاجمال ان جميع البراهين الموردة في  
ذلك الباب على صحة الاعلان الالهي تبرهن على حقيقة الهام  
ايضاً باجلى بيان . ولهذا برجع ما قيل في الفصل المذكور عوضاً  
عن تكرار الكلام مرة ثانية

والمعجزات ايضاً تفيد اقطع البراهين على الهام كتاب اذا  
تحققنا ان الذبي كتمه كان له قوة على اجتراحها . لان اخص  
الاغراض من اظهار المعجزات انما كان البرهان على ان الذي  
كان يتكلم كان مُرسلاً من الله الى الناس في امر من الامور .  
كما قال نيقوديموس بالحق اننا نعلم انك جيت معلماً من الله لان  
لايستطيع انسان ان يعمل المعجزات التي انت تعمل ما لم يكن الله  
معه . واذا كانت المعجزات كافية للبرهان على صحة اعلان شفاهي



أفلا تكون مقنعة كذلك في اعلان مكتوب . واذا وُجد فرق  
فانما يكون من جهة الاخير منها لان الاحتياج الى كون  
الاعلان المكتوب الذي يُقصد به تعليم اهل كل زمان مثبتاً  
بالبيانات الصريحة اشد ضرورةً من الاحتياج الى ذلك في  
الاعلان الشفاهي الذي لا يسمعه الا قليل من الناس ويفقد  
حالما يُنطق به

ولا يخفى ان جميع ما قلنا في شان الالهام انما قيل بناءً على  
التسليم بصحة ما ذكر في العهد الجديد وبان الكتب المقدسة  
تتضمن اعلاناً من الله . والكلام الان ليس مع الكافرين بل مع  
الذين يقرّون بان الديانة المسيحية عموماً جاءت من الله ولكن  
يرتابون في ان الذين كتبوا كتب العهد القديم والعهد الجديد  
قد كتبوها باهامٍ تام او ينكرون ذلك على الاطلاق . وبما ان  
هؤلاء يسلّمون بان الرسل والانجيليين كانوا من اهل الصدق  
والاستقامة فمن الواجب ان يصدقوا شهادتهم . فاذا ادّعوا  
بالوحي لا يستطيع المذكورون ان ينكروه عليهم لانهم بذلك  
ينفون صدقهم ويبطلون اقطع الادلة على صحة الديانة المسيحية .  
ولماذا اعطي اصحاب الكتب المقدسة قوة عمل المعجزات الالهية  
بوثق بشهادتهم احسن الثقة . فحيفاً يقولون ان الروح القدس تكلم  
فيهم وان الذي سلّموه للناس لم يكن كلام البشر بل كلاماً منزلاً  
عليهم بالوحي الا تثبت قوتهم على عمل المعجزات ما كتبوه كما تثبت

ما قالوه

واذ قد بينا في ما سبق من الكلام ان الرسل قد مواثم هاديات  
كافية على الهام العهد القديم فلنورد الان بعض عبارات تبرهن  
على انهم ادعوا بالالهام لانفسهم . فانهم يسمون دائماً ما تكلموا به  
كلمة الله . وبولس يصرح بانه لم يقبل ما كرز به من انسان بل  
من وحي يسوع المسيح وان الذي كتبه انما كان وصايا الرب وان  
ما علم به هو واخوته قد اوحى به اليهم الله بروحه . ولذلك قال  
ان الذي يخنفر ما علم به لا يخنفر الناس بل الله . وبطرس بحسب  
الوصايا المسلمة من الرسل مع كلام الانبياء ويعد رسايل بولس  
مع الكتب المقدسة كما ذكرنا سابقاً . ويوحنا يقول نحن من عند  
الله فالذي يعرف الله يسمعنا ومن لم يكن من الله فلا يسمعنا  
وبذلك نعرف روح الحق وروح الضلال

ولا يفتي علينا الان لاجل اتمام البيئته على الهام العهد الجديد  
والعهد القديم الا البرهان على ان هذه الاسفار كانت مقبولة عند  
الكنائس المسيحية بالاتفاق على صحة الهام بها . ولكن مع انه  
يوجد اصرح البيئات على ذلك لا بد للكلام فيه من تفصيل  
واسهاب وذلك لا يناسب هذا المختصر . فيما اتنا قد وضعنا لهذا  
الموضوع محلاً في غير هذا الكتاب لاجابة الى ذكره هنا . الا  
اتنا نقول بالاجمال ان في الاجيال الاولى لم ينكر احد من  
المسيحيين الا بعض الارائفة الهام الكتاب المقدس بل تمسك



المجموع بذلك كحقيقة جوهرية في ديانتهم . فلم يبق الا للذين يريدون ان يدعوا انفسهم من اهل العقل والبصيرة في هذه الابام الاخيرة ان يعترفوا بصحة النضايا المذكورة في الكتاب المقدس وهم ينكرون الهام الذين كتبوه . ولكن لا يستطيع احد ان يذهب الى ذلك وهو لا يعتقد بالشيء ونقيضه . فاذا اقرؤا بمعجزات الكتاب ونبواته وبان الديانة المسيحية من الله كان الهام الذين كتبوا هذه الكتب نتيجة لازمة من اقرارهم وانكار ذلك اعظم ما يناقض به الانسان نفسه . وبالعكس اذا انكر الالهام فحالا يترك الاقرار بصحة المعجزات والنبوات

واما الاعتراضات التي يعترض بها على الهام الكتب المقدسة التام فلا نهاية لها كما لواقع في امر كيفية كون العالم المنظور من حيث هو خليفة الله . ولا ريب في انه توجد مشابهة كلية في توجبه التعلل بين الكافرين بوجود الله والكافرين بالوحي . ومرجع براهينهم جميعها الى الجهل البشري . فانهم لا يستطيعون ان يتصوروا خليفة تخلق من كائن غير محدود في قدرته وحكمته ولا وحيًا فابق الطبيعة من ذات هذا الكائن لا يكونان محلاً لاعتراضات عظيمة مثل اعتراضاتهم بل اعظم مما يستطيعون ان يعترضوا به على اعماله الموجودة وكتابه  
واما من جهة الاعتراضات الخصوصية الناتجة مما ظاهرة يوم التناقض ومن الحوادث النابتة الطبيعة ومن بعض تعاليم

عويصة توجد في الكتاب المقدس فيجب على القاري ان يراجع  
المطولات في هذا الموضوع . ولا يسعنا ان نقول هنا الا بالاجمال  
ان الاعتراضات الاعتيادية على الهام الكتب المقدسة تناقض  
صحة الحوادث والنصايب المذكورة فيها بقدر مناقضتها للاهام  
بها . فلننا لا احتياج الى نظير فيها ورد عليها في هذا الباب  
فمخلص جميع البيئات على كمال الالهام في كتب العهد القديم  
والعهد الجديد هو اولاً جميع البيئات الداخلية على الديانة  
المسيحية سواء كانت من جهة عظم قيمة التعاليم المتضمنة في هذه  
الكتب وساطة وسمو اسلوب كلامها . او من كمال صفات  
يسوع المسيح وسيرته الطاهرة الحسنة . او من الاقرار الدائم بعناية  
الباري تعالى مع روح النفوس الطاهر والعبادة الخالصة  
الموجودة في كل صحيفة من صحيفه . او من قدرة الكتب المقدسة  
على الدخول الى القلب واصلاحه . او من مناسبتها لمزاج  
العقل البشري وللعاملات والتعلقات الكائنة بين الناس .  
فان جميع ذلك يشهد بان هذا الكتاب قد كتبه اناس بارشاد  
الروح القدس وهم معتمون به من السهو والضلال  
ثانياً ان كل نبوة تمت فهي بينة قاطعة مستقلة بذاتها على  
الهام ذات السفر الذي يتضمنها من الكتب المقدسة . وكذلك  
جميع الشرايع التي خرجت من فيه تعالى يجب ان تُعدّ اوامر ملهياً  
بها ما لم ينفع الرب في صحة الخبر من اصله

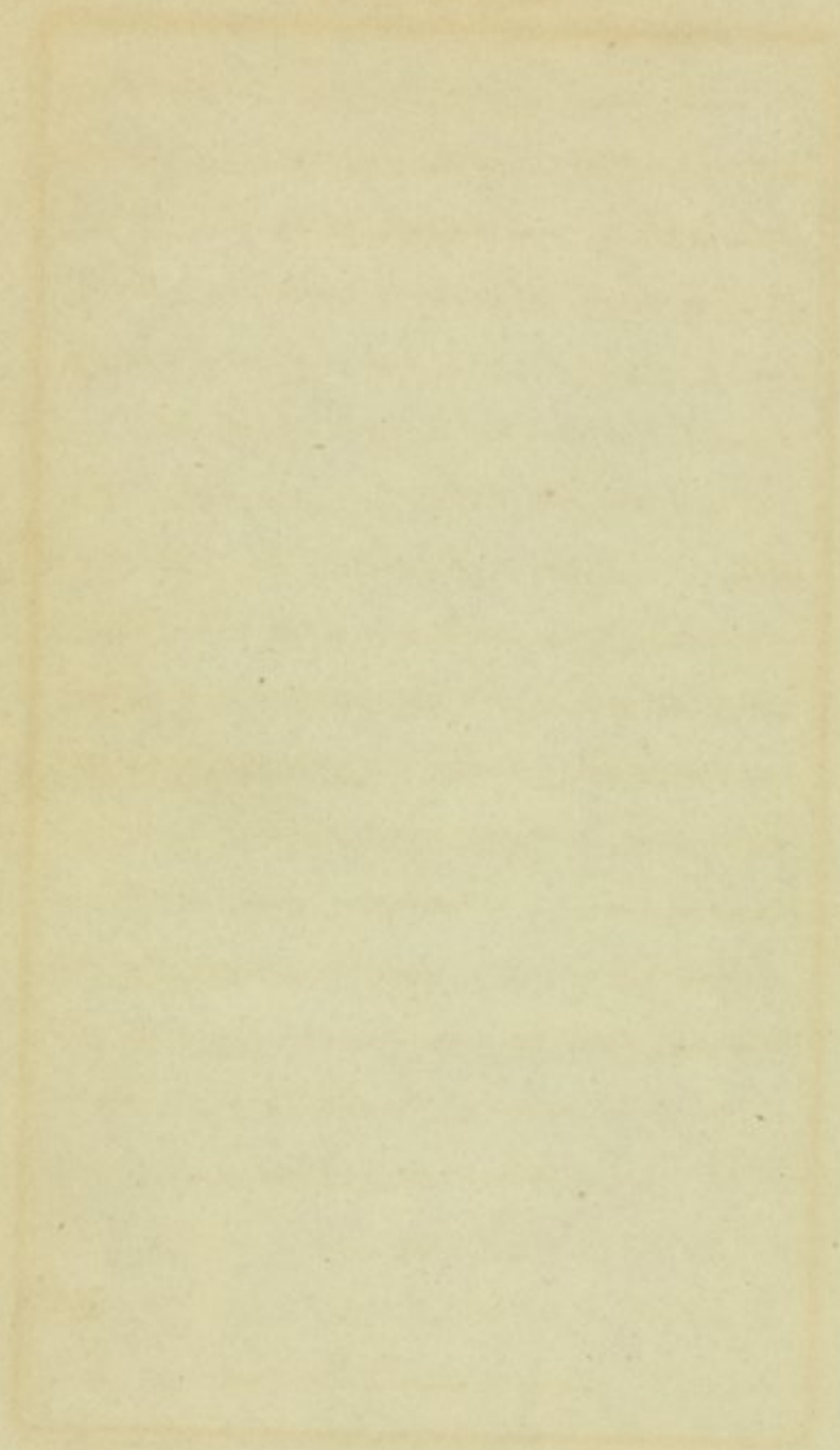


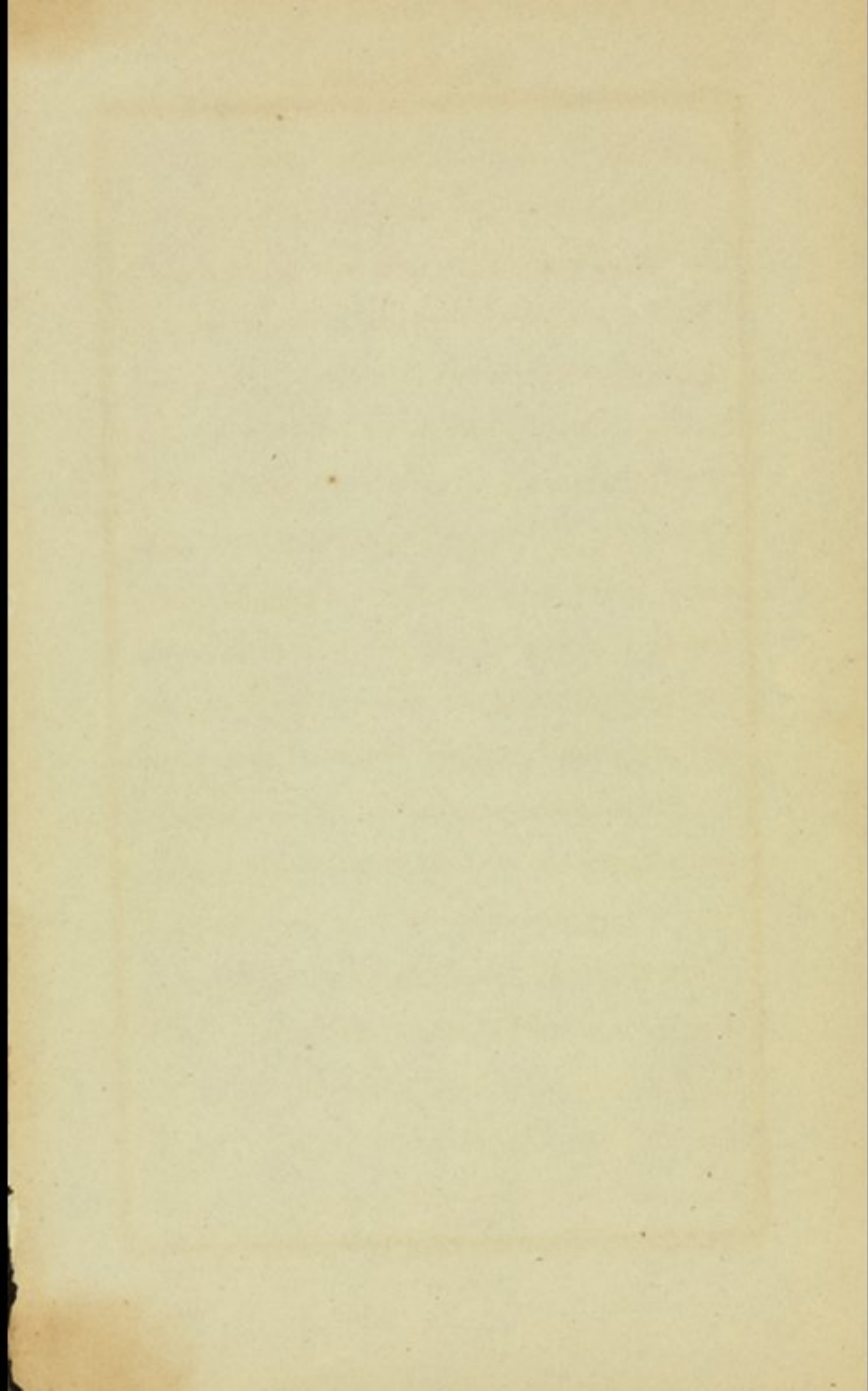
ثالثاً انه كانت لاكثر الذين كتبوا اسفار الكتاب المقدس  
 قدرة على عمل المعجزات . فذلك برهان على ان الله قد تكلم  
 بواسطتهم عند من يعتقد بصحة وقوعها . واذا كان الانبياء  
 والرسل قد ألهموا بالكلام الذي تكلموا به مع الناس شفاهاً فمن  
 باب اولى ان يكونوا ملهمين في تدوين الكتابات التي كان  
 الغرض منها ارشاد ايمان المؤمنين واعمالهم الى اخر الزمان .  
 رابعاً ان الذين كتبوا الكتاب المقدس غالباً يدعون بالالهام .  
 فيتكلمون بسلطان باسم الرب ويسمّون ما تكلموا به كلام الله .  
 خامساً ان الرب يسوع قد وعد تلاميذه بالالهام الكامل .  
 كما انهم ايضاً قد ادّغوا بانهم كانوا تحت الهام الروح فيما كتبوه  
 واخيراً فيما كان بعض الرسل احياء قد وضعت جميع  
 الكتابات الاولى كتاباتهم بين الكتب المقدسة وقبلتها على انها  
 ملهم بها من الله وكلام الله المعصوم من الغلط  
 فبناءً على جميع ذلك لا نستطيع الا ان نحكم بان جميع كتب  
 العهد القديم والعهد الجديد قد كتبت بالهام من الله . وانها  
 تتضمن قانوناً معصوماً من الغلط لارشاد ايمان الكنيسة  
 واعمالها ما دام العالم موجوداً .

انتهى

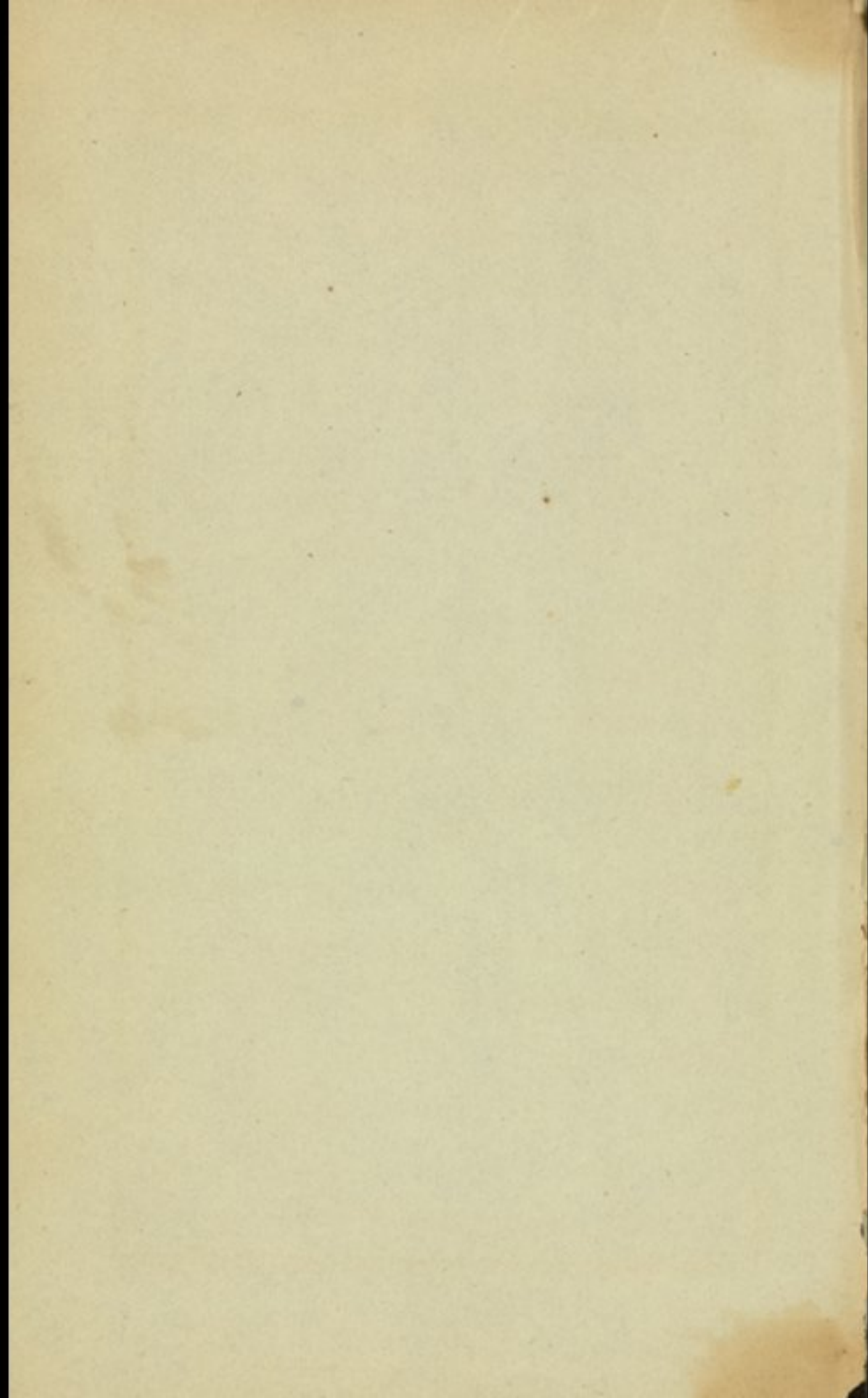
Alexander's  
Evidences.

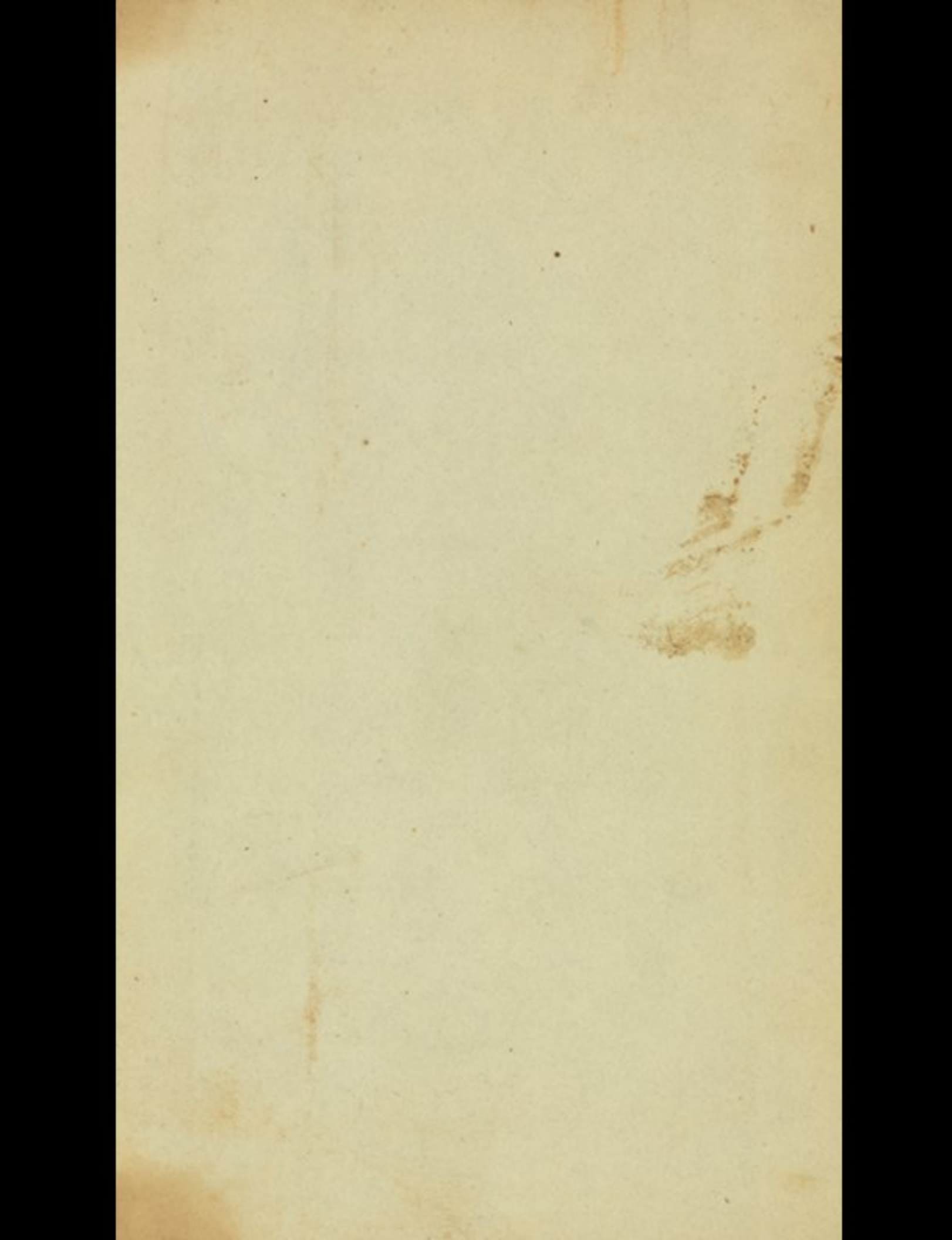




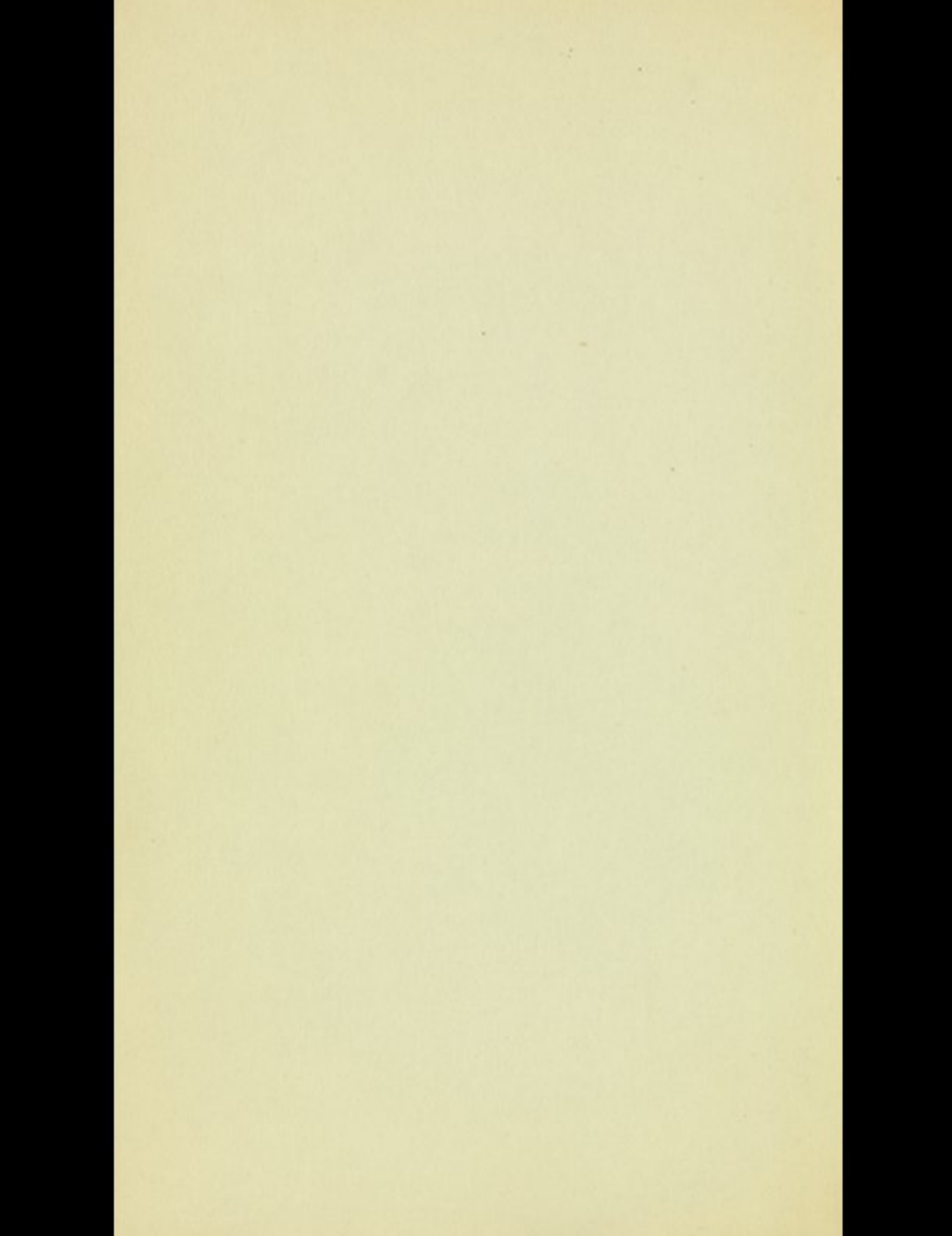


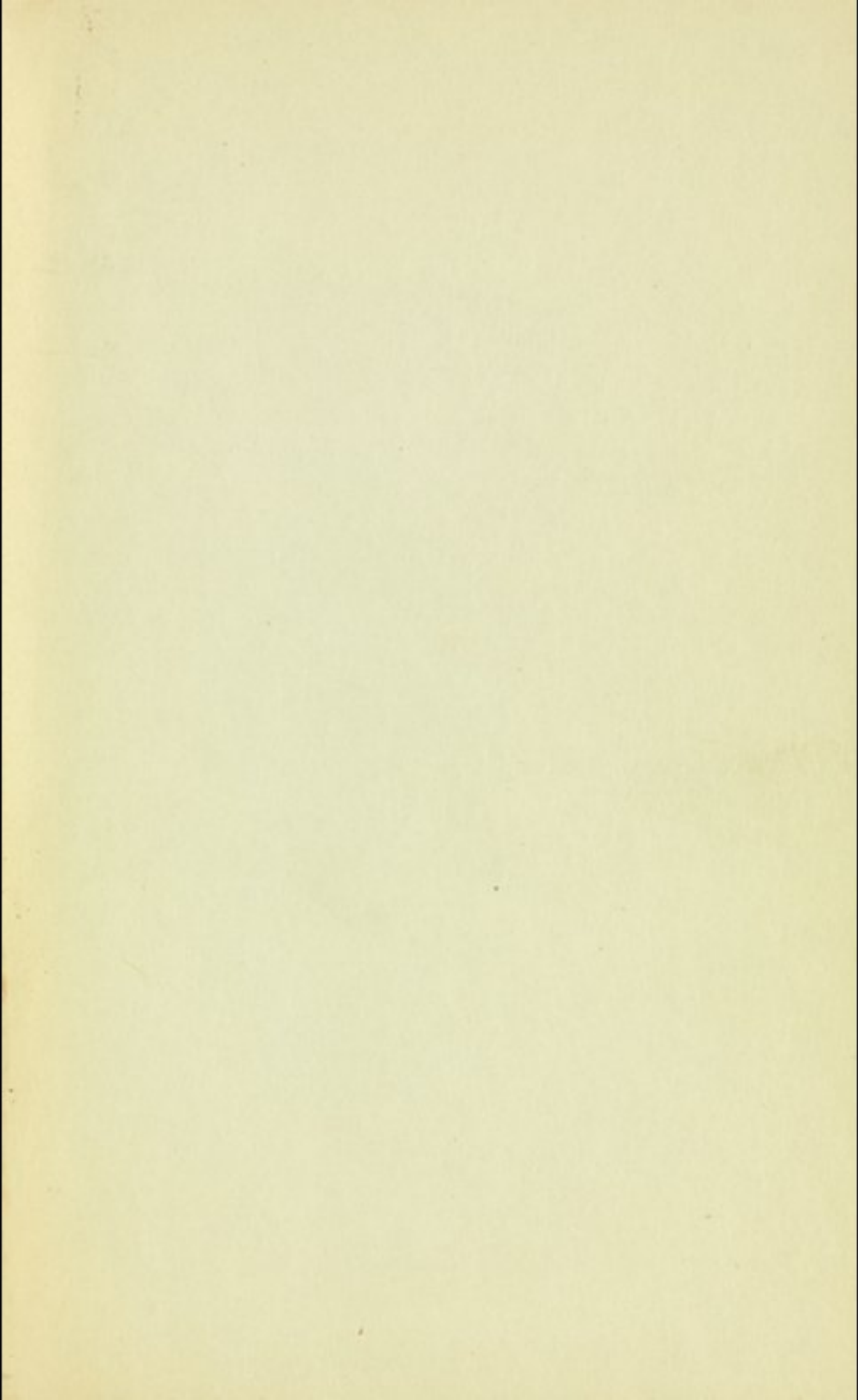














COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0040277445

893.7A&2

P5

BOUND

SEP 26 1958

